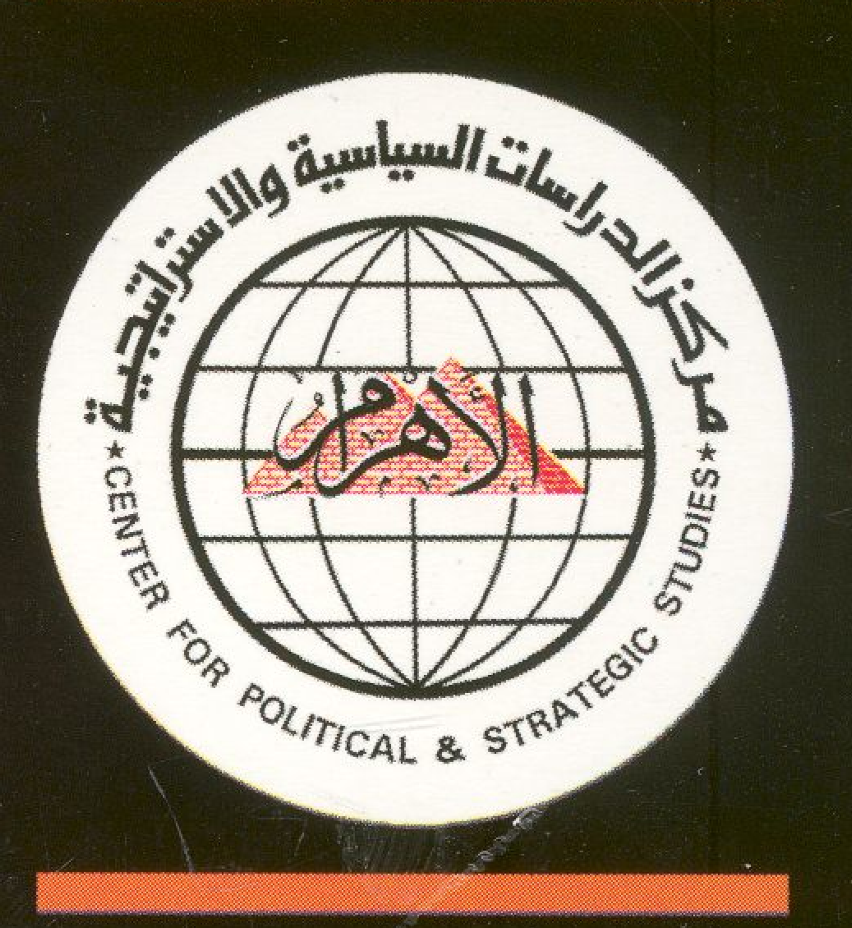




السنة السابعة
العدد ٩٩ . أكتوبر ٢٠٠٨



- المبادرة البحرينية وخيارات الأمن الإقليمى الخليجى
- سياسة إسرائيل تجاه شمال العراق
- انتخابات الدورة العاشرة لرئاسة الجمهورية: صراع على المستقبل (ملف خاص)
- إيران وأزمة القوقاز: فرص ومخاطر
- أبعاد الدور الإيرانى في أفغانستان
- مكانة فرنسا في المعادلات الدولية

٩٩



السنة الثامنة - العدد ٩٩ - أكتوبر ٢٠٠٨

صورة الغلاف :

تجاوز المبادرة البحرينية لتشكيل منظمة إقليمية تضم إسرائيل وإيران والدول العربية، العقبة الإسرائيلية قبل حل الصراع العربى - الإسرائيلى، سيجعلها مستحيلة، إن لم يكن لرفض عربى فلحتمية الرفض الإيرانى.

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية - ت : ٢٥٧٨٦١٠٠ / ٢٥٧٨٦٢٠٠ / ٢٥٧٨٦٣٠٠ فاكس ٢٥٧٨٦٠٢٣ / ٢٥٧٨٦٠٣٧



«مختارات إيرانية » دورية شهرية تصدر باللغة العربية منذ أغسطس ٢٠٠٠ ويتولى رئاسة تحريرها د. محمد السعيد إدريس، وهى أول إصدار ثقافى عربى يسعى لتقديم معرفة علمية متكاملة عن المجتمع والدولة فى إيران، وتضم مختارات إيرانية أربعة أقسام أساسية، الأول خاص بالتفاعلات الداخلية على الأصعدة المختلفة سياسيا وأمنيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، أما القسم الثانى فيختص بالعلاقات الإقليمية لإيران وتفاعلات إيران مع الأحداث والقوى الإقليمية خاصة فى الخليج والوطن العربى ومجمل دول الشرق الأوسط،وكذلك دول بحر قزوين وآسيا الوسطى وجنوب آسيا . ويهتم القسم الثالث بالعلاقات الدولية لإيران سواء مع القوى الدولية أو المنظمات الدولية. أما القسم الرابع فيحمل عنوان «رؤى عربية » ويهتم بتقديم رؤى وتحليلات ووجهات نظر عربية فى أحداث، وتطورات، وكذلك تقديم تعليقات على أفكار ورؤى إيرانية فى محاولة لتجسير الفجوة بين المفاهيم والادراكات العربية والإيرانية أو على الأقل التقريب بينها لمزيد من معرفة كل منهما للآخر.

ويسعد «مختارات إيرانية» تلقى الردود والتعليقات المختلفة لنشرها وفقا لقواعد النشر المعمول بها بالمجلة.

المحتويات

افتتاحية

المبـــــــادرة البحرينية وخيارات

يحظى الأمن الإقليمى للخليج العربى هذه الأيام باهتمامات مكثفة خاصة من جانب دول مجلس التعاون الخليجى لأسباب كثيرة من بينها أن هذه الدول باتت تدرك أن هناك خرائط جديدة لتوازن القوى بعضها عالمى وبعضها إقليمى وبعضها خليجى أخذت تفرض نفسها بقوة على النظام الإقليمى الراهن والمفروض منذ نهاية حرب الخليج الثانية (حرب تحرير الكويت). من بين هذه الخرائط الجديدة لتوازن القوى تراجع الثقة العالمية فى النظام أحادى القطبية القائم منذ ما بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وتفكك حلف وارسو عام ١٩٩١، واتجاه قوى عالمية كبرى خاصة روسيا والصين نحو المطالبة بإقامة نظام عالمى متعدد الأقطاب، بما يعنى تراجع النفوذ الأمريكى العالمى، ومن بين هذه الخرائط الجديدة ما يحدث فى الشرق الأوسط من تنامى ملحوظ للدور الإقليمى التركى، ومنها ظهور تيار يزداد قوة داخل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى للقبول بالحور مع إيران بدلا من الصدام معها، بما يعنى أمرين: أولهما، أن إيران ربما تفلت ببرنامجها النووى. وثانيهما، دمج إيران إقليميا عبر صفقة حوافز مهمة تؤمن شراكة قوية لإيران في إدارة الشئون الإقليمية، ومنها عدم اليقين في مستقبل الدور الأمريكى العسكرى في الخليج على ضوء ما يحدث من تطورات سلبية تؤثر بقوة على هذا الدور خاصة ما يحدث للأمريكيين في العراق وما يحدث لهم في أفغانستان في ظل العودة القوية لحركة طالبان، ومطالبة قوى أوروبية بالحوار معها حول مستقبل أفغانستان والحرب فيها، ومن هذه التطورات أيضا ما يحدث من مؤثرات فى العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجى وإيران، ناهيك عن احتمالات شن إسرائيل حربا ضد إيران.

إذا أضفنا إلى ذلك هموم التوترات الداخلية في بعض دول المجلس نتيجة تفاقم مصادر التهديد الداخلية وتأثيرها السلبى على الاستقرار السياسى لأدركنا مدى عمق الأزمة التى تواجه مجلس التعاون، ولتكشف مدى ضرورة اهتمام هذه الدول بالبحث عن بدائل ومبادرات جديدة لمنظومة الأمن الإقليمى الخليجى.

أولى هذه المبادرات جاءت بتوجه أربعة دول خليجية هى الكويت والإمارات وقطر والبحرين نحو حلف شمال الأطلسى (الناتو) من أجل تأسيس شراكة استراتيجية أمنية، وتم اتخاذ خطوات مهمة في هذا الاتجاه من خلال توقيع الدول الأربع على ما يسمى بـ "مبادرة اسطنبول" عام ٢٠٠٤ التى تعطى للحلف أدواراً مهمة في مجالات التدريب والتسليح والمناورات وغيرها، لكنها أدوار لا تكفى لخلق بديل قوى للدور الأمريكى العسكرى المباشر في منظومة الأمن الإقليمى الخليجى.

هذا التوجه كان له أكثر من معنى، فهو أولاً، يعنى التوجه ولو المحدود، نحو ما يسمى بـ "عولمة الأمن" في الخليج أى جعل مسئولية الأمن في الخليج مسئولية عالمية تشارك فيها أطراف دولية متعددة بدلاً من التركيز على أحادية الدور الأمريكى. وهو ثانياً، يحمل إدراكاً لمشاعر عدم الثقة المتزايدة في جدية الالتزامات الأمريكية في الدفاع عن الأمن الخليجى. وهو ثالثاً، يعكس انقساما بين دول المجلس بسبب الغياب السعودى والعمانى عن هذه الشراكة.

ثانى هذه المبادرات جاء عبر توجه دول مجلس التعاون نحو تركيا كموازن إقليمى موثوق فيه للدور الإيرانى في المنطقة، من خلال التوقيع على مذكرة "تفاهم" بين دول المجلس وتركيا، ذات أبعاد اقتصادية وأخرى استراتيجية، لكن ظل السؤال المهم دون إجابة حاسمة وهو: هل تركيا تصلح أن تكون موازناً إقليميا قادراً على الدفاع عن دول المجلس في مواجهة خطر إيرانى تدركه جيداً هذه الدول ولا ترى أنها، بمفردها، قادرة على مواجهته؟.

فرغم أهمية ما تتمتع به تركيا من قدرات اقتصادية وعسكرية، وكل ما تحظى به من مكانة لدى الدول العربية والخليجية بصفة خاصة بعضها تاريخى، والبعض الآخر دينى باعتبار تركيا دولة سنية لها مكانتها الدينية في العالم الإسلامى وقادرة على موازنة البعد الطائفى - المذهبى (الشيعى) الإيرانى، إلا أنها (تركيا) تواجه قيوداً مهمة يمكن أن تعوق قدرتها على أداء الدور المطلوب منها في الخليج، أولها، أنها حريصة على إعطاء الأولوية للحصول على عضوية الاتحاد الأوروبى. وثانيها، عدم استعدادها للقبول بمعادلة "الاقتصاد مقابل الأمن" نظراً للأعباء الهائلة للقبول بمثل هذه المعادلة. وثالثها، أن ما بين تركيا وإيران من

الأمـــن الإقليمي الخليجـــى

مصالح مشتركة لا يسمح لتركيا بأن تكون قوة مناوئة للدور أو للطموحات الإيرانية في الخليج.

أما ثالث هذه المبادرات وأحدثها، والتى يمكن أن يكون أحد دوافعها إدراك قادة دول المجلس بصعوبة التعويل على الدور التركى وحده لبناء نظام أمن إقليمى جديد، فهى المبادرة التى جاءت على لسان وزير خارجية البحرين الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة على هامش مشاركته فى اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك الشهر الماضى، حيث دعا إلى إقامة "منظمة إقليمية" تضم الدول العربية وتركيا وإيران وإسرائيل.

وفى معرض توضيحه لمضمون فكرة هذه المنظمة قال أن "هذه المنظمة المقترحة يجب أن تتجاوز الأعراف والأديان، فالشرق الأوسط مهد الأديان السماوية كلها تقريبا"، وقال أنه "يتعين على إسرائيل وإيران وتركيا والدول العربية الجلوس معاً فى منظمة واحدة. ألسنا جميعاً أعضاء فى منظمة اسمها الأمم المتحدة على أساس عالمى؟، فلماذا ليس على أساس إقليمى أيضاً؟".

هذه الفكرة ليست جديدة، فهى معروضة منذ سنوات كأحد الخيارات المحتملة للأمن الإقليمى الخليجى وكانت تطرح ضمن الدعوة إلى إقامة منتدى أمنى للشرق الأوسط، لكن عندما طرحتها بعض مراكز البحوث والدراسات الأمريكية كانت تستبعد إسرائيل وكانت ترجئ المشاركة الإسرائيلية لحين حل الصراع العربى – الإسرائيلى، وكانت تربط بين هذا المنتدى والأمن الأوروبى عبر مشاركة أوروبية، أما أن تتجاوز هذه المبادرة العقبة الإسرائيلية قبل حل الصراع العربى – الإسرائيلى، فإن ذلك سيجعلها مستحيلة، إن لم يكن لرفض عربى فلحتمية الرفض الإيرانى، الذى أكده بالفعل وزير الخارجية الإيرانى منوتشهر متكى الذى قال فى أول تعليق إيرانى عليها: "مع احترامى الكامل لأخى العزيز الشيخ خالد وزير خارجية البحرين، أعتقد أن هذا الاقتراح غير قابل للتنفيذ"، وأضاف: "إن أصدقائنا البحرينيين يعرفون أين تكمن المشكلة الحقيقية، ولماذا يتعذر مثل هذا الاقتراح"، وأوضح متكى ما يريده بالقول أن بلاده تعتبر إسرائيل "نظاماً غير قانونى وتوسعياً ويمارس الاحتلال وأن هذا النظام ليس شرعياً ولا جدير بالثقة".

رفض إيرانى بديهى يدركه حتماً الوزير البحرينى، فلماذا كان الحرص على جعل إسرائيل طرفاً فى هذه المنظمة الإقليمية المقترحة؟

هل المطلوب تأسيس المنظمة دون مشاركة إيرانية؟، بوضوح أكثر هل إيران هى الهدف؟، وهل يمكن أن تكون إسرائيل هى القوة المضافة إلى تركيا لموازنة إيران؟

أسئلة مهمة وضرورية لا يكفى للإجابة عليها ما أوردته وزارة الخارجية البحرينية من نفى لما قيل تعليقاً على مبادرة وزير الخارجية البحرينى من أن هدفها هو تطبيع العلاقات مع إسرائيل.

الصمت يحمل معنيين: أولهما، إما أن يكون الهدف فعلا هو إقامة منظمة إقليمية تشارك فيها إيران باعتبارها قوة خليجية أساسية، مع دول المجلس وتركيا والعراق ودول عربية أخرى لتأسيس أمن إقليمى خليجى حقيقى، وربما بمشاركة أطراف دولية، على نحو ما هو مطروح منذ سنوات. وثانيهما، أن تكون هذه المنظمة هدفها احتواء ومحاصرة إيران وتأسيس نظام أمن إقليمى عماده دول المجلس وتركيا وإسرائيل وأطراف أخرى من بينها بالطبع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى.

فإذا كان المعنى الأول هو الهدف، فإن هذه المبادرة ستكون فتحاً جديداً ومهماً لحل معضلة الأمن الإقليمى الخليجى، أما إذا كان المعنى الثانى هو الهدف فإنها ستفتح آفاقاً جديدة ليس فقط للصراع بل وللاستقطاب الإقليمى على قاعدة محورى "الاعتدال" و"الشر" التى تروج لها الولايات المتحدة وتدعمها إسرائيل، الداعية، وعلى لسان وزيرة خارجيتها (المكلفة برئاسة الحكومة) تسيبى ليفنى لتأسيس "حلف سنى" تشارك فيه لمواجهة "الهلال الشيعى" الذى تقوده إيران.

د. محمد السعيد إدريس

دراسة

نقاط الضعف المكشوفة فى إيران
من النواحى السياسية والديموغرافية والاقتصادية ١/ ٢

Iran's Political Demographic, and Economic Vulnerabilities.

إعداد الدكتور/ فوزى درويش

نبذة مختصرة عن الدراسة:
تهدف هذه الدراسة إلى مساعدة المحللين ، وصناع السياسة الأمريكيين لتقييم نقاط الضعف السياسية ، والديموغرافية ، والاقتصادية لإيران. وتقوم هذه الدراسة بنوع من "تشريح" التعقيدات السياسية للحكومة الإيرانية، وتقييم التوترات العراقية والديموغرافية فى إيران مع تقييم للتطورات الاقتصادية الأخيرة، وإتجاهات النمو الاقتصادى فيها مستقبلا.

وتنتهى الدراسة بمجموعة من التوصيات السياسية للحكومة الأمريكية مبنية على التحليل: وهذا البحث الموثق قد اشرف عليه نائب رئيس أركان حرب القوات الجوية الأمريكية وتم تنفيذه من خلال استرتيجية مشروع "راند". وكانت هذه الدراسة قد تم تنفيذها فى ظل مشروع السنة المالية ٢٠٠٥ تحت عنوان: The USA Forces' Role in the Future Middle East ثم جرى تحديثها فى عام ٢٠٠٧ .

إطار المشكلة

لقد تصاعد الوضع الإيرانى بين اهتمامات الولايات المتحدة خلال السنوات القليلة الماضية. ويبدو أن هذا البلد فى طريقه لكى يصبح قوة نووية، فى أشد مناطق العالم تأرجحاً وعنفاً. لقد انغمست إيران بشدة فى العراق، وقدمت دعماً سياسياً ومالياً للجماعات الشيعية بمن فيهم الذي يعارضون الوجود الأمريكى. وتعتبر إيران مصدراً للمتفجرات الشديدة الإحتراق والقنابل التى أودت بحياة أعداد كبيرة من الجنود الأمريكيين فى العراق. كما أن الحكومة الإيرانية تجابه كلا من الولايات المتحدة ، وإسرائيل، وأوروبا الغربية على نطاق واسع من المسائل الأخرى. إنها تقدم الدعم النقدي والأسلحة لحزب الله فى لبنان، وقد استخدم حزب الله الأسلحة الإيرانية فى مهاجمة إسرائيل. كذلك تمد إيران حركة حماس الفلسطينية بالدعم المالى السياسى وهذه المنظمة هى التى تنكر على إسرائيل حق الوجود.

ومنذ سقوط الشاه فى عام ١٩٧٩ ، فإن العلاقات بين إيران والولايات المتحدة قد ساءت. ولقد تسبب إحتلال السفارة الأمريكية فى طهران فى تعميق وتشويه صورة إيران فى أذهان صناع السياسة الأمريكية على أنها تمثل النظام الشرير الذى لا يلقى بالاً للقانون الدولى. ورغم أن الولايات المتحدة وإيران قد تسنى لهما اكتشاف إمكانية وجود علاقات أكثر دفئاً أثناء فترة رئاسة محمد خاتمى، فإن التقارير التى ترد حول استمرار الدعم الإيرانى للجماعات الإرهابية قطعت اهتمامات الولايات المتحدة في هذا التقارب ومنذ انتخاب محمود أحمدى نجاد للرئاسة في ٢٠٠٥، وعلاقات إيران مع الغرب آخذة في التدهور.

وتلعب إيران دوراً مركزياً في سياسات الشرق الأوسط، كما أن لها نفوذها في العالم الإسلامى. ورغم أن إيران ليست

دولة عربية، فإن قادتها ينظرون إلى بلادهم على اعتبارها قيادة إقليمية في نشر الثورة الإسلامية، ودعم القيم الإسلامية. وإيران من جهة أخرى، هى أحد الدول المهمة في تصدير النفط ولديها ثلث احتياطياته العالمية. وقرارات إيران بالنسبة لسياستها الخارجية، وطموحاتها بأن تصبح قوة نووية، ومنتجة كبرى للنفط والغاز، وموطناً عقائدياً في المنطقة والعالم، ينعكس كل ذلك على جيرانها وعلى الدول الأبعد جغرافيا كذلك.

وتصريحات أحمدى نجاد "النارية" حول "الهولوكوست"، وإسرائيل، والولايات المتحدة، ومختلف دول أوروبا الغربية تعمل على زيادة الرعب حول نوايا إيران و اتجاهاتها، وأكثر من ذلك، فإن هذه التصريحات شجعت مجموعات وأشخاصاً في العالم الإسلامي للاتحاد ضد الغرب. إن إمكانية وجود إيران التي تمتلك أسلحة نووية قد عملت على زيادة المخاوف، وأثارت إمكانية أن تتبع كل من السعودية وتركيا نفس الاتجاه لحيازة نفس الإمكانات، إن إيران تمتلك الآن قوات عسكرية وأمنية أكثر قوة عن تلك التي تمتلكها جيرانها. وباختصار، فإن إيران تمثل مجموعة من الصعوبات بالنسبة لصناع السياسة الأمريكية.

الغرض من الدراسة

تهدف هذه الدراسة المركزة إلى وصف الفرص المتاحة أمام صناع السياسة الأمريكية للتأثير على السلوك الإيراني طبقاً لخطوط أكثر مناسبة للمصالح الأمريكية، فضلاً عن تقسيم ردود الفعل الداخلية المحتملة في داخل إيران في حالة القيام بعمل عسكرى ضدها.

ولذا فقد تم من البداية تقييم مدى انكشاف القيادة الإيرانية في إطارها السياسى، والعرقى، والديموغرافى، والاقتصادى، ولدى فحص كل من هذه النواحى، تم تحليل الضغوط الواقعة على كل من الحكومة والمجتمع، بالتعرف على النواحى التي يكون بمقدور الولايات المتحدة مباشرة نفوذها وتأثيراتها، كذلك تم وصف كيفية اختيار الأحوال السياسية والديموغرافية، والاقتصادية التي يمكن أن تحدد مدى هذا التأثير بالنسبة لتلك السياسات الأمريكية حيال إيران، وتنتهى الدراسة باقتراح سياسات أمريكية ممكنة يمكن لها أن تستغل هذه النقاط المكشوفة في حدود ضوابط تراعى الحقائق التي تفرضها الأوضاع في إيران.

يتناول الفصل الثانى من الدراسة النظام السياسى والقائمين على أمره، وطرح نواحى القوة والضعف في الحكومة مع تحليل كيفية صنع القرارات، ومدى المشاركة الشعبية في مجرى العملية السياسية، ونواحى عدم الرضا وقدرة المؤسسات الحكومية على المصالحة والمواءمة بين المطالبات المتنافسة نحو القوة والنفوذ.

أما الفصل الثالث، فإنه يتفحص دور العقيدة والنواحى العرقية ethnicity في إيران حيث يجرى تأثيرها على الصعيدين المحلى والسياسة الخارجية كذلك. فإيران مختلفة عرقياً، حتى أن الفرس يشكلون بالكاد نصف عدد السكان. ومن الناحية التاريخية، فإن الحكومات الإيرانية كانت ترى في هذا التفاوت العرقى تحدياً للوحدة القومية. ولمواجهة هذه التصدعات العرقية، فإن نظام الحكم الحالى كما كان الحال في عهد الشاه من قبل يبحث عن وسيلة تؤكد الهوية الإيرانية لرأب الهويات التي ترتكز على الأشكال العرقية. وهذا النظام الحالى والحكومات السابقة قد عملت على اجتذاب أهل الشيعة من أجل إيجاد منبع قوى من الناحية العقائدية. وهذه الحكومات قد حققت بعض النجاح في هذه السياسات، لكن مجموعات الأقلية الأكثر عدداً لا تزال تمتلك القدرة على التأثير السياسى، وفى بعض الأحيان، تتحدى سياسات النظام.

يقوم الفصل الرابع بتقييم التغييرات التي تحدث من جانب الضغوط الديموغرافية في إيران. فمن ناحية، فإن معدلات المواليد قد هبطت هبوطاً حاداً، مما شكل الضغوط نحو بناء مدارس جديدة ومن ناحية أخرى، فإن الأطفال الذين ولدوا أثناء الازدهار الذى حدث في الثمانينيات دخلوا الآن مرحلة الرجولة ومن ثم فهم يبحثون عن عمل لهم. وبحلول عام ٢٠١٧، فإن الحكومات الإيرانية سوف تمضى في مواجهة ضغوط كبيرة من أجل إيجاد فرص عمل لهؤلاء.

أما الفصل الخامس: فتصف الدراسة التحديات السياسية والاقتصادية وتحدياتها للحكومة الإيرانية التي سوف تواجهها خلال عام ٢٠١٧ فالحكومة الإيرانية يكون عليها استخدام هذه الفترة ذات الأسعار المرتفعة للنفط في السوق العالمية، والزيادة الحالية في الطاقة الإنتاجية من أجل دفع عجلة النمو في الدخول وفرص العمل. ويكون على الحكومة الإيرانية أن تقوم في نفس الوقت بتنويع مصادر الصادرات، والدخول من الضرائب، حتى لا تكون مرتكنة فقط على النفط. وتقوم الدراسة بتقييم تلك الدرجة التي تعتمد فيها إيران على النفط وتقييم المدى الذى تظل فيه إيران قادرة على تخفيف حدة هذه النقطة المكشوفة.

لقد أصبح الأداء الضعيف للاقتصاد الإيرانى مصدراً لعدم الرضا الجماهيرى. فمنذ ١٩٧٩ وبقدوم الثورة الإسلامية، مارس القادة الإيرانيون سياسات اقتصادية غير سوية مما أثر على الاقتصاد الإيرانى وجعله أقل قدرة مما كان ينبغى له. وفى ظل حكومة خاتمى، كانت التغيرات الاقتصادية قد أسهمت في دفع عجلة النمو الاقتصادى، خاصة في القطاعات الأخرى من غير الطاقة، كما نما القطاع الخاص بسرعة أكبر من القطاع العام. أما في ظل أحمدى نجاد، فإن هذه التحديات

التي كانت تهدف لتحرير الاقتصاد قد أصابها الركود. ونظراً لأن أعداداً كبيرة من الشبان الإيرانيين يدخلون في نطاق القوة العاملة ويبحثون عن وظائف لهم، فإن الإخفاق من معالجة السلبيات الاقتصادية، وتحسين السياسة الاقتصادية للوصول إلى النمو الاقتصادي قد أثار موجة عن عدم الرضا، ولقد انتهى الفصل الخامس من الدراسة بتقييم ما هو منتظر في المستقبل بالنسبة للاقتصاد الإيراني وما هو منتظر كذلك بالنسبة لزيادة نصيب الفرد من الدخل سواء في ظل سياسات أحمدي نجاد أو في ظل سيناريوهات أخرى أكثر تفاؤلاً.

وفى النهاية نجد الفصل السادس يتناول تلخيص نواحي الضعف المكشوفة التي تواجه الحكومة الإيرانية، مع وضع السياسات الأمريكية التي يمكن لها أن تستفيد من هذه النقاط المكشوفة. وفضلاً عن ذلك، الاستفادة من التوصيات، معرفة الحدود التي ينبغي مراعاتها في تطبيق هذه السياسات للتأثير على السلوك الإيراني.

التحديات العرقية وسياسات الهوية

التاريخ السياسي الحديث لإيران مفعم بمحاولات لتقوية هوية إيرانية واحدة تطغى على النواحي الإثنية والولاءات القبلية. وفى عهد "بهلوى"، فإن ذلك حدث تحت برنامج الشاه للتحديث وامتدت في ظله سيطرة الحكومة المركزية على المناطق الهامشية وشجعت اللغة الفارسية والثقافة الفارسية متناسية الجماعات العرقية والأقليات في إيران. لكن الثورة الإصلاحية سلكت مسلكاً مختلفاً وإن كان في اتجاه مشابه، مؤكدة على الهوية العقائدية التي كانت بطبيعتها تتجاوز القوميات والنواحي العرقية، ولكنها- مثل حملة الفارسية Persianization فى عهد بهلوى- رفضت الاعتراف بانعدام التجانس العرقي داخل إيران. وفى نفس الوقت، وخاصة أثناء الحرب الإيرانية- العراقية والنزاعات الأخيرة مع المجتمع الدولي حول برنامج إيران النووي حاولت الحكومة صياغة هوية إيرانية مشتركة مبنية على القومية. لكن المدى الذي نجحت فيه هذه الإيديولوجيات في دعم هوية إيرانية تعلو على الولاءات العرقية تظل محلاً لسؤال ينتظر الإجابة. سؤال حكم لكي يتسنى فهم احتمالية أن يقوم التغيير السياسي أو التدخل الخارجي بأخذ عنان هذه الحالة من الصراعات النائمة.

وعلى غير ما هو قائم في كثير من جيرانها نجد أن إيران كان لها تاريخ طويل كدولة للفرس أى تلك التي كانت لها إمبراطورية، أو دولة لسنوات طويلة ورغم هذا التاريخ الطويل، فإن إيران كانت دولة بأكثر مما كانت كأمة. وهذا الميراث قد أجبر أنظمة متتالية لكي تتفاضل ضد هويات متنافسة لا تقابل بالضرورة الحدود الجغرافية لإيران، والوضع المتكامل تكاملاً قوياً بالنسبة للجماعة الأكبر حجماً في البلاد والأكثر أهمية- وليست فارسية من الناحية العرقية، والتي تضم ٢٠ مليون آذرى من الأقوياء - وكذلك التضامن من جانب كافة القطاعات في المجتمع في الدفاع عن سلامة الأراضي الإيرانية أثناء الحرب الإيرانية- العراقية (١٩٨٠- ١٩٩) يفترض معه أن إيران قد نجحت بشكل كبير في صهر هوية تتجاوز الانشقاقات القبلية والعرقية. وعلى أية حال، فإن تاريخ إيران الحديث يفترض أن بعضاً من التدخل الخارجي قد زاد من الشقاق العرقي داخل إيران. وتبعا لذلك، فإن صعوبة التحكم في سياسة الهوية في إيران يستحق الإلتفات إليه سواء باعتباره متحكماً في التحرر السياسي، أو كذلك باعتباره تهديداً للاستقرار في حالة وجود فراغ فى القوة.

التكوين العرقي والعقائدي لإيران

تعتبر الجمهورية الإسلامية الإيرانية مختلفة عرقياً. فالفرس لا يشكلون سوى ما يزيد قليلاً عن نصف السكان، ويشكل عنصر "الآذرى" ربع السكان، أما الجيلاك Gilaki، والمازاندرانى Mazandarani، والأكراد، والعرب، والبلوش والتركمان فإنهم يشكلون أقليات لها وزنها. ولذلك فإن الاختلاف العرقي واللغوى في إيران أكثر نطاقاً عنها في جيران إيران من ناحية الغرب. وعلى سبيل المثال، نجد أن نحو ٦٠ بالمائة في العراق من العرب الشيعة، ونحو ٢٠ بالمائة من العرب السنة وأقل من ٢٠ بالمائة من الأكراد مع أعداد ضئيلة من التركمان والأزور Assyrians. وأما تركيا فيسكنها ٨٠ بالمائة من الأتراك. ولربما كان أقرب الشيعة لإيران بالنسبة للاختلاف العرقي هو في باكستان إذ أن نصيب أكبر الجماعات وهم البنجاب يشبهون الفرس في نسبتهم العددية في إيران. والباقى "يتكون" من عدد كبير من الأقليات العرقية، وعلى النقيض من الاختلاف العرقي فيها نجد أن إيران متجانسة نسبياً في المجال العقائدي: فهناك ٨٩ بالمائة من السكان من الشيعة. وأكبر كتلة سكانية غير الشيعية - المسلمين السنة- كانت جذورها بدرجة كبيرة آتية من الأكراد، والبلوش، والتركمان.

وفى الماضي، فإن تداخل الهويات قد شكلت تحديات سياسية للأنظمة الحاكمة، في إيران، فعناصر الآذريين، والأكراد من السكان كثيراً ما تحركت مطالبة بحريتها الثقافية، وبدرجة من الاستقلال الداخلي تجاه طهران. وهاتان الجماعتان قد شكلتا كتلة جغرافية متماسكة. وفضلاً عن ذلك، فإن مجتمعات كبرى من المشتركين إثنياً يعيشون في دول مجاورة. ولقد استطاع الشاه الأخير محمد رضا بهلوى، وأبوه رضا بهلوى أو الحكام الحاليون لإيران تحاشى أو التخفيف من الاتجاهات الانفصالية لهاتين الجماعتين العرقيتين. وفى الآونة الراهنة، هناك أعداد ضئيلة جداً من هاتين الجماعتين لا يزالون يدعون إلى الانفصال عن إيران.

جدول يوضح إنتمائية المجموعات العرقية الكبرى والمجموعات القبلية في إيران

المجموعة العرقية والمحافظات التي تغلب فيها	الانتماء العقائدي	اللغة	الدول المجاورة المشتركة عرقيا
العرقية فرس همدان، طهران، ماركازي قم، سيمان، أصفهان، فارس، بوشهر، يازد، كرمان، خورسان، شهرماهال، بختياري.	شيعة	هندو أوروبي	أفغانستان وطاجيكستان أوزبكستان
آذري غرب أذربيجان، شرق أذربيجان، زانجان، كازفين.	شيعة	تركي	جمهورية أذربيجان، تركيا، جمهورية جورجيا
جيلاكي ومازاندراني مازاندارن، جيلان	شيعة	هندو أوروبي	
أكراد غرب أذربيجان، كردستان، إيلام، كرمانشاه.	سني ٧٥٪	هندو أوروبي	تركيا، العراق، سوريا
عرب خوزستان، هورموزجان	أغلبية شيعية	سيميتيك	خلال الشرق الشرق الأدنى وشمال أفريقيا
بلوخ سيستان عبر بلوخستان، كرمان	سني	هندو أوروبي	تركمانستان وأفغانستان
تركمان خوراسان، مازاندران، جوليستان	سني	تركي	تركيا وأفغانستان والعراق
اللور بورستان، إيلام، بوير، أحمد عبر كوجيليوه	شيعة	هندو أوروبي	

السياسات العرقية الإيرانية في الماضي

يعتبر الإسلام على المذهب الشيعي بمثابة الغراء الذى يقوم بتجميع صف الوحدة القومية الإيرانية. ولقد عملت الجمهورية الإسلامية على إرساء شرعيتها على شكل من أشكال القيادة الثقافية من ناحية وعلى القومية الإيرانية من ناحية أخرى مستخدمة في ذلك التجانس الذى يعززه النفوذ العقائدى لتجاوز الولاءات العرقية والقبلية. ومنذ قدوم الثورة الإسلامية، فإن التعريف بالهوية الإيرانية ارتكز في الأساس على عقيدة مشتركة هى الشيعية بالإضافة إلى ثقافة مشتركة وتاريخ مشترك. وهذه التركيبة المنصبة على العقيدة للشخصية الإيرانية كانت لها أكبر الفائدة بالنسبة لنظام الحكم الإيرانى حينما كانت الولاءات الفرعية تتجه نحو تحدى سلطتها. وفى مثل هذه الأحوال، فإن عالمية الإسلام يمكن من ثم استخدامها لدحض شرعية المطالب الناشئة من المخاوف الداخلية، كما حدث حينما حدث رد الفعل بالنسبة للاضطرابات التى أثارها الأكراد في أوائل الثمانينيات. فقد كان رد فعل آية الله روح الله الخمينى عنيفاً تجاه تلك الاضطرابات حين قال بعالمية الإسلام بما يتجاوز من ثم حقوق الأقليات العرقية. فقد قال حينذاك بأنه "فيما يتعلق بالإسلام، فلا مجال للقول بحقوق للأكراد، أو "البلوش" أو العرب، أو "اللور" أو التركمان.. فلكل إمرئ الحق في التمتع بحماية الإسلام" حتى أن النظام نشر قوات الحرس الثورى لإيران لإخماد هذه الإضطرابات.

غير أن التأكيد على الشيعية يساعد في الوقت ذاته على التفرقة، فالبهائيون في إيران والمسلمون من أهل السنة قد واجهوا درجات متفاوتة من القمع في بدايات الثورة

الإسلامية. فالثورة الإسلامية تعتبر البهائيين كفرع إصلاحى من الشيعة ويعتبرونه نوعاً من المنشقين وإختصتهم بقدر من المعاملة القاسية. ورغم أن جماعة البهائيين فى إيران ليست كبيرة العدد ولا تشكل تهديداً بالنسبة للنظام، فإن الحكومة حاكمت نحو ٢٠٠ من البهائيين، وسجنت نحو ٦٠٠ آخرين منهم فى الثمانينيات لمجرد إنتمائهم وتمسكهم بمعتقداتهم.

أما أهل السنة فلم يخضعوا لنفس الدرجة من الاضطهاد كما حدث بالنسبة للبهائيين. وعلى أية حال، فإن أهل السنة عادة ما كانوا يعانون من التمييز باعتبار أن كلا منهم يمثلون أقلية عرقية وعقائدية. وكثير من أهل السنة فى إيران هم من الأكراد، والبلوش، أو التركمان.

على أن حركة التصحيح التى قام بها الرئيس السابق محمد خاتمى خففت من استخدام الدولة للإسلام كأداة للضغط على حقوق الأقليات. وقام خاتمى بجهد منظم للتغاضى عن "غير الفارسيين"، وغير الشيعة. وفى انتخابات ١٩٩٧ وزع أنصار خاتمى مواد انتخابية باللغات الكردية، والآزرى، وبنى خاتمى حملته الانتخابية على وعد بتوسيع نطاق اللغة بالنسبة للأقليات من غير الفرس.

غير أن الشقاق فى سياسة الهوية فى إيران له تاريخ عميق فى إيران، ومن المحتمل أن تبقى من التحديات بالنسبة للجمهورية الإسلامية. فحينما وصل رضا خان إلى السلطة فى عام ١٩٢٥ كان هناك جانب كبير من إيران خارج سيطرة الحكومة المركزية. ولذلك فإن الثورة الدستورية (١٩٠٥ - ١٩٠٩) نادت بتوزيع أكبر من السلطة للمحليات وواجهت محاولات الشاه لدعم الدولة الإيرانية مجموعة من المصاعب، بما فى ذلك الاختلافات اللغوية، وإنخفاض مستويات القراءة والكتابة، وضعف السيطرة الإدارية، ومجتمع ريفى غير مستقر. وباستخدامه قدراً من الضغط الشديد نجح رضا خان مؤقتاً فى نزع السلطة من مراكز القوة المتنافسة وكان من بينهم رجال الدين وزعماء القبائل. وكانت سياسة الشاه شديدة التسلط، وغالباً ما كانت شديدة القسوة، بما فى ذلك تحديد أماكن قسرية للرجل، وإجبار النساء على خلع الحجاب، وإهمال أو قهر الأقليات وتركيز السلطة فى طهران.

وفضلاً عن ذلك، كان إقامة نظام للتعليم الشامل يحل محل ما كان يعرف "بالمكتبخانة" وهى مدارس دينية تابعة للحكومة. وهذه المؤسسات أصبحت أداة فى يد الشاه لدعم الفارسية باعتبارها اللغة القومية، ومن ثم غرس هوية قومية موحدة. وكان المغزى فى هذه الحركة يتلخص فى الآتى: "إن تحقيق وحدة قومية يعنى أن اللغة الفارسية ينبغى دعمها خلال البلاد بكاملها، وأن الاختلافات فى الملبس، والعادات وغير ذلك ينبغى أن تختفى، وألا يختلف الأكراد، واللور، والكاشكا، والعرب، والترك، والتركمان الواحد منهم عن الآخر بارتداء ملابس مختلفة، أو التحدث بلغة مختلفة، وإن هذا العمل لا يتسنى إنجازه إلا إذا تم إنشاء المدارس الابتدائية فى كل مكان. وإلا إذا صدرت القوانين بجعل التعليم الابتدائى إلزاميا.

وأثناء حكم رضا خان تضاعف القيد فى المدارس الابتدائية بأكثر من خمسة مرات من ٤٣,٠٢٥ طالب إلى ٢٤٤,٣١٥ طالبا. وكانت كافة الكتب المدرسية يتم طبعها باللغة الفارسية من قبل السلطات فى طهران. ومن ثم أصبح التعليم الأداة الهامة فى جهود الشاه نحو مزج الهوية القومية الإيرانية مع أكبر المجموعات العرقية فيها، وهى الفارسية.

وهناك جانب آخر من سعى رضا خان لتأكيد سيطرته، وهو تركيز الاستثمار والتنمية الاقتصادية فى المنطقة المركزية من إيران، أما المناطق الهامشية حيث يوجد موطن الآزرى، والأكراد، والعرب، والبلوش، والتركمان فقد تم إهمالها نسبياً. وبعض هذه المناطق - مثل بلوشستان، والمناطق الأخرى، بما فى ذلك مقاطعات الآزرى فى شرق وغرب أذربيجان فقد عانت من تركيز الشاه على الصناعة فى طهران، وأصفهان، والمازاندران على حساب المناطق غير الفارسية مثل تبريز.

وهذا التهميش للمناطق الواقعة على الأطراف استمر طيلة حكم محمد رضا خان (١٩٤١ - ١٩٧٩). وعشية الثورة الإسلامية فإن المقاطعات التى بها الغالبية من الآزريين، والأكراد، والبلوش عانت من ضعف العناية فى أمور الصحة والتعليم ومستوى الدخل. ففى المقاطعات الفارسية المركزية ٢٠ بالمائة كانوا يعانون من الفقر، ولكن أكثر من ٣٠ بالمائة فى مناطق الأكراد والآزريين كانوا يعيشون تحت خط الفقر، كما أن نسبة ٧٠ بالمائة أو أكثر من بلوخستان كانوا أيضاً تحت خط الفقر.

ولقد ظل هذا الميراث الثقيل قائماً حتى اليوم. فالأمم المتحدة، على سبيل المثال تقول فى تقاريرها. أن أعلى معدل وفيات الأطفال، وأدنى نسب تعلم القراءة والكتابة فى إيران لا تزال توجد فى كردستان وبلوشستان كما تقول نفس التقارير أن هناك تفاوت واسع فى التنمية داخل إيران بما يفترض معه وجود الحاجة إلى "مزيد من التوزيع العادل للمصادر الاقتصادية". وعلى السطح كان تركيز السلطة فى أيدى الشاه ربما أظهر ذلك أنه قد تم إحراز قدر من النجاح. وعلى أية حال، فإن القوميات المتنافسة فى إيران كانت فى حالة ثبات، لكنها لم تؤكد ذاتها إلا حينما اشتد ضعف النظام البهلوى. وأكثر الأمثلة دلالة على الاضطرابات حدثت فى نهاية الحرب العالمية الثانية حينما ظلت مناطق شمال إيران تحت الاحتلال السوفيتى، مما عزل هذا الجزء من البلاد عن سيطرة النظام. وفى ذلك الوقت، ظهرت حركات تدعو إلى الاستقلال سواء بين الآزريين وبين السكان الأكراد مما أسفر عن إيجاد "الحكومة الوطنية لأذربيجان" فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٥، وجمهورية كردستان فى ٢٢ يناير ١٩٤٦.

غير أن حكومة أذربيجان لم تتمكن فعلياً من الانفصال عن

إيران، منادية بان تكون نوعاً من الفيدرالية معها. وفى حين أكدت أن الشعب الأذربيجانى يشكل أمة مختلفة، فإن الحركة تعهدت أنها سوف لا تتحدى السلامة الإقليمية للأراضى الإيرانية. ولقاء ذلك، فإن مؤسسى هذه الدولة داخل الدولة طالبوا باستخدام اللغتين الأذربيجانية والتركية فى مدارسهم المحلية وفى الإدارات الحكومية. كذلك عبروا عن رغبتهم فى مزيد من السيطرة على تخصيص الضرائب المحلية وإقامة مجالس محلية تمثل الأذربيجانيين فى تعاملهم مع طهران، وهو حق نص عليه الدستور الإيرانى لكنه لم يتم الاعتراف به فى ظل حكم الشاه.

وهذه الحركات الداعية للاستقلال ظلت نائمة إلى أن عاد ظهورها فى الاتجاه نحو إلغاء الملكية الأمر الذى عجل بثورة ١٩٧٩. وبرهن عنصر الآزريين على وجه الخصوص عن وجوده فى تحدى مشروعية حكم الشاه مما عجل بتنازله عن العرض. وحسبما تم فى نشاط الآزريين فى ظل حكومة محمد مصدق عام ١٩٥٣ كانت أهداف الجماعة بالدرجة الأولى شعار "الكل إيرانى" متحداً بدرجة ما مع المطالب العرقية. ومنذ ١٩٧٧ فصاعداً فإن جامعة تبريز - وبدرجة أقل "جامعة أورميا" - أصبحتا بؤرة الاحتجاجات للطلبة الإيرانيين، والنشاط المضاد لنظام الحكم. وفى ١٢ ديسمبر ١٩٧٧ - وهو تاريخ ذكرى إقامة وسقوط الحكومة الوطنية لأذربيجان - قام المتظاهرون فى جامعة تبريز بالتجمهر للهتاف ضد نظام الحكم. ولقد أدت هذه المظاهرات إلى الصدام مع وحدات الجيش، الأمر الذى أسفر عن تدمير بعض الممتلكات. واستمر هذا الضغط بعد ذلك مع قيام السكان من الآزريين بلعب دور هام فى الاضطرابات التى أجبرت الشاه على التنازل عن العرش.

ورغم الدعم القوى والمشاركة من جانب الأقليات العرقية أثناء الثورة الإسلامية، حينما دعم آية الله خومينى مركزه عقب الثورة الإسلامية، صار من الواضح أنه لا الديموقراطية، ولا حقوق الأقليات صارت ملامح بارزة للجمهورية الإسلامية فى إيران. وبعد استقرار النظام الثورى فى السلطة، فإن الجماعات العرقية حاولت مرة أخرى أن تحقق لنفسها قدراً من الاستقلال لذلك قام التركمان، والبلوش، والعرب، والأكراد فى إيران بالثورة. وفيما عدا التحدى الكردى، فإن النظام قمع كلا منها بسرعة (١٩٧٩ - ١٩٨٠).

لكن المعارضة من جانب عناصر الآزريين كانت أكثر حنكة باستخدام مقاطعة التصويت - بما فى ذلك الاستفتاء حول إقامة الجمهورية الإسلامية فى إيران (أبريل ١٩٧٩) - وحول إقامة "ولاية الفقيه (ديسمبر ١٩٧٩)، وكذلك بالنسبة لأول انتخابات "للمجلس الرئاسى" - وذلك لتحدى مشروعية القيادة الجديدة، والاعتراض على عدم رغبة الجمهورية الإسلامية للتوافق مع مطالب الأقليات غير الفارسية. وقام أصحاب الرأى المتشددين داخل المجتمع الآزرى بالنشر بالآزربيجانية والتركية - وهى حرية كانت غير مصرح بها فى ظل حكم بهلوى - فى محاولة منهم لإجبار القيادة الجديدة للسماح بحقوق لغوية أكثر اتساعاً. غير أن رد فعل الحكومة لهذه المقاومة لم يكن عنيفاً لكنه كان لا يزال قمعياً بعض الشئ.

ولقد تجسدت فكرة مزج السلطة الدينية مع السلطة السياسية فى مبدأ "ولاية الفقيه"، ومن تم رفض دعاتها أغلب المطالب الآزرية المرتكزة على الناحية العرقية وقاموا بحملة مضادة استهدفت آية الله كاظم شريعتمدارى، وهو أحد رجال الدين صاحب النفوذ فى أوساط الآزريين، والذى كان يعارض الحكم الدينى الصبغة، والذى كان يسعى إلى وجود حريات ثقافية أكثر اتساعاً. وكان آية الله كاظم شريعتمدارى يتمتع بشعبية كبيرة جداً فى المقاطعات الأزربيجانية. وكانت مجابهته مع الخمينى يجرى تفسيرها على أنها بمثابة نموذج مصغر للنضال واسع النطاق بين الأقليات العرقية الذين يرومون قدراً من الاستقلال فى إيران الجديدة، وبين أولئك الذين ينادون بتوفير القوة للمركز واستمرار الهيمنة الفارسية.

وفى النهاية، فإن قيام "شريعتمدارى" بدعم النشطاء المحليين، ومعارضة "ولاية الفقيه"، وانتقاده لمواصلة الخمينى للحرب مع العراق بعد أن استمرت الجمهورية الإسلامية فى الهجوم على الأراضى العراقية، كل هذا أدى إلى تجريد "شريعة مدارى" من رتبته الدينية. وبعد ذلك قامت الحكومة رويداً رويداً ببسط سيطرتها على المقاطعات الأذربيجانية، مستخدمة الحرب مع العراق كمبرر، داعية الآزريين إلى أن يستشعروا وطنيتهم والدور الذى كانت تلعبه مقاطعاتهم كمصد ضد التوسع العربى.

التحديات فى الوقت الحاضر

رغم أن سكان إيران من الأكراد لا يمثلون سوى ثلث حجم مجموعات السكان الآزريين، فإن الأكراد يمثلون المشكلة الأكثر صعوبة بالنسبة للحكومة الإيرانية.

وفى حين يستمر الآزريين فى الشكوى من التمييز الذى تمارسه الدولة ضد غير الإيرانيين، إلا أنهم برهنوا على أنهم أكثر طوعاً للتقارب عن الأكراد فى إيران. فالآزريون باعتبارهم من الشيعة أكثر تكاملاً مع النسيج العقائدى الذى عرفت به الجمهورية الإسلامية. وفضلاً عن ذلك، فإن مجرد كبر حجم المجتمع الآزرى قد أجبر الحكومة الوطنية لتكون أكثر ترحيباً بهم. كذلك فإن الآزريين ممثلون تمثيلاً أفضل فى الطبقة التجارية مما زود مجتمعهم بقدرة اجتماعية واقتصادية وعلاقات أكثر توثقاً بمنطقة المركز الفارسى. كذلك كان الولاء من جانب الآزريين فى أوقات الشدائد قد جعلهم أقل تعرضاً للاتهام بالعمل بمثابة "طابور خامس" وهى تهمة لحقت بأكراد إيران عندما ألقى "الحزب الديموقراطى الكردى" بثقله مع صدام حسين أثناء الحرب الإيرانية -

العراقية والعلاقة بين المجتمع الكردي الإيراني والدولة الإيرانية أكثر سوءاً .. وعلى خلاف الآزرى، فإن الأمانى الكردية لدرجة أكبر من الاستقلال أدى بهم إلى دعم العراق خلال الحرب الإيرانية - العراقية. وفى البداية، فإن الغزو العراقى جعل المعارضة الكردية تعبر عن عزمها على التوافق مع النظام الإيرانى بتقديم خدمات البشمرجة (المقاتلين) فى مقابل الحصول على امتيازات من الحكومة، ومن بين ذلك الحكم الذاتى للأكراد. غير أن طهران رفضت هذا العرض. وبعد ذلك بدأت أقوى الفصائل فى المقاومة الكردية الإيرانية فى التنسيق مع نظام الحكم البعثى فى العراق وباقى الجماعات المدعومة من جانب العراق، لقاء مساعدة عسكرية من بغداد. والمهم أن هذا الميراث لهذا الاختيار من جانب الأكراد لا يزال يلح ويغذى الشكوك حول مدى ولائية الأكراد الإيرانية.

وبعد أن تمكنت الحكومة الإيرانية من إخضاع الأكراد عقب انتهاء الحرب، ظلت بعض الانتفاضات قائمة خلال فترة الثمانينيات وبداية التسعينيات. على أن نطاق القسوة التى ردت بها السلطات الإيرانية على هذه الانتفاضات زادت من اغضاب السكان الأكراد من الحكومة الإيرانية. وحتى بعد أن انتهى الصراع مع العراق استمر "الحزب الديموقراطى الكردى" فى إيران يتلقى أخبار اغتيال أبرز كوادره فى أوروبا. وبعد أول حروب الخليج كانت إيران تقوم بقصف معسكرات الحزب الديموقراطى الكردى والقرى المتعاطفة معه فى المنطقة التى عرفت بالمنطقة المحرم فيها الطيران فى العراق Iraqi No Fly Zone. وكان الأكراد فى الأراضى الإيرانية يتم وضعهم فى حقيقة الأمر تحت الحكم العسكرى، وقامت الحكومة الإيرانية بتخصيص ٢٠٠,٠٠٠ جندى لضمان الأمن فى المقاطعات الكردية.

ويلاحظ أن تخاوف إيران من النزعات الانفصالية قد زادت حدتها بقيام الولايات المتحدة بإزالة حكم صدام حسين وزيادة حجم الحكم الذاتى فى المناطق الكردية فى العراق. إذا نحن رجعنا إلى المنافسة التى كانت قائمة بين العثمانيين والصفويين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر لوجدنا أن القوى الأجنبية كانت تستعين بالأكراد ليكونوا بمثابة الوتد الفاصل فى المنطقة. وأثناء الحرب الباردة، كانت القوى العظمى تستخدم نفس الأسلوب. وأخيراً جداً فإن كلاً من إيران والعراق، وتركيا، وسوريا كلهم لعبوا بهذا "الكارت الكردى" كوسيلة من وسائل السياسة الخارجية. وفى ضوء هذا السجل التاريخى، نجد النظام الإيرانى سوف يظل يعتبر السكان الأكراد كخطر يهدد الأمن الداخلى، وأداة للنفوذ الأجنبى.

ومن المحتمل أن تبقى إيران تواجدها الأمنى المكثف فى المقاطعات الكردية، مع سيطرة قوية على السكان المحليين. غير أن تخاوف الحكومة من الميول الانفصالية الكردية سوف يستمر فى توجيه سياستها فى هذا الخصوص.

على أية حال، فإن المجتمع الكردى الإيرانى ليس بإمكانه النضال نحو الاستقلال. فهو يفتقر إلى الكتلة الجماهيرية، ويظل منقسماً على نفسه فى جماعات منفصلة داخل إيران، لا ترتبط بالمجموعات الكردية فى الدول المجاورة. ورغم أن الوطنيين الأكراد غالباً ما يتحدثون عن شعب كردى واحد، فإن هناك فروقاً لغوية وثقافية بين الأكراد بعضهم البعض، فضلاً عن صراعات استراتيجية حول الكيفية الأفضل لضمان حقوق الجماعات المختلفة منهم، مما حال دون ظهور حركة قومية تتجاوز الحدود وتعمل على توحيد كافة الأكراد. ولربما يظل الأكراد الإيرانيون مبعثاً للمعارضة للنظام الإيرانى، لكنهم لن يكونوا تحدياً ماثلاً أمام الدولة.

الأقليات الإيرانية والإصلاح السياسى

يعتبر المجتمع الإيرانى الآزرى أكثر تهيئة لأداء دور فى تحديد توجهات التحول السياسى فى إيران، عنه فى إشعال نار الانفصال العرقى. ولقد أثبت هذا المجتمع ولاءه للدولة الإيرانية ولسلامة أراضيها، وذلك بمقاومته لإغراءات جمهورية أذربيجان، ومن المحتمل أن يعمل الآزريين من خلال النظام الحالى للتعبير عن شكواهم. ورغم ظهور جمهورية آذربيجان المستقلة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وكونه مصدراً للزهو العرقى للآزريين، فإن ذلك لم ينشأ عنه دعم شعبى من المجتمع الآزرى الإيرانى للسعى للانضمام إلى أذربيجان.

وتظل مطالب المجتمع الآزرى فى إيران متواضعة نسبياً. تتركز فقط على توسعة الحريات الثقافية، مثل التحكم المحلى فى الإذاعة باللغة الآزرية، وقدراً أكبر من السلطة فى الحكومة المحلية، وتعزيز اللغة الآزرية على كافة الأصعدة من التعليم، بما ذلك الجامعى. وفى ضوء احتياجات النظام لتفادى ثنائية الولاءات داخل الحدود والدور الكبير الذى يطمح الآزريون فيه فى صفوف الحكومة ومجتمع رجال الأعمال، فإن الحكومة الإيرانية يحتمل أن تقدم "الجزرة" وليس بالأحرى أن تمسك بالعصا فى مواجهة أكبر الأقليات غير الفارسية.

ورغم أن بعض المراقبين يرون أن القومية الآزرية يمكن استغلالها كأداة للتأثير على الحكومة الوطنية، إلا أنه يبدو أن هناك دعماً شعبياً ضعيفاً داخل المجتمع الآزرى لتوكيد الهوية القومية بما يخالف القومية الإيرانية. والمنظمات القليلة ذات الهدف المماثل والموجودة حاليا، تنادى بحلول تتراوح ما بين إيجاد إيران الفيدرالية، إلى انفصال "جنوب آذربيجان" والاتحاد مع جارتها الشمالية. هذه الجماعات يجرى النظر إليها بوجه عام على أنها أعضاء فى "باكو" وليس بالأحرى أنها نتيجة الأنشطة المحلية.

وأشهر هذه المنظمات هى "حركة الصحوة الوطنية فى آذربيجان الجنوبية" Southern Azerbaijan National Awoking Movement وهى منظمة تقلد رئاستها المرشح السابق للمجلس Majlis "شهريجانى" - وهو حاليا منشق يقيم فى مدينة واشنطن. هذه الجماعات

تفتقر إلى الدعم المحلى لكى تشكل تحدياً فعالاً للحكومة الإيرانية. وإلى الحد الذى يجرى النظر إليها على اعتبار أنها متصلة بفاعلين من الخارج، فإن هذه الجماعات يمكن أن تضر بمصداقية النشطاء فى الداخل.

ولقد نادى "الآزريين" تاريخياً بوجود إيران الديموقراطية: وذلك أثناء الثورة الدستورية (١٩٠٥ - ١٩٠٩)، وأثناء التحدى الآزرى قصير المدى للشاه فى ١٩٤٥ - ١٩٤٦ وحتى بعد الثورة الإسلامية (١٩٧٧ - ١٩٨٠). واليوم، فإن مركز المجتمع الآزرى فى تبريز يعتقد أنه يستضيف أكثر النشطاء وأكثر الطلاب المنضمين لحركة الديموقراطية خارج مدينة طهران.

ولربما كان لدى غير الفرس من الإيرانيين دور يلعبونه فى إحداث تحول فى إيران، ولكن ذلك ربما لا ينتظر حدوثه إلا تحت ظل حركة كبرى، وليس بالأحرى من خلال حركة قوامها المعارضة العرقية.

إن الميراث المزدوج للتمييز ضد الأقليات العرقية من ناحية، والتنمية الاقتصادية غير المتكافئة من ناحية أخرى أوجدت دعماً قوياً فى المناطق غير الفارسية للإصلاح السياسى. ففى كل من الانتخابات الرئاسية التى أجريت فى عامى ١٩٩٧، ٢٠٠١ كانت الدوائر الانتخابية من غير الفارسية تميل بشدة نحو خاتمى ذى البرنامج الإصلاحى، على الرغم من أن عدم استطاعة خاتمى إحداث للتغيير المنشود كانت مخيبة للآمال لكثير من هذه الجماعات، وأصواتهم الانتخابية كان يجرى تفسيرها ليس على أنها قد أدى بها خاتمى فى حد ذاته، ولكن لأنها بمثابة معارضة للأوضاع الراهنة.

ومن المحتمل أن يظل الدعم للتغيير الديموقراطى فى أوساط الأقليات العرقية فى إيران ملحاً، طالما ظلت المناطق المهمشة فى البلاد متخلفة اقتصادياً. وعلى الرغم من أن الاقتصاد الإيرانى ظل يتنامى بشكل تراكمى، فإن مظاهر التخلف الاقتصادى يظل حاداً بالنسبة للأقليات العرقية. ولذلك فإن التمييز مقروناً بالأحوال الاقتصادية الأكثر فقراً، سوف يحرك الجماعات العرقية نحو تحدى الحكومة الإيرانية فى المستقبل.

التدخل الأجنبى والقومية الإيرانية

يجرى التساؤل، إلى أى مدى يقف الشعب الإيرانى موحداً فى مواجهة أى تدخل أجنبى؟، وهل إذا جوبهت إيران بقوة أجنبية، فهل يلقى قادة إيران الدعم الشعبى لنظام الحكم؟، أم أن جانباً مهماً من المجتمع سوف ينظرون إلى مثل هذا العمل على اعتبار أنه بصيص من الفرصة للانفصال عن هذه الحكومة الدينية؟

حول هذه الأسئلة، فإن التجربة الأمريكية فى العراق يمكن أن تمدنا بالإجابة. وعلى أية حال، فإن أى تقدير لهذا الوضع ينبغى أن يسبقه إدراك بأن سياسات الهوية فى إيران تختلف اختلافاً بيناً عنها فى السياسات العرقية فى العراق.

فقبل قيام الولايات المتحدة بغزو العراق، كانت العراق تحت حكم العرب السنة، وهى جماعة تمثل أقلية هناك. وعلى النقيض من ذلك، فإن إيران تحكمها أكبر عناصرها العرقية، وهم الفرس.

وعلى غير ما كانت عليه عراق صدام حسين حيث عانى كل من الشيعة والأكراد اضطهاداً ظاهراً، فإن الأقليات العرقية والدينية فى إيران تخضع لنوع أكثر مهارة من التمييز ويتمتعون بقدر أكبر من الحريات. فالعراق تعتبر دولة جديدة تاريخياً مكونة من بعض بقايا الإمبراطورية العثمانية. أما بالنسبة لدولة الفرس فقد كانت دولة منذ آلاف السنين.

وتفتقر الولايات المتحدة إلى حلفاء طبيعيين فى إيران. وعلى النقيض من ذلك، بالنسبة للعراق حيث كان الأكراد والشيعة من سكانها مهيئين لدعم أى حركة تطيح بالنظام البعثى. وعلى الرغم من أن الكثيرين - إن لم يكن الأغلبية - من الإيرانيين غير سعداء فى ظل الحكم الدينى، فإن عمق الآلام لدى الأقليات الإيرانية لا يمكن مضاهاتها بتلك التى كانت تعانيها الأقليات العراقية.

ومن جهة أخرى، ففى حين أن الكراهية تجاه الولايات المتحدة شديدة، وتتزايد شدتها فى العالم العربى، فإن الولايات المتحدة تتمتع بقابلية أكبر فى إيران، وخاصة بين جيل الشباب الإيرانى. والظروف السائدة فى إيران مخالفة فى عدة وجوه عن تلك التى كانت سائدة فى العراق، مما يفرض تحدياً شديد الاختلاف بالنسبة للولايات المتحدة.

فليس من المحتمل أن تعول الولايات المتحدة على الأقليات العرقية لدعم حدوث تغيير قسرى للنظام. فحجم إيران سواء بالنسبة للأراضى أو السكان يجعل الأمر أكثر صعوبة لإقناع السكان الموالين أن الولايات المتحدة سوف يكون باستطاعتها حمايتهم من انتقام الحكومة الإيرانية. وعلى غير ما حدث بالنسبة للعراق، حيث استطاعت الولايات المتحدة التزويد ببعض الأمن للسكان من غير السنة من خلال المناطق المحظور فيها الطيران، فإن جماعات الأقلية فى إيران معرضون بدرجة أكبر لكى تصل إليهم ذراع الحكومة.

ونظراً لأن الإيرانيين فى أكثريتهم الكبرى من الشيعة، وأكثريتهم كذلك من الفرس، فإن تغيير النظام ليس من المحتمل له أن يتم فيه تغيير الأوضاع السياسية للجماعات العرقية أو الأقليات العقائدية. ورغم أن جماعات الأقليات فى إيران تود لو أن هناك نظاماً أكثر تسامحاً، فليس باستطاعتهم أن يأملوا فى الاستيلاءعلى السلطة. وليس من المستغرب إذن أن نرى الجماعات العرقية الإيرانية لا ترنو إلا إلى نطاق أكثر تواضعاً من الأهداف مداها الفيدرالية. وبعض الجماعات ربما ترحب بتكتم بتدخل أجنبى، ولكن ليس من المحتمل أن تصبح هذه الجماعات بمثابة حلفاء يعتمد عليهم بالنسبة لسياسات ترمى إلى تغيير نظام الحكم بالقوة.

الصادرة باللغة الفارسية
خلال شهريور ١٣٨٧هـ.ش.
الموافق أغسطس/ سبتمبر ٢٠٠٨م

ركزت افتتاحيات الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية خلال شهريور ١٣٨٧هـ.ش. الموافق أغسطس/ سبتمبر ٢٠٠٨م على موضوعين رئيسيين فضلا عن الموضوعات الجزئية تبعا للأحداث التى وقعت خلال الشهر.

الموضوع الرئيسى الأول يتعلق بأسبوع الحكومة، حيث تحتفل إيران بالحكومة الإسلامية كل عام، فى ذكرى تفجير مقر مجلس الوزراء على يد منظمة مجاهدى خلق، واستشهاد رئيس الجمهورية محمد على رجائى ورئيس وزرائه محمد جواد باهنر فى تلك الحادثة، ويستمر الاحتفال أسبوعا تلتقى فيه الحكومة بالزعيم وبكبار علماء الحوزة الدينية، وبرؤساء السلطتين التشريعية والقضائية، فضلا عن مجلس خبراء الزعامة، ومجمع تشخيص مصلحة النظام، وذلك وفق برنامج يومى يخصص كل يوم فيه لكى تعرض الحكومة جانبا من إنجازاتها، وأطروحة من مشروعاتها المستقبلية على الجماهير وفى وسائل الإعلام، وأبرزت الصحف جميعها من خلال افتتاحياتها أهم ما يلفت النظر فى هذا الاحتفال هذا العام، وهو تقديم الرئيس أحمدى نجاد خطة حكومته حول التحولات الاقتصادية، فتابعت واشتركت فى الجدل الكبير الذى أثارته فى الأوساط السياسية والنخبة العلمية، وعرضت كافة الآراء مابين مؤيد ومعارض ومتحفظ ومشترط، وأكدت جميعها أن قول الزعيم فى هذه الخطة هو القول الفصل، ولكن كلا منها قد تناول توجيهات الزعيم من خلال موقفه الحزبى، فبينما أشارت الصحف ذات التوجه الإصلاحى إلى أوامر الزعيم بضرورة عمل الدراسات المتأنية، وعدم التسرع فى التنفيذ والاستعانة بالعلماء والمتخصصين فى تنفيذها، رأت الصحف ذات التوجه الأصولى أن قول الزعيم يتضمن موافقة على الخطة، وأن توجيهاته محل اهتمام الحكومة فى التنفيذ، فى حين شنت الصحف التى تتخذ موقفا انتقاديا من الرئيس أحمدى نجاد مثل روزنا وآفتاب واعتماد حملة على خطة التحولات الاقتصادية مبينة سلبياتها، ومؤكدة أنها ستؤدى إلى مزيد من التضخم، وطالبت الحكومة أن تعود إلى السياسات الاقتصادية للحكومات السابقة لكى تكمل مسيرتها الإصلاحية.

أما الموضوع الرئيسى الثانى الذى اهتمت الصحف الإيرانية به، واشتركت جميعها فيه، فهو موضوع الاستعداد المبكر لانتخابات رئاسة الجمهورية، حيث توقعت الصحف أن يبدأ سباق الانتخابات حافلا بالصراع، يشعل المنافسة، ويشد الجماهير إلى الاشتراك فى العملية الانتخابية، ويحقق نوعا من الديمقراطية الإسلامية. وقد ركزت الصحف الإصلاحية ماعدا روزنا واعتماد ملى وآفتاب يزد، على نشاط الرئيس السابق سيد محمد خاتمى المنقطع النظير، سواء على المستوى الجماهيرى فى مختلف المحافظات، أو على المستوى الحزبى بين كوادر التنظيمات السياسية الإصلاحية، وخاصة التنظيمات الطلابية والنسائية والمثقفين، أو على المستوى الإقليمى للتعريف بوجه جديد للسياسة الإقليمية الإيرانية، والتذكير بشعار إزالة التوتر الذى كان قد رفعه فى فترة رئاسته، وحقق به الكثير من العلاقات مع دول المنطقة، وتطويره لهذا الشعار إلى الصداقة والمشاركة، وسواء على المستوى الدولى فى اتجاه حشد رأى عام عالمى لصالح الإصلاحيين، أو لجلب انتباه الإيرانيين المقيمين فى الخارج للاشتراك فى انتخابات الرئاسة، خاصة أن ميول الغالبية العظمى منهم تصب لصالح الإصلاحيين. فى حين تابعت صحف روزنا واعتماد وآفتاب نجاح مهدى كروبى زعيم حزب الثقة الوطنى فى تحديد توجه وسط، يوحى بالثقة، ويجلب المزيد من المعتدلين إلى جناحه، فضلا عن محاولته الناجحة وضع فاصل واضح بين اتجاه حزبه وسائر الأحزاب الإصلاحية، خاصة حزب المشاركة الإسلامى أكبر أحزاب المعارضة الإصلاحية.

ووصفت الصحف هذا النشاط المبكر من جانب كل من الرئيس السابق خاتمى، ورئيس البرلمان الأسبق مهدى كروبى بأنه يجعلهما قطبى الحركة الإصلاحية، وأقوى مرشحين إصلاحيين لرئاسة الجمهورية، حيث سارعت الأحزاب الإصلاحية لتأييدهما كمرشحين للإصلاحيين، فكان حزب المشاركة الإسلامى ومنظمة مجاهدى الثورة الإسلامية أول من أعلن تأييده لترشيح الرئيس السابق محمد خاتمى، ثم تابعهما حزب التضامن، ثم حركة الحرية، كما أيده من الحوزة الدينية كل من آية الله موسوى أردبيلى وآية الله أشرف أصفهانى، فى حين أصبح كروبى مرشح حزب الثقة الوطنى وحزب كوادر التعمير، كما أشارت الصحف إلى ظهور شخصيات بديلة تقدم نفسها مثل حسن روحانى أمين عام المجلس الأعلى للأمن القومى فى عهد خاتمى، وعبدالله نورى وزير الداخلية فى عهد خاتمى أيضا، فضلا عن ظهور تيار داخل النخبة الإصلاحية يدعو إلى تجاوز خاتمى وكروبى إلى وجوه جديدة تعبر عن توجه جديد يجتذب الناخبين الإيرانيين. كما أوضحت الصحف وجود خلاف بين توجه كل من المرشحين ينعكس فى الشعارات التى رفعوها، مشيرة إلى أن تعدد المرشحين شكل ديمقراطى يسعى الإصلاحيون لتوضيحه وتأكيده فى سياساتهم وأدائهم.

أشارت الصحف ذات التوجه الأصولى إلى أن الأصوليين ملتزمون جميعا بنظام ولاية الفقيه قائده ودستوره ومؤسساته، والاختلاف فيما بينهم ينحصر فى كيفية تحقيق أهداف النظام والثورة الإسلامية، ومن ثم فإن توافق الأصوليين حول المصلحة أيسر بكثير من اتفاق الإصلاحيين حول مرشح واحد لرئاسة الجمهورية، وهو ما يجعلهم أقرب إلى الأقلية المعارضة المتنوعة المشارب، منهم إلى الأغلبية الحاكمة. وأوضحت هذه الصحف أن الأصوليين مازالوا مترددين حول إعادة ترشيح الرئيس أحمدى نجاد لفترة رئاسة ثانية، ويرجع ترددهم إلى عدة أسباب تجعلهم منقسمين، أولها حدة أحمدى نجاد وغوغائيته فى إدارة الأمور، وهى ما يطلق عليها أنصاره الثورية والشفافية، وثانيها اعتراضهم على سياسته الاقتصادية التى سيؤدى نجاحه فى الانتخابات إلى جعلها سياسة لا رجعة فيها يدعمها خلال السنوات الأربع التالية لانتخابه، ثالثها وجود شخصيات معتدلة تلقى قبولا من النخبة الأصولية ومن الجماهير، ومن هذا المنطلق يرتفع نجم كل من على لاريجانى رئيس البرلمان، ومحسن قاليباف رئيس مدينة طهران، ومحسن رضائى القائد السابق لحراس الثورة الإسلامية والأمين العام الحالى لمجمع تشخيص مصلحة النظام، ومرشح حزب التنمية والعدالة. ولكن دعم حزب المؤتلفة الإسلامى وحركة الخدمة الطيبة، فضلا عن الزعيم خامنئى لأحمدى نجاد يجعله أقرب المرشحين، خاصة وأن استطلاعات الرأى مازالت تشير إلى استمرار شعبيته رغم المشاكل الاقتصادية، خاصة بعد لقائه بالزعيم خامنئى فى أسبوع الحكومة، حيث طلب منه الزعيم أن يستمر فى إدارة البلاد فى العام الرابع كما بدأها فى العام الأول، ولا يظنن أن هذا العام هو آخر عام فى مدته الرئاسية، ونصحه بالتعاون مع السلطتين التشريعية والقضائية، وهذا يبرر الاعتقاد بدعم الزعيم لاستمرار أحمدى نجاد فى الرئاسة، وهو ما يؤكد تأييد ترشيحه.

ومن الموضوعات الجزئية التى شغلت حيزا فى افتتاحيات الصحف موقف إيران من أزمة جورجيا واوستيا، وهو موقف مؤيد لروسيا، وكذلك موضوع التهديدات الإسرائيلة لإيران، فقد قامت الصحف بالرد عليها، والتركيز حول شكوى إيران إلى الأمم المتحدة من تهديدات إسرائيل، الموضوع الأخير حول التعليق على بيان مجلس التعاون الخليجى حول جزر الإمارات الثلاث، والرد عليه، ورفض المطالبة بالتحكيم الدولى حول مصير هذه الجزر.

قضية العدد

مقدمات معركة الرئاسة فى إيران

■ أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

انتخابات رئاسة الجمهورية الإسلامية القادمة فى إيران تحمل فى طياتها سباقا رهيبا، متعدد الأطراف بين الأحزاب والتكتلات السياسية، من أجل الفوز بقيادة المرحلة القادمة من عمر النظام الحاكم، بعد أن أصبح لها الأولوية الأولى فى النشاط الحزبى على الساحة السياسية، فقد نجح هذا النظام أن يحقق تعددية متطورة بين المنضوين تحت لواء ولاية الفقيه، بعد أن جعلهم القوة السياسية الغالبة فى المجتمع الإيرانى، وأصحاب الاهتمام والحظوة بين جماهير الشعب الإيرانى، فأصبح نظام ولاية الفقيه المظلة الواسعة التى تموج تحتها التيارات السياسية الحية والخلاقة، التى تبعث فى الساحة السياسية النشاط والحيوية، وهى بذلك تمنع ظهور قوى فعالة ومؤثرة معادية أو معارضة لنظام ولاية الفقيه فى الساحة السياسية، فتلك الحركة الدائبة التى تقوم بها الجماعات السياسية على الساحة تلفت الأنظار، سواء فى جديتها فى ممارسة العمل السياسى دون وساطة، أو فى سلسلة الابتكارات التى تقدمها فى الفكر السياسى الإيرانى، وتطبيقاته العملية، بحيث لا يبدو هذا الفكر مجرد مصطلحات جوفاء تتكرر بلا معنى، أو شعارات غير قابلة للتطبيق، أو حتى للتصديق، بل يبدو هذا الفكر متفاعلا مع الواقع، مدركا لأبعاده الاجتماعية والثقافية، واضعا فى اعتباره تطورات السياسة العالمية، وطبيعة الظروف الإقليمية والدولية، ولا يتوقف أصحاب الفكر السياسى من أتباع نظام ولاية الفقيه عند طرح هذا الفكر، ليقوم آخرون بمحاولة وضع سيناريوهات لتطبيقه، أو اختيار جوانب منه تصلح للتطبيق فى السياسات، بل يقوم كل من يطرح فكرة بعرض عناصرها الإيجابية، وجوانبها الواقعية، وإمكاناتها العملية، وكيفية تطبيقها، وهذا هو سر بقاء هذه العناصر الخلاقة كقيادات سياسية على الساحة. ورغم أن النخبة السياسية الموالية لنظام ولاية الفقيه تنطلق من منظور واحد يهدف إلى الحفاظ على النظام واستمراره فى حكم إيران حتى ولاية آخر الزمان بقيادة المهدى المنتظر، إلا أنها نجحت فى رسم إطار للنقد يعطى مساحة كافية للاختلاف والتنوع، وتحقيق التنافسية مع الإبقاء على وحدة المصلحة والهدف.

فى ضوء هذا يمكن توقع أن يبدأ سباق انتخابات رئاسة الجمهورية مبكرا من ناحية، وحافلا بالصراع من ناحية أخرى، من خلال إعادة تنظيم لتكتلات من الجماعات والأحزاب السياسية بشكل غير تقليدى، يشعل المنافسة، ويشد الجماهير إلى الاشتراك فى العملية الانتخابية، ويحقق نوعا من الديمقراطية الإسلامية.

الإصلاحيون يعودون بقوة إلى ساحة الانتخابات بعد جهود مضنية قامت بها قياداتهم، وعلى رأسها الرئيس السابق سيد محمد خاتمى، الذى أبدى نشاطا منقطع النظير، سواء على المستوى الجماهيرى فى مختلف المحافظات، أو على المستوى الحزبى بين كوادر التنظيمات السياسية الإصلاحية، وخاصة التنظيمات الطلابية والنسائية والمثقفين، أو على المستوى الإقليمى للتعريف بوجه جديد للسياسة الإقليمية الإيرانية، والتذكير بشعار إزالة التوتر الذى كان قد رفعه فى فترة رئاسته وحقق به الكثير من العلاقات مع دول المنطقة، وتطويره لهذا الشعار إلى الصداقة والمشاركة، وسواء على المستوى الدولى فى اتجاه حشد رأى عام عالمى لصالح الإصلاحيين يضغط على قيادات النظام، أو لجلب انتباه الإيرانيين المقيمين فى الخارج للاشتراك فى انتخابات الرئاسة، خاصة أن ميول الغالبية العظمى منهم تصب لصالح الإصلاحيين. كذلك نجح مهدى كروبى زعيم حزب الثقة الوطنى فى تحديد توجه وسط، يوحى بالثقة، ويجلب المزيد من المعتدلين إلى جناحه، فضلا عن محاولته الناجحة وضع فاصل واضح بين اتجاه حزبه وسائر الأحزاب الإصلاحية، خاصة حزب المشاركة الإسلامى أكبر أحزاب المعارضة الإصلاحية. هذا النشاط المبكر من جانب كل من الرئيس السابق خاتمى، ورئيس البرلمان الأسبق مهدى كروبى جعلهما بالفعل قطبى الحركة

الإصلاحية، وجعلهما بالضرورة أقوى مرشحين إصلاحيين لرئاسة الجمهورية، حيث سارعت الأحزاب الإصلاحية لتأييدهما كمرشحين للإصلاحيين، فكان حزب المشاركة الإسلامي ومنظمة مجاهدى الثورة الإسلامية أول من أعلن تأييده لترشيح الرئيس السابق محمد خاتمى، ثم تابعهما حزب التضامن، ثم حركة الحرية، كما أيده من الحوزة الدينية كل من آية الله موسوى أردبيلى وآية الله أشرفى أصفهانى، فى حين أصبح كروبى مرشح حزب الثقة الوطنى وحزب كوادر التعمير، وإن كان قد بقى الباب مفتوحا لمحاولة اختيار مرشح واحد لأحزاب الحركة الإصلاحية جمعاء، إلا أنه مع عدم إعلان أى من المرشحين الرئيسيين قبول الترشيح تظهر على الساحة شخصيات بديلة تقدم نفسها إلى الإصلاحيين مثل حسن روحانى أمين عام المجلس الأعلى للأمن القومى فى عهد خاتمى، وعبدالله نورى وزير الداخلية فى عهد خاتمى أيضا، فضلا عن ظهور تيار داخل النخبة الإصلاحية يدعو إلى تجاوز خاتمى وكروبى إلى وجوه جديدة تعبر عن توجه جديد يجتذب الناخبين الإيرانيين.

من الواضح وجود خلاف بين توجه كل من المرشحين ينعكس فى الشعارات التى رفعوها، وهناك انقسام فى الرأى بين الإصلاحيين بعضه من منظور فكرى، وبعضه من منظور حزبى، وبعضه من منظور المصلحة الخاصة، فتعدد المرشحين شكل ديمقراطى يسعى الإصلاحيون لتوضيحه وتأكيده فى سياساتهم، ولكنه فى الواقع لن يكون فى مصلحتهم، لأنه يفتت أصوات الناخبين من العامة وفى المحافظات، وكذلك البعيدين عن اللعبة السياسية.

ويرى محسن آرمين عضو اللجنة المركزية لمنظمة مجاهدى الثورة الإسلامية، خلال الكلمة التى ألقاها فى المؤتمر السنوى للمنظمة، أن من الضرورى عمل دراسة فى البنية الاجتماعية للإصلاحيين من أجل تحديد ميولها تجاه المرشحين، ثم الاتفاق على مرشح إصلاحى واحد يستطيع تجميع أصوات الناخبين، وهو يرى أن الرئيس خاتمى هو المؤهل لهذا الترشيح بإمكاناته السياسية وشعبيته الجارفة، وتوسط فكره السياسى، ويرى أن يعمل أنصار خاتمى على إقناعه بخوض انتخابات الرئاسة، ليس من أجل شخصه، بل من أجل إيجاد أرضية قوية للإصلاحيين فى هذه الانتخابات، ومنع الانقسام بين الأحزاب الإصلاحية.

الخلاف الفكرى بين كروبى وخاتمى جعل كروبى ينفصل عن مجمع علماء الدين المناضلين (مجمع روحانيون مبارز) ويؤسس حزب الثقة الوطنى، حيث أثر نفوذ خاتمى على المجمع فى وضع كروبى فى ذيل قائمة المجمع فى انتخابات الرئاسة السابقة بسبب انخفاض شعبيته، لكن الانتخابات أثبتت العكس فقد حصل على أصوات تزيد عن كل المرشحين الإصلاحيين الموجودين أول القائمة، بل حصل على أصوات أكثر من مرشحين أصوليين بارزين مثل على لاريجانى ومحسن قاليباف، وتخلف عن انتخابات الإعادة بفارق ضئيل مع الرئيس أحمدى نجاد، كان يمكن أن يجبر بإعادة فرز الأصوات التى كان الزعيم يميل إليها، لولا تسرع موسوى لارى وزير داخلية خاتمى بإعلان النتائج رسمياً.

ويتهم كروبى أنصار خاتمى بأنه ليس لديهم استراتيجية واضحة، وخطواتهم الإصلاحية فشلت بسبب التعجل وعدم الدراسة، فضلا عن ضمهم متطرفين سياسيين ليس لهم قبول من الجماهير أو النظام. فى حين يتهم أنصار خاتمى مهدى كروبى بأن إدارته لمجلس الشورى السادس كانت نوذجا للإدارة العامية والغوغائية، التى أدت إلى تراجع الإصلاحيين.

الاختلاف الحقيقى بين تكتلات الإصلاحيين وتكتلات الأصوليين هو أن الأصوليين ملتزمون جميعا بنظام ولاية الفقيه قائده ودستوره ومؤسساته، والاختلاف فيما بينهم ينحصر فى كيفية تحقيق أهداف النظام والثورة الإسلامية، أما الإصلاحيين فليسوا متفقين إلا على ضرورة إصلاح النظام، ويتراوح الخلاف حول مفهوم الإصلاح وكيفية تحقيقه بين الاقتراب من الأصوليين إلى المتطرفين الراغبين فى تغيير النظام، ومن ثم فإن توافق الأصوليين حول المصلحة أيسر بكثير من اتفاق الإصلاحيين حول مرشح واحد لرئاسة الجمهورية، وهو ما يجعلهم أقرب إلى الأقلية المعارضة المتنوعة المشارب، منهم إلى الأغلبية الحاكمة.

على الجانب الآخر نرى الأصوليين مازالوا مترددين حول إعادة ترشيح الرئيس أحمدى نجاد لفترة رئاسة ثانية، ويرجع ترددهم إلى عدة أسباب تجعلهم منقسمين، أولها حدة أحمدى نجاد وغوغائيته فى إدارة الأمور، وهى ما يطلق عليها أنصاره الثورية والشفافية، وثانيها اعتراضهم على سياسته الاقتصادية التى سيؤدى نجاحه فى الانتخابات إلى جعلها سياسة لا رجعة فيها يدعمها خلال السنوات الأربع التالية لانتخابه، ثالثها وجود شخصيات معتدلة تلقى قبولا من النخبة الأصولية ومن الجماهير، ومن هذا المنطلق يرتفع نجم كل من على لاريجانى رئيس البرلمان، ومحسن قاليباف رئيس مدينة طهران، ومحسن رضائى القائد السابق لحراس الثورة الإسلامية والأمين العام الحالى لمجمع تشخيص مصلحة النظام، ومرشح حزب التنمية والعدالة. وليس هناك حتى الآن دلائل تشير إلى إجماع الأصوليين على مرشح منهم، ويبدو أحمدى نجاد أقرب المرشحين إلى هذا الإجماع إزاء السياسة التقليدية للنظام بمنح رئيس الجمهورية فرصة ثانية لإتمام مشروعاته، خاصة وأن استطلاعات الرأى مازالت تشير إلى استمرار شعبيته رغم المشاكل الاقتصادية، خاصة بعد لقائه بالزعيم خامنئى فى أسبوع الحكومة، حيث طلب منه الزعيم أن يستمر فى إدارة البلاد فى العام الرابع كما بدأها فى العام الأول، ولا يظنن أن هذا العام هو آخر عام فى مدته الرئاسية، ونصحه بالتعاون مع السلطتين التشريعية والقضائية، وهكذا أعلن الزعيم عن دعمه لاستمرار أحمدى نجاد فى الرئاسة، وهو ما أدى إلى تأييد حزب المؤتلفة الإسلامى لترشيحه.

هذه مقدمات معركة انتخابات رئاسة الجمهورية فى إيران، وللحديث بقية.

شئون داخلية

انتخابات الدورة العاشرة لرئاسة الجمهورية:

صراع على المستقبل (ملف خاص)

تكتسب انتخابات الدورة العاشرة لرئاسة الجمهورية التى سوف تجرى فى ١٢ يونيو ٢٠٠٩، حسب ما أعلن رئيس لجنة الانتخابات التابعة لوزارة الداخلية العميد على رضا افشار، أهميتها من اعتبارات عديدة، أهمها، أنها تأتى فى سياق بيئة داخلية وإقليمية ودولية مفعمة بكثير من عوامل الاحتقان والتوتر، التى ستجعل هذه الانتخابات أحد أهم الاستحقاقات السياسية التى تشهدها إيران منذ قيام الجمهورية عام ١٩٧٩.

فعلى الساحة الداخلية، يبدو الصراع السياسى على أشده بين المحافظين والإصلاحيين حول قضايا جوهرية تمس مستقبل نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية مثل قضية صلاحيات "ولاية الفقيه"، وربما تكون الانتخابات الرئاسية مناسبة مهمة لكشف ملامح هذا الصراع واتجاهاته فى المرحلة المقبلة. وعلى الصعيد الإقليمى، يمكن القول أن علاقات إيران مع دول الجوار، لاسيما دول مجلس التعاون الخليجى، ليست على أحسن ما يرام، خصوصا فى ظل تصعيد حدة الموقف الإيرانى من قضية الجزر الإماراتية الثلاث، والحال كذلك، على الساحة الدولية، فرغم أن إيران استفادت من أزمة النزاع العسكرى بين روسيا وجورجيا، والأزمة الاقتصادية الدولية فى تقليص حدة الضغوط المفروضة عليها بسبب أزمة الملف النووى الإيرانى، إلا أن ذلك لا يعنى إمكانية أن "تفلت" إيران ببرنامجها النووى من براثن الضغوط والعقوبات الدولية، ناهيك عن خطر تعرضها لضربة عسكرية أمريكية أو إسرائيلية.

ما سبق فى مجمله يكشف أن مهمة الرئيس القادم لإيران لن تكون سهلة، فالداخل يحتقن، والخارج يتحفز، والكل فى انتظار ما سوف تكشف عنه الانتخابات الرئاسية الإيرانية، فهل ينجح الرئيس أحمدى نجاد فى الاحتفاظ بمنصبه لفترة رئاسية ثانية، أم أنه من الممكن أن تحدث المفاجأة ويأتى وجه جديد غير معروف ليتولى منصب الرجل الثانى فى إيران، على غرار ما فعل أحمدى نجاد نفسه فى انتخابات ٢٠٠٥. سؤال سوف تكون إجابته أكبر المفاجآت!!!.

فيما يلى عرض لأهم ما جاء فى الصحف الإيرانية حول استعدادات القوى السياسية، الإصلاحية والمحافظة، للانتخابات الرئاسية.

١ - الجمهورية الإسلامية والتيارات المتصارعة

كيهان (الدنيا) ١٠/٩/٢٠٠٨

رغم تعدد التيارات السياسية، لكن يمكن ان نجمعها في جبهتين كبيرتين: جبهة الاصلاحيين وجبهة الاصوليين. جبهة الاصلاح ورغم ظاهرها المنمّق لا تحتوي على نظام معرفي شامل حيث لأزالت تترنح بين الحضور داخل النظام وخارجه فثمة من يعتقد من الاصلاحيين ان الدستور وولاية الفقيه والقانون الاسلامي لا يجتمع مع الديمقراطية وحكومة الشعب.

ويجب على التيار الاصلاحي غربلة وتمحيص دقيق في صفوفه وطرد المناهضين والمخالفين والمعاندين للنظام الاسلامي.

أما جبهة الاصوليين وعلى الرغم من انها تشتمل على تيارات واحزاب متنوعة لكنها تشترك في امور مهمة واساسية:

اولا: كل التيارات الاصولية تؤمن دون موارية بمحكمات الثورة وهي الاسلام ونهج الامام الخميني وولاية الفقيه والدستور الايراني.

ثانياً: كل التيارات الاصولية لديها تعريف واضح عن الذات وعن الغير ولا تخلط بين الصديق والعدو.

ثالثا: كل التيارات والاحزاب الاصولية تواجه وتناهض العدو الامريكي والعدو الصهيوني بشكل واضح وصريح.

رابعاً: هناك تمسك واضح من الجبهة الاصولية بنهج قائد الثورة الاسلامية سماحة السيد الخامني.

واذا قامت الجبهة الاصولية والمبدئية بتوحيد الصفوف والاهتمام بالتخطيط العلمي والمدروس من اجل تطور وتقدم ايران في كل المجالات الضاعية والاقتصادية والزراعية والسياسية، الاجتماعية، سيكون العقد الرابع من الثورة هو عقد التطور والابداع على يد الشعب الايراني المتمسك بالاصول والمبادىء الاسلامية.

ومن أبرز الفرص والنقاط الايجابية لصالح الاصوليين هي النقاط التالية:

أولا: وجود الثغرات في الجبهة المنافسة أي جبهة الاصلاحيين حيث هناك فجوة بين قطبي هذا التيار: أصحاب خاتمي وأصحاب كروبي.

ثانيا: غلبة خطاب العدالة ونصرة الفقراء والمحرومين في المجتمع بسبب الانجازات والمشاريع الكبرى التي قامت بها حكومة السيد احمدي نجاد في السنوات الثلاث الماضية.

ثالثا: الدعم الخاص الذي يبديه سماحة القائد لحكومة احمدي نجاد.

رابعا: وجود سنة في تاريخ الجمهورية الاسلامية ان الشعب عادة يختار رئيس الجمهورية لفترتين متتاليتين وليس لفترة واحدة.

لكن رغم هذا التفاؤل حول انتخاب احمدي نجاد كرئيس لفترة ثانية يجب على كل التيارات الاصولية والمحافظة توحيد الصفوف والوقوف كجبهة واحدة وراء ترشيح السيد احمدي نجاد. كما يجب على احمدي نجاد الى الانفتاح واستيعاب كل الشخصيات والرموز الاصولية والمحافظة وعدم الاستفراد باتخاذ القرار عدم حصر المناصب الادارية في مجموعة خاصة من التيار الاصولي.

٢- استحالة توحيد صفوف الأصوليين فى الانتخابات الرئاسية القادمة

فرهنك أشتى (ثقافة التصالح) ٢٣/٩/٢٠٠٨

ألقى محمد جواد باهنر السكرتير العام لاتحاد المهندسين الإسلاميين ونائب رئيس مجلس الشورى الإسلامى خطابا على جمع من أعضاء تنظيمه السياسى فى حسينية جواد الأئمة بمدينة أصفهان جاء فيه:

إن الأصوليين لا يستطيعون التوصل إلى توحيد صفوفهم بنسبة ١٠٠٪، لأن أحمدى نجاد كما أن له مؤيدين أوفياء له أيضاً معارضين أشداء داخل صفوف الأصوليين.

لقد مرت الجمهورية الإسلامية بعدة مراحل، بدءا من مرحلة الدفاع المقدس فى الحرب المفروضة مروراً بمرحلة البناء والتعمير التى تمت فيها عمليات البنية الأساسية، ثم

جاءت مرحلة الإصلاح التى قال عنها مرشد الثورة: لا معنى للحركة الإصلاحية بدون التيار الأصولى، ولا معنى للتيار الأصولى بدون الحركة الإصلاحية، لكن مع الأسف فتحت هذه المرحلة الباب لأيادى التطرف والتشدد التى سعت إلى تحطيم بنية الجمهورية الإسلامية، وانهزم المشروع الإصلاحى الأصولى الذى استحق الدفاع عنه.

ثم جاء العقد الرابع للثورة الإسلامية الذى يستحق أن يسمى بعقد التقدم والعدالة، لأن حكومة أحمدى نجاد ضمن إحيائها للأصولية أحيت مبادئ التضحية والعمل وبذل الجهد وخدمة الناس بدون من أو تفضل وبروح يملأها الإيثار، لدرجة أن خدام الأمة (المسئولين) اقتنعوا بأنهم إما أن يخدموا الأمة أو يعتزلوا.

نعم لدى الحكومة التاسعة عيوب ونقائص، على سبيل المثال لم تنجح فى السيطرة على معدلات التضخم، ولقد بح صوتنا فى المجلس ونحن نقول أن المال وحده لا يمكن أن يؤدى إلى التقدم، ولكن مع الأسف وقعنا فى حلقة سياسية مفرغة ولم نستطع السيطرة على التضخم، لكننا نجحنا فى مجال إيقاف نمو معدل البطالة وزدنا فرص العمل، ولو لم نستطع السيطرة على هذه المشكلة لضاعف تزايد معدل البطالة من تزايد معدل التضخم.

إن التضخم ليس بالظاهرة الغامضة المجهولة، وكان يجب علينا توقع هذه المشكلة نظراً لتزايد سعر النفط، كان يجب علينا منذ سنتين أو ثلاث سنوات مضت أن نزيد ميزانية التعمير شيئاً فشيئاً، وكنا نقول إذا زادت عائدات النفط، نبغى أن نتقدم تدريجيا، وما كان ينبغى علينا أن نضغط على البنوك كى تعطيهم قروضاً بلا حساب بأن أموال البنوك ليست أموال الدولة وإنما هى أموال الشعب.

على سبيل المثال ٩٢٪ من مجموع الموارد المالية للبنك الوطنى. أموال لأفراد الشعب من حسابى وحسابك، و٨٪ فقط من مال الدولة، الدولة من حقها أن تتخذ القرارات فيما يتعلق بهذه الـ ٨٪ لكن ليس من حقها أن تتخذ قرارا بشأن الـ ٩٢٪ الباقية.

لا يمكن تنفيذ كل الأعمال الحسنة فى العالم بمجرد ارتفاع عائدات النفط وزيادة الدخل الناجم عن ذلك.

فى الخطة العشرينية التى وضعناها لبلدنا، توقفنا أن تصبح الدولة الأولى فى المنطقة بعد ١٣ سنة شريطة أن نحقق معدل نمو اقتصادى سنوى قدره ٨٪، وتحقيق زيادة سنوية فى معدل الاستثمار بمؤسساتنا تبلغ ٢,٥٪، وطبقاً للخطة العشرينية الموضوعة يجب على الحكومة الإيرانية أن تقلل من اعتمادها على النفط بمقدار ١٠٪ سنوياً، لكن مع الأسف لم تقم الحكومة بهذا العمل حتى الآن.

ينبغى علينا ألا نزيد رواتب الموظفين والأطباء والمعلمين من خلال متحصلات بيع النفط، فعندما تزيد المرتباط بمقدار ٢٠٪ يكون التضخم قد زاد بنسبة ٢٥٪، نحن اليوم طبقاً للبند ٤٤ من الدستور ينبغى علينا اعتبار إنتاج الثروة أمراً مقدساً، يجب إنتاج الثورة، ينبغى أن يصير كل ريال لدينا ريالين، إن الحكومة التاسعة جوهرها خدمة الشعب وتحقيق العدالة، لكن ليس لديها سياسة استراتيجية فى الاقتصاد والثقافة أو أنها لا تفكر جيداً فيهما على الأقل، ينبغى علينا أن ننهض لمساعدة بعضنا بعضاً بروح بسيجية عالمة بالأمور، وهذا ليس معناه الحكم بخيرية التيار الأصولى وامتداد حاكمية الأصولية وسط هذه الظروف ينبغى على أشخاص أمثال هاشمى رفسنجانى أن ينظروا للوضع من عدة زوايا.

ورداً على سؤال من أحد الحاضرين بشأن موقف هاشمى رفسنجانى من مواجهة الحكومة قال باهنر: إن السيد هاشمى من العناصر الأصيلة للثورة الوفية للنظام، وهو جزء من هيئة أمناء الثورة الإسلامية، لذا ينبغى النظر إلى هاشمى من عدة زوايا، لازاوية الأولى؟ زاوية حكومة البناء والتعمير، وفيها نقاط إيجابية وأخرى سلبية، على سبيل المثال من الناحية الثقافية فبعد الهجوم الثقافى الغربى لم يكن أداء حكومته جيداً على الرغم من توجيهات مرشد الثورة له، والزاوية الثالثة، زاوية أسرته والقضايا المتعلقة بها، والتى ينبغى النظر إليها على نحو منفصل.

وصرح باهنر بشأن توقعاته فى الانتخابات القادمة قائلاً: أتوقع أن تكون الانتخابات القادمة صعبة، ينبغى علينا أن نقول للناس أن يصوتوا لصالح التيار الأصولى، وإذا تقدم الإصلاحيون ينبغى علينا أن نفكر تفكيراً جديداً، ينبغى أن نسعى إلى توحيد صفوف الأصوليين، إلا أنه لا يمكن الوصول إليها بنسبة ١٠٠٪ كان أحمدى نجاد كما له مؤيدين له معارضين أيضاً من بين صفوف الأصوليين.

٣- ناطق نورى يعود ويتزعم الأصوليين

محمد رضا يزدان ■ بازتاب (الصدى) ٢٤/٩/٢٠٠٨

توجه الأصوليون التقليديون اليائسون من إرضاء مؤيدى حكومة أحمدى نجاد فى الانتخابات صوب تنظيمات رجال الدين القوية ذات النفوذ حتى تقربهم خبرة وكياسة الكبار من النجاح فى المعركة القادمة.

فبعد أن فشل الأصوليون المنتقدون للحكومة وبخاصة من الطيف التقليدى لهذا التيار فى حوارهم مع نواب ومؤيدى الحكومة لقبول آلية للتحاور للوصول إلى هدف توحيد الصفوف فى الانتخابات القادمة، قرروا الاستفادة من قوة رجال الدين للقيام بدور أكثر تأثيراً فى هذا التيار.

وقد صرح أمير محبيان عضو حزب المفكرين الجدد الإيرانى وأحد أبرز واضعى الاستراتيجيات لهذا التيار قائلاً: ينبغى على التيار الأصولى اتخاذ طريق ثالث بين الطريق السابق والطريق الحالى، وأعتقد أنه ينبغى على الأصوليين أن يحيوا مكانة الإتحادين (اتحاد مدرسى حوزة قم واتحاد روحانيت مبارز رجال الدين المناضلين) باعتبارهما التنظيمين المحوريين للتيار الأصولى.

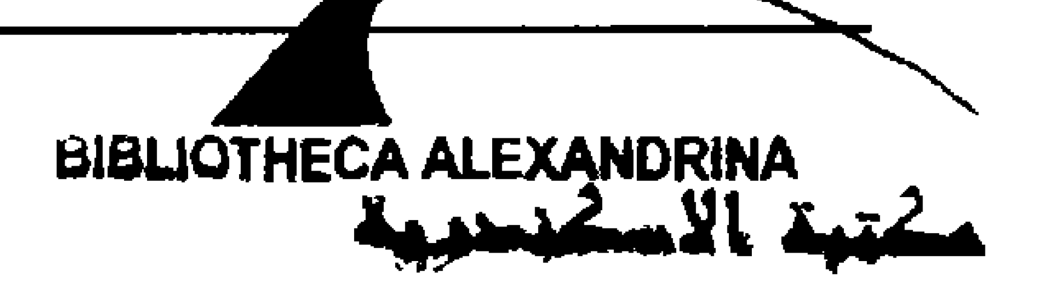
الواقع أن الإتحادين يشكلان قاعدة فكرية بالغة القوة للتيار الأصولى وربما لمجموع الثورة الإسلامية ككل، وتجاهل مثل هذه القدرات العلمية وذات الخبرة الكبيرة والوعى الجيد بالمجتمع غفلة كبيرة وضربة موجهة للأصوليين ولذا ينبغى على الأصوليين أن يفطنوا لهذا الأمر.

صرح مستشار على أكبر ناطق نورى فى مجلس تنسيق قوى الثورة الإسلامية قائلاً: أعتقد أنه ينبغى وضع تقييم محدد لحجم ومكانة الأحزاب والتنظيمات الداخلة فى التيار الأصولى، ومما لا شك فيه أن مثل هذا الأمر قد تم القيام به إلى حد ما، بمعنى أن انتخابات مجلس الشورى الإسلامى والمحليات قد وضعته من تلقاء نفسها عبر المقاعد التى حصل عليها كل فصيل داخل التيار، والآن قد أدركنا جيداً أنه على خلاف ما كان يظن فى عهد تولى تيار الناس من خرداد الحكم من أن الأصوليين التقليديين قد فقدوا مكانتهم وثقلهم السياسى، تبين فى انتخابات المجلس والمحليات الأخيرة أن هذا التيار التقليدى له وزن جيد على الساحة السياسية الإيرانية، خاصة فى انتخابات المجلس الثامن حيث حصلوا على الفور بها وكانوا محورها الرئيسى، لكنى أعتقد أنهم لازالوا لم يستعيدوا روحهم الخاصة ويحتاجون أن يدخلوا فى عملية إحياء للذات لاستعادة الثقة بالنفس والحصول على مكانتهم المحورية السابقة وقد أضاف وفق هذا المنطلق: لدى التيار الأصولى تنظيمات سياسية جيدة ذات خبرة، ومؤيدوا جبهة أتباع خط الأمام والزعامة أقوياء جداً فى الأقاليم والمراكز ولهم تنظيمات قوية وأعتقد أنهم ينبغى أن ينشطوا الآن، ومن ناحية أخرى يجب إحياء مكانة الإتحادين، وفى النهاية يتم تدعيم خلق الإجماع بين فصائل التيار الأصولى من إطار ديمقراطى تحت مظلة احترام توصيات ووجهات نظر شيوخ التيار.

وقد طالب مجيان مستشار ناطق نورى وعضو مجلس تحرير صحيفة الرسالة الناطقة باسم اليمين التقليدى بعودة ناطق نورى إلى زعامة التيار الأصولى، وأطلق على مشروعه تسمية اكتشاف الموارد وقد أضاف فى هذا الشأن قوله. ينبغى ألا يتم إضعاف مكانة أشخاص مثل السيد ناطق نورى فى أى وقت، فقد نشط داخل التيار الأصولى كشخصية معتدلة حكيمة واستطاع إلى جد كبير أن يوازن بين فصائل التيار الأصولى، وأعتقد بضرورة أن يتحرك التيار الأصولى وبخاصة الفصيل التقليدى فيه صوب إحياء الغرفة الفكرية التى قد تحدث منها ناطق نورى كثيراً، على ألا تكون هذه الغرفة مجرد تيار هامشى، وإنما ينبغى أن تتمكن هذه اللجنة من قيادة التيار الأصولى بتوصياتها، ووعلى الشخصيات الأصولية ذات الخبرة مثل باهنر وبهزاد نيوى وعسكر أولادى أن يسيروا فى هذا الدرب لمساعدة ناطق نورى، ومن ناحية أخرى ينبغى أن يقوم ذوى الخبرة من التيار الأصولى ومن بينهم باهنر ونبوى وعسكر أولادى ومن مثلهم بدورهم المحورى من ناحية إدارة التنظيمات السياسية مرة أخرى، وهم قادرون على أن يكون لهم مكانة طيبة، كما أن التيار الأصولى قد حاز فى الفترة الأخيرة قدرات أكبر مما كانت لديه فى الماضى. وقدم شخصيات كثيرة فى عهد أحمدى نجاد، حازوا مواقف جيدة داخل التيار بحيث يمكن أن يكون لهم مكانتهم فى التنظير وتنفيذ السياسات على السواء.

اتحاد مدرسى حوزة قم: لازلنا ندرس:

فى حين أن اتحاد رجال الدين المناضلين (روحانيت مبارز)



أحد التشكيلين الرئيسيين رجال الدين الأصوليين، هو الموجه إليه خطاب مجيان فى الأساس، إلا أن الاتحاد لم يدل برأيه إلى آلاف حول دخوله أو عدم دخوله ساحة تزعم التيار الأصولى، وقد صرح السيد أحمد خاتمى العضو البارز فى اتحاد مدرسى حوزة قم وإمام جمعة طهران المؤقت قائلا: إن أغلبية الأصوليين أو جميعهم يطلبون من اتحاد مدرسى حوزة قم أن يكون له هذا الحضور المحوري، فالتحديات التى يواجهها التيار الأصولى تستلزم حضوراً فعالاً من كلا الإتحادين على ساحة الانتخابات القادمة، وهو ما سيسهل توحيد صفوف الأصوليين ويساعد عليه، وإذا لم يتوحد الأصوليين فحتماً سيلحق الضرر بهم، ونحن لازلنا لم نقرر بعد ما سوف يقوم به اتحاد مدرسى حوزة قم فى الانتخابات الرئاسية القادمة، وحين يأتى وقتها إذا توصلنا إلى قرار الاشتراك بها سنعلن موقفنا أو تأييد لمرشحنا الخاص وإذا لم يكن الأمر كذلك ولم نقدم مرشحاً خاصاً لنا، فسنكتفى بدعوة الناس إلى الاشتراك فى الانتخابات.

إن الغرفة الفكرية التى تحدث عنها مجيان وطالب باشتراك ناطق نورى بها ليتزعم الأصوليين، قد طرحت على نحو مختلف من قبل على رياض الأصول التقدمى وأحد نواب المجلس السابع وقال إن وظيفة هذه الغرفة الفكرية (دراسة عيوب نماذج التوحيد السابقة) وقد كان هناك نموذجين سابقين من التنظيمات الأصولية التى تولت توحيد الأصوليين هما الجبهة المتحدة للأصوليين فى انتخابات المجلس الثامن، ومجلس تنسيق قوى الثورى الإسلامية فى انتخابات الدورة التاسعة لرئاسة الجمهورية، وقد كان نموذج الجبهة المتحدة نموذجاً غير موفق فى العمل الانتخابى لأنه شكل على أساس الأنصبة بين الفصائل، وكذلك نموذج مجلس تنسيق قوى الثورة فشل فى مهمته بالانتخابات، ووصل الأمر إلى أن التيار الأصولى دخل الانتخابات بأربعة مرشحين مختلفين.

وقد أكد السيد على رياض فى هذا الشأن على ضرورة توصل الأصوليين إلى إجماع على شخصية واحدة ذات وعى وخبرة ومن أهل الرأى والفكر، كما ذكر صيغة ٥+٦ واعتبرها صيغة يمكن استغلالها فى الانتخابات الرئاسية القادمة وقال: لكل مرحلة من مراحل الانتخابات صيغتها الخاصة، وكما كان فى الانتخابات الماضية يوجد مجلس التنسيق وصيغة ٦+٥ وهى أحد صيغ ائتلاف الأصوليين، وعلى كل حال قد أوصلتهم إلى الفوز بالانتخابات، ولكن مع هذا لا يمكن القول بأن نموذج ٥+٦ نموذجاً بلا عيب أو نقيصة.

وقد أكد رياض على أن الأصوليين ينبغى عليهم عمل مراحل فى طريق الوصول إلى الإجماع على شخص الرئيس القادم، ولا ينبغى أن ننظر إلى الشخصيات المشاركة فى مناقشة مسألة الإجماع وكيف سننتخبهم وأى برامج لديهم، كما ينبغى أن تكون هناك ضمانات لتنفيذ برامجهم محددة سلفاً، وعلى كل حال نأمل أن نسير فى الدرب الذى يؤدى إلى الوصول إلى إجماع عام بين الأصوليين من خلال الاستفادة من تجارب الماضى والنظر إلى المستقبل.

يطلب الأصوليون التقليديون من إتحادى رجال الدين القيام بدور محورى فى الانتخابات القادمة فى حين أن آخر تجارب إدارة رجال الدين للتيار الأصولى لم تكن تجربة ناجحة، وعلى الرغم من أن رئاسة على أكبر ناطق نورى لمجلس تنسيق قوى الثورة فى انتخابات الدورة التاسعة لرئاسة الجمهورية قد حازت على رضا اليمين التقليدى، لكن بقية الفصائل الأصولية لم تستطع أن تتوائم معها على الإطلاق، فى تلك الأثناء تمسكت تنظيمات سياسية مثل المؤتلفة الإسلامية واتحاد المهندسين الإسلاميين وجبهة أتباع خط الإمام والزعامة بضرورة النزول على رأيها فى حالة اتخاذ أن قرار نهائى، ورفضت جماعات أصولية أخرى هذه الصيغة مثل جمعية مؤثرى الثورة الإسلامية والأصوليين التقدميين وتمسكوا بأن تكون القرارات النهائية الأغلبية المطلقة دون أى تمييز فى عملية التصويت.

كان الأمر على هذا النحو، وعلى الرغم من أن على لاريجانى كان المرشح النهائى لمجلس تنسيق قوى الثورة، لكن هذا الحكم لم يقر به الفصيل المعترض بأى حال، واتجه إلى دعم محمد باقر قاليباف.

أما حسين فدائى سكرتير عام جمعية مؤثرى الثورة الإسلامية الذى كان حاضراً فى الجلسات الختامية للنخبة الرئاسية لمجلس تنسيق قوى الثورة عاتب ناطق نورى على اتخاذ هذا القرار، وقال صراحة وبصوت مرتفع أن مرحلة الشيوخ وإصدار الأحكام والولائية بين الأصوليين قد انتهت.

ومع هذه الأحوال، يجدر بنا القول هل سيقبل رجال الدين المحافظون القيام بدور الحكم فى التيار الأصولى مرة أخرى ويتولون زعامته؟

وهل بقية الأصوليين سيقبلون هذا الدور أم لا؟

٤- دفاع واقعى عن ترشح خاتمى للرئاسة

حميد رضا جلايى بور ■ اعتماد (الثقة) ٢٠٠٨/٩/٢٣

سنواجه فى الأشهر القادمة انتخابات بالغة الأثر فى حياة الإيرانيين، والرأى عندى فى هذا الشأن، أن إصلاحيا لا يستطيع أن يقف بلا حراك تجاه مثل هذا الحدث. الأمر الثانى أننا إذا نشطنا من الآن للدفاع عن ترشح خاتمى للرئاسة والعمل على إنجاحه لستة أسباب سيلى ذكرها نكون قد خطونا خطوة مؤثرة وفعالة حتى ولو لم يدعوا مرشحنا يفوز، الأمر الثالث أننا إذا قمنا بهذه التصرفات السياسية المدنية من خلال دوافع أخلاقية ودينية، نكون قد قمنا بعمل صالح هو أحد أركان الحياة الإيمانية.

١- الدفاع عن خاتمى يدخل فى إطار الدفاع عن تحقيق أهداف الثورة الإسلامية، وقد قام عدد كبير من الإيرانيين بإنجاح الثورة الإسلامية عبر تضحيات كثيرة بعد نجاح الثورة، دفع الشعب الإيرانى تكاليف باهظة لهذه الثورة من روحه وماله، كان أحد هذه التكاليف الحرب العراقية المفروضة على إيران، وكانت أحد دوافع الشعب الإيرانى لتقديم تلك التضحيات، تحقيق أهداف الثورة الإسلامية، لكن مع الأسف لازال تحقيق تلك الأهداف يواجه المخاطر فى المجتمع الإيرانى، وخاتمى خير من يستطيع مساعدتنا على تحقيق أهداف الثورة الإسلامية.

السؤال الآن ماهى أهداف الثورة الإسلامية؟ فى رأيى أن أفضل الكلمات تعبيرا عن أهداف الثورة الإسلامية هى الشعار الأساسى للثورة؟ "الاستقلال- الحرية- الجمهورية الإسلامية"، وإن كل واحد من الأركان الأربعة لهذا الشعار يتعرضالآن للمخاطر.

تواجه الحرية والجمهورية بعض العقبات، لأن بعض المسئولين عن إجراء الانتخابات لايخضعون أنفسهم لمعايير الانتخابات الحرة المنصفة النزيهة، إن الانتخابات على النحو الحالى لا عادلة ولا حرة ولا منصفة ليس من وجهة نظر المواطنين الإيرانيين العلمانيين فحسب، وإنما هى كذلك فى رأى بناة الثورة والرفاق الأوائل للإمام مثل الآيات العظام منتظرى وصانعى وموسوى اردبيلى وهاشمى رفسنجانى وطاهرى أصفهانى وموسوى خوئينها، فهم غير راضين عن أسلوب الانتخابات التى تجرى فى إيران (يمكن تعميم نفس الحكم على وضع حرية الصحافة والأحزاب ومنظمات المجتمع المدنى وحقوق المواطنين والتى هى من أركان جمهورية أى نظام حاكم).

ركن الإسلامية أيضا باعتباره أحد أهداف الثورة الإسلامية قد أضير أيضا. فمعظم شباب إيران لا يعرفون التدين بشكل مباشر من المتون الأصلية للدين كالقرآن والأحاديث النبوية وأقوال الأئمة الأطهار، وإنما تدينهم ردو فعل على تدين الأشخاص الذين ضحوا فى سبيل دين الله والثورة، ولعل أفضل المؤشرات التى توضح المخاطر المتوقعة للتدين فى إيران، مؤشر عدم الثقة وضعف مراعاة المعايير الأخلاقية فى المجتمع الإيرانى، لدرجة أن أكثر من ٧٠٪ من الشعب الإيرانى ليس لديه ثقة فى الآخرين.

من بين الأركان الأربعة لأهداف الثورة الإسلامية، نجد وضعنا فيما يتعلق بهدف الاستقلال هو الأفضل، وإن كان هو الآخر يتعرض لمشكلات فى الوقت الحالى، لأن الاستقلال ينبغى تقييمه من جديد فى دنيا العولمة الحالية، نحن نعيش فى مرحلة تتعرض فيها حياتنا ومعيشتنا وثقافتنا وسياستنا لأمواج العولمة، وإذا لم يكن لنا نصيب فى أمواج العولمة هذه، فهذا يعنى أن استقلالنا مهدد.

على سبيل المثال ماهو الدور الذى لنا فى الاقتصاد العالمى سوى تصدير النفط وواردات بالمليارات؟.

أما من الناحية السياسية فبدلاً من أن نتعامل مع الدول الإسلامية الكبرى ودول العالم المتقدمة التى لها الدور الأكبر فى خلق أمواجه العولمة، وصل أمرنا إلى عقد كل أمالنا على تلقى العون من الدول الشيوعية السابقة مثل روسيا والاتحادية وروسيا البيضاء.

لكن خاتمى مؤمن الجمهورية الإسلامية ويعتبر شعار الدولة الإسلامية إنحراف عن أهداف الثورة الإسلامية، بناء على هذا فإن الدفاع عن توليه رئاسة الجمهورية دفاع عقلانى منطقى فى سبيل تحقيق أهداف الثورة الإسلامية.

طبقا لما قيل يمكن توجيه نقد راديكالى والقول بأن الاستقلال والحرية والجمهورية الإسلامية هى شعارات الثورة فى الثلاثين عاما الماضية، وهدف شباب اليوم فى إيران هو الديمقراطية، لذا فإن الدفاع عن خاتمى جدير بمن هم فى منتصف العمر الذين لازالوا أوفياء لأهداف الثورة الإسلامية لكن لا يمكن دفع شباب اليوم للدفاع عن خاتمى، والرد على هذا هو أن الدفاع عن الاستقلال والحرية والجمهورية الإسلامية هدف أساسى حتى لأولئك الشباب الذين وضعوا الديمقراطية هدف رئيسى لهم، ولنفترض

أن الحكومة قد تغيرت فى إيران، والأشخاص الذين غيروا الحكومة كانوا ديمقراطيين وأجبروا انتخابات حرة لتحديد نوع النظام الحاكم، أتوقع أنه حتى فى مثل هذه الظروف سنصل مرة أخرى إلى الجمهورية الإسلامية بموافقة أغلبية الشعب الإيرانى، والدليل على ذلك واضح وهو أن أغلبية الشعب الإيرانى مسلم، ومن ينتخبهم هذا الشعب لن يصدقوا على قوانين تتعارض مع مبادئ الإسلام، من الممكن أن يكون دستور مثل هذه الحكومة أكثر قربا لأول مسودة لدستور الجمهورية الإسلامية مما هو عليه الدستور الحالى.

ويقول آخر إن قطار الديمقراطية فى غيران يمر عبر طريق الجمهورية الإسلامية وليس طريقا آخر.

من الممكن أن يسئ البعض استغلال الجمهورية الإسلامية التى سيعاد تشكيلها، لذا ليس من اللازم القيام بعمل مضنى كتغيير النظام الحاكم للدفاع عن الديمقراطية أو جمهورية الحكم، بل إن الشباب المؤمن بالديمقراطية يستطيع التصدى لانحرافات الجمهورية الإسلامية الحالية من خلال التمسك بأهداف الثورة الإسلامية هذا الأمر هو ما يؤمن به خاتمى،ة لذا إذا أوصينا الشباب المؤمن بالديمقراطية أن يصوت لصالح خاتمى كشخص يعارض الانحراف عن الأهداف الأساسية للثورة الإسلامية وينشطوا لكى يصل إلى مقعد الجمهورية فلن يكون هذا الكلام كلام قديم لا يمكن الدفاع عنه.

٢- السبب الثانى هو أن خاتمى يستطيع أن يواجه تراكم الأضرار الاجتماعية فى إيران، المجتمع الإيرانى يتمتع بقدرات كبيرة على تغيير أوضاعه السيئة، وهو مجتمع حديث من هذه الناحية، ولكن نفس هذا المجتمع يواجه أنواعا مقلقة من المضار الاجتماعية ولعلنا نلفت نظركم إلى هذه العناوين التى تطالعنا فى وسائل الإعلام كل يوم.

لدينا ٩ ملايين فقير على الأقل، أربعة أو خمسة ملايين عاطل، عدد يتراوح بين المليونين والثلاثة ملايين مدمن، أكثر من خمسة ملايين فرد يعيشون فى مناطق عشوائية، والسؤال الهام الذى نطرحه هنا، لماذا نجد مجتمعا قام بثورة منذ ثلاثين عاما مضت أهدافها إيجاد مجتمع أخلاقى مرفه بدون تفرقة يواجه هذا القدر المتزايد والمتراكم من المشكلات الاجتماعية.

إن التوصل لسبب لهذه المشكلة يفوق طاقة هذا المقال، ولكنى أحب أن أشير هنا إلى نتيجة إحدى الدراسات التى تناولت الأسباب المؤثرة فى النمو المتزايد لمعدلات الإدمان فى إيران وقد وجدت الدراسة أن أحد الأسباب هو مؤسسة الحكومة باعتبارها أكبر مؤسسات وضع السياسات وتنفيذها فى البلاد ، فبدلا من أن تتبع طريقا واقعيا لتحقيق أهداف الثورة والقيام بمهام الدولة، تتبع شعارات مثالية، والآن تطلق الحكومة الحالية شعار العظمة وإدارة العالم، وتريد أن تجلس إيران فوق سقف العالم، ولكن على الرغم من هذه الشعارات، لم يؤسسوا مكانة رسمية جديدة بالثقة لإيران، ومن خلال هذا التعارض بين شعارات الحكومة والواقع الاجتماعى المعاش فى إيران، يتعرض شبابنا للمضار الاجتماعية، والمتميز منهم يسعى للحصول على تأشيرة دراسة لإحدى الدول الصناعية الغربية ليهاجر ويعمل هناك.

إن حكومة خاتمى بكل ما فيها من ضعف لم تكن دولة شعارات، ولهذا السبب فى عهده كانت قدرات المجتمع الإيرانى وبخاصة القدرات الاقتصادية أكبر مما هى عليه الآن.

بناء على هذا، الدفاع عن خاتمى عن الحكومة الواقعية غير الشعارية والأكثر قدرة على تحجيم المضار الاجتماعية.

٣- السبب الثالث هو أن خاتمى أكثر تناسبا وملائمة لخصائص العالم الحالى، فنحن نعيش الآن على المستوى المحلى والعالمى عصر القولبة وتكوين التصورات والخضوع لتأثيراتها على سبيل المثال الصورة السلبية للقاعدة وابن لادن أدت إلى إلحاق الضرر بالدول الإسلامية لدى الرأى العام الغربى، وبكونى مسلما مهتما بمكانة المسلمين فى عصر غياب العدالة الإعلامية، ينبغى أن أسعا وأجتهد فى تقديم صورة إيجابية عن الإسلامية عامة وعن التشيع خاصة، وليس الفضل فى تقديم صورة الإسلام الراديكالى الأصولى، وإنما يستطيع الإيرانيون بالدفاع عن خاتمى تدعيم صورة إسلام تراحمى داعى للسلم والحوار.

إن تحسين صورة إيران ومصداقيتها ذا صلة بالحياة اليومية ومأكل ومشرب ومستقبل الشباب الإيرانى. ومنذ أن رسمتنا صورة سلبية لإيران فى الدول الغربية عندما تحدث مسئولينا فى محو إسرائيل، تعرض التبادل العلمى والاقتصادى والصناعى والطبى والسياحى بين إيران والدول الأخرى لمشكلات أكبر، على سبيل المثال طلابنا الذين لديهم استعداد جيد للسفر إلى الخارج للدراسة لا يسمح لهم بفتح حساب جارى فى أى من البنوك الغربية لمجرد أنهم إيرانيين.

٤- عادة يقول منتقدوا خاتمى أنه لم ستطع تنفيذ شعاراته الخاصة بالتنمية السياسية، وأصبحت هناك قاعدة أشبه ما تكون بالقانون وهى أن رئيس الجمهورية فى البنية الفعلية للجمهورية الغسلامية لا يستطيع فعل أى شئ، وردى على هؤلاء المنتقدين أن تجربة السنوات الثلاث الأخيره أنه على الرغم من أن رئيس الجمهورية لم يستطيع تنفيذ شعارات التنمية السياسية بكل أبعادها، لكنه استطاع إهدار كل الإنجازات السابقة وقلص من قدرة وإمكانات الدول والمجتمع الإيرانى.

فى السنوات الثلاث الماضية رأينا أن المؤشرات الاقتصادية مثل مؤشر التضخم والاستثمار وغيرها لم تحق أى تحسن على

الرغم من تحصيل أكثر من ٢٠٠ مليار دولار نتيجة ارتفاع أسعار النفط ، وكانت أفضل العلاقات الخارجية لإيران مع الدول الاشتراكية ويعلن مسئولونا إحصائيات غير مطابقة للواقع، وبمجرد اتصال تليفونى يتلاعب المسئولون بنتائج امتحانات الطلاب المؤهلة لدخول الجامعة حتى أن الأوائل من المحافظات لا يجدون لهم مكانا فى جامعات طهران.

نحن ندافع عن خاتمى لأننا نعلم أنه لن يطلق مثل هذه الشعارات التى أضرت بإيران وعلى الأقل لن تواجه إيران ركودا اقتصاديا مثلما هو حادث الآن.

٥- فى السنوات الست الماضية كان منتقدوا ديمقراطية خاتمى يقولون إن الحركة الإصلاحية حركة عقيمة بلا فائدة لأنها حركة تتجه من أعلى إلى أسفل فى إطار النظام السياسى القائم، وهم يعتقدون بضرورة التحرك من أسفل إلى أعلى للدفاع عن الديمقراطية وترسيخها بالمجتمع، بمعنى نه ينبغى على دعاة الديمقراطية أن يدعموا المجتمع المدنى من خلال تنظيم أنفسهم وتدعيم المؤسسات المدنية ومراقبتهم لتصرفات الحكومة والتواصل مع الحركات الاجتماعية لأنه لا يمكن فرض تفعيل حقيقى للديمقراطية على النظام السياسى بدون مجتمع مدنى قوى.

ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة الاستدلال السابق، ولا نريد تقييم حصيلة السنوات الست الماضية، ولكن كلمتى فى هذا الشأن هى أنه إذا كان هؤلاء المنتقدون يريدون الصدق فيما يقولون، يستطيعون بدعمهم لتولى منصب رئيس الجمهورية من قبل فرد مثل خاتمى أن يخلقوا ظروفا أكثر موائمة لتحقيق أهدافهم.

ألا يستطيع هؤلاء المنتقدون أن يحققوا أهدافهم على نحو أفضل فى ظل رئاسة شخصية مثل خاتمى تؤمن بحرية المواطنين وتتوافق مع مفاهيم الديمقراطية؟ وهل تولى شخص ليس لديه أى إيمان بالجمهورية الإسلامية ويسعى إلى إقامة الحكومة الإسلامية، منصب رئيس الجمهورية، لا يجعلهم يواجهون عقبات أكبر أمام تحقيق أهدافهم؟.

٦- السبب الأخير هو أن الدفاع عن ترشح خاتمى من الممكن أن يطيح باللعبة المديرة سلفا من قبل معارضى احرية وجمهورية الجمهورية الإسلامية.

الاختلاف بين انتخابات عام ١٩٩٧ عن انتخابات ٢٠٠٩ هو أن معارضى الحرية فى انتخابات ٢٠٠٩ يتمتعون بإمكانات الدولة الخفية، ولن يرغبوا فى أن يغامروا فى الانتخابات مثلما حدث فى السابق، وسيستطيعون إجراء انتخابات يحصلون فيها على أغلبية الأصوات ببركة أموال النفط والمصادرة على القيم الأخلاقية والدينية إلى حده يجعل هاشمى رفسنجانى يوجه شكواه إلى آية الله المخطط الأساسى لمعارضى الحرية (وفى رأى هم معارضوا جمهورية الجمهورية الإسلامية) هو إجراء الانتخابات باشتراك مرشح ضعيف للإصلاحيين، وبعد إجراء الانتخابات سيبرزون فى الداخل والخارج أن مرشحهم قد فاز فى انتخابات حرة وديمقراطية وأن الشعب الإيرانى وجه ضربة قاصمة للإصلاحيين.

وأعتقد أن الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يعبر كل هذه العقبات ويحبط ذاك المخطط هو خاتمى، وبمطالعة الصحف التابعة لمعارضى الحرية ندرك أن الكابوس الذى يؤرقهم هو اشتراك خاتمى فى الانتخابات.

٥- ردود فعل الناشطين السياسيين على دعوة كروبى

اعتماد ملى (الثقة الوطنية) ٢٨/٨/٢٠٠٨

كانت دعوة حزب اعتماد ملى للسيد مهدى كروبى للمشاركة فى انتخابات الدورة العاشرة لرئاسة الجمهورية، الخبر الذى برز خلال وسائل الإعلام المختلفة فى الأيام الماضية، هذا فى حين أن السيد كروبى لم يتخذ قرارا حاسما بالمشاركة من عدمه.

ولكن لا شك أن هذه الدعوة قد أثارت ردود فعل متباينة، فقد اعتبر البعض أن مشاركة كروبى ستكون مشاركة مؤثرة فيما انتقد البعض هذا الاقتراح.

يقول حجة الإسلام منتجب نيا القائم بأعمال حزب (اعتماد ملى) أن كل الجماعات الإصلاحية ستقوم بالتنسيق اللازم لدعم السيد كروبى وأحد الآليات الأصلية للانتخابات هى التنسيق مع مسئولى النظام وجذب اهتمامهم، ونحن واثقون من ترحيبهم بالسيد كروبى ونأمل أن يحظى بالعدل والإنصاف.

وفى إشارة إلى مشاورات هذا الحزب مع سائر الإصلاحيين أكد منتجب نيا، أنه بعد إعداد المقيد اللازم لتقديم مرشحى الحزب، والتأكيد على ترشيح أمين عام الحزب، وكذلك مع تأكيدنا على التفاهم المنطقى والتحالف بين الجماعات

الإصلاحية من الضروري حدوث تنسيق مع باقي الإصلاحيين ونحن سواء كان للحزب مرشح، أو المرشح كان خارج الحزب، فنحن وراء التحالف. وليس دولة الحزب لأننا نؤمن بأن الحكومة الائتلافية تستطيع إدارة الدولة على نحو أفضل وأقدر.

وحتى الآن لم يأخذ السيد كروبى رأياً قاطعاً حول قبول ترشيح للانتخابات والسؤال: هل الجماعات الإصلاحية حتى الآن لم تعلن دعمها لاختيار حزبكم؟

أقول لازال هذا الموضوع بعيد عن البحث بصورة رسمية ولكن كل ما أعلن عبر الصحف ووسائل الإعلام، والحقيقة أننا وجدنا ترحيباً كبيراً في اقتراح الترشيح، حتى من قبل الجماعات غير الإصلاحية.

وحول ترشيح السيد خاتمى نفسه في هذه الانتخابات وتأثير ذلك على اقتراح ترشيح السيد كروبى.

قال: إننا نأمل في الاجتماعات التى ستعقد في مجمع روحانيون مبارز أن يحدث التفاهم، وأن يختار الإصلاحيون مرشحاً واحداً يقفوا خلفه.

أما السيد مجيد محتشمى أمين عام حزب آزادى (الحرية) يقول أن المنافسة داخل جبهة الإصلاحات أصل أساسى لا يمكن إنكاره وأى من أشكال التخريب يتحملها العناصر المتشددة في الجبهة فليس لأحد الحق في فرض إرادته الشخصية أو إرادة حزبه على سائر الجماعات، لأن هذا الأمر لا يتوافق مع أسس الجبهة ويؤكد السيد ذبيح الله كريمى عضو مجمع نواب المجلس أن كروبى يمثل أفضل اختيار للجبهة في ساحة انتخابات رئاسة الجمهورية وبالطبع فإن السيد كروبى لم يأخذ قراره بعد وحزب اعتماد ملى سيظهر في الانتخابات باستقلال وفى إطار حزبى وبالطبع سيعمل بالتنسيق مع باقى الجبهة.

ويقول مسعود سلطانى الرئيس التنفيذى للجنة انتخابات اعتماد ملى أننى اقترح على كل الجماعات الإصلاحية الإجماع على ترشيح السيد كروبى وحزب اعتماد ملى رشح السيد (مهدى كروبى) الانتخابات الرئاسية القادمة ونحن نرحب بشدة بكل الجماعات الأخرى التى توافق على هذا الترشيح ونحن نسعى للحصول على إجماع مع سائر الجماعات الإصلاحية، لأن من صالح الإصلاحيين الإجماع حول مرشح واحد.

وأكد مسعود أن قطعية هذا الترشيح منوط بقبول السيد كروبى نفسه والسيد كروبى ينتظر إجماع حماية الإصلاحيين.

ويقول حجة الإسلام نورى شاهرودى رئيس اللجنة الدولية بحزب اعتماد ملى، أنه لحسن الحظ بعد اجتماع اللجنة المركزية للحزب لساعات أن يكون القرار هو ترشيح مهدى كروبى كمرشح للحزب في انتخابات الرئاسة القادمة، ورغم عدم قطيعة هذا الترشيح انتظار لقرار السيد كروبى، فإن هذا الإجماع من قبل أكبر جماعة للإصلاحيين خير دليل على واقعية الاختيار ونظر للمستقبل ومراعاة للظروف الخاصة بالدورة المقبلة لرئاسة الجمهورية.

وحول ضرورة إجماع باقى الجماعات الإصلاحية على هذا الترشيح، أكد شاهرودى أن الإصلاحيون مع امتلاكهم لأكثر من ١٨ مليون صوت في الانتخابات، إلا أنهم كانوا بلا قيمة بسبب تعدد المرشحين، وبالطبع هذا لن يحدث مستقبلاً، والسيد كروبى من الشخصيات المؤثرة في النظام والإصلاحات وتحظى بقبول وشرعية وأعتقد أنه سيكون موضع إجماع لباقى الجماعات الإصلاحية وحول الاختلافات بين الجماعات الإصلاحية، قال شاهرودى أن لحسن الحظ لا توجد اختلافات هامة في تيار الإصلاحات ومشروعية السيد كروبى في الرأى العام أكبر من أى اختلاف.

كروبى معلم كبير للإصلاحات، وهى الشخصية التى اتفق عليها العدو والصديق، ويعتبرونه الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يوحد الإصلاحيون من جديد.

٦- تعديل قانون الترشيح لرئاسة الجمهورية

اعتماد ملى (الثقة الوطنية) ٢٠٠٨/٩/١٦

يقال أن الهدف الأساسى لدى المتقدمين بطلب تعديل قانون الترشيح لرئاسة الجمهورية الإيرانية هو منع مشكلة ترشح أفراد يفتقدون اللياقة للترشيح.

واضعوا مشروع هذا القانون يرون إسناد مهمة تفسير الشروط الواجب توافرها في المرشحين ومن بينها أن يكون رجل دين وسياسة إلى مجلس صيانة الدستور، الأمر الذى أدى إلى تراجع عدد من الموقعين على مشروع القانون من أعضاء إئتلاف الأقلية داخل المجلس، ويرى بعض النواب أن مشروع القانون في حال إقراره لن يحدث اختلافا حقيقيا عن الوضع الحالى في الانتخابات الرئاسية.

وقد صرح محمد رضا تاج الدين أحد المتقدمين بمشروع القانون وتعديل المادتين ٣٥ و٥٥ من قانون انتخاب رئيس الجمهورية حول أسباب التقدم بالمشروع قائلا: التعديلات المراد تنفيذها على المادتين ٣٥ و ٥٥ من قانون انتخابات رئاسة الجمهورية ستكون جامعة بحيث لن تغفل شخصا يستحق الترشح وستكون مانعة بحيث ستمنع أى شخص لا يستحق الترشح من أن يترشح.

وفى اعتراض على هذا المشروع تحدث السيد على أديانى نائب قائمشهروسواد كوه، قائلا أن هذا المشروع لا يحل المشكلات القائمة لأنه عندما تطرح عبارة رجل سياسة، ينبغى أن يكون رجل السياسة يتمتع بشعبية، لكن المواد الموضوعة في المشروع ليس بها معايير رجل السياسة والدين، على سبيل المثال فإن رؤساء الجامعات الإقليمية لا يمكن أن يكونوا مصداقا لرجل السياسة، وبعد أديانى راد، قال جواد جهانجير زاده نائب أروميه أن الترشيح لرئاسة الجمهورية ليس مزحة أو تسلية، وأضاف أن البعض يمزح بالترشح لرئاسة الجمهورية، وبعد كلمات من المعارضين والموافقين على مشروع القانون المقدم بتوقيع ٦٢ نائبا صدق المجلس عليه بموافقة ١٦٩ صوتا واعتراض ٢٩صوتا وامتناع ٦ أصوات.

طبقا لهذا القانون، تلحق فقرتان بالمادة ٣٥ لقانون انتخابات رئاسة الجمهورية، تنص الفقرة الأولى، على تولى مجلس صيانة الدستور تحديد مدى توافر الشروط في المرشحين ومن بينها كونه رجل دين وسياسة.

وطبقا للفقرة الثانية ينبغى على المرشحين فضلا عن توافر الشروط السابقة أن يكون لهم سابقة تولى أحد المناصب التالية كرئيس الجمهورية ومعاونيه ومستشاريه، نواب البرلمان ونواب مجلس خبراء الزعامة ونواب الولى الفقيه في المؤسسات والمحافظات، رئيس السلطة القضائية ومعاونيه ومستشاريه، رؤساء المجلس الأعلى للدولة، أعضاء مجمع تشخيص مصلحة النظام وسكرتيره، أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، أعضاء مجلس صيانة الدستور، الوزراء ووكلاء الوزارات ومعاونيهم، رئيس القيادة المشتركة للقوات المسلحة، وقادة الأفرع الثلاث للجيش والحرس الثورى ورؤساء الجامعات الكبرى والإقليمية، السفراء والمحافظين، رؤساء المدن، مدرسو الحوزات العلمية وأساتذة الجامعات ورؤساء الأحزاب وسكرتاريتها ورؤساء الهيئات السياسية الرسمية على المستوى القومى.

طبقا للفقرة الثانية لهذا القانون، يتم تعديل المادة ٥٥ من قانون انتخابات رئاسة الجمهورية، ويقضى هذا التعديل بأن المتقدمين للترشح أو الممثلين منهم الذين لهم كل الصلاحيات عليهم التوجه لوزارة الداخلية في مدة خمسة أيام من تاريخ نشر قرار بدء الانتخابات للحصول على خطاب الترشح بعد تقديم كل المستندات اللازمة للترشيح ثم استكمال المستندات الشخصية وتسليمها إلى وزارة الداخلية.

النساء لسن رجال سياسة:

طبقا للتفسير الذى قدمه مشروع القانون الذى صدق عليه المجلس، فإن النساء لا يعتبرن رجال سياسة، ويقول محمد رضا تاج الدين وهو أحد واضعى مشروع القانون بشأن عدم تغيير وضع ترشيح النساء لرئاسة الجمهورية قائلا أن المجلس لا يستطيع التدخل في هذا الشأن لأن كلمة رجل سياسة ذكرت في الدستور وهو يتبع رأى مجلس صيانة الدستور في تفسير الدستور، وهذا أمر قد قام مجلس صيانة الدستور بتفسيره من قبل، إلا إذا كان رأى المجلس قد تغير .

أما عضوات المجلس فلم يبدين اهتماما كبيرا بالموضوع، وتقول إحداهن: إن مشكلة المرأة الإيرانية ليست رئاسة الجمهورية، وتقول أخرى: لقد عهدنا بالأمر إلى مجلس صيانة الدستور.

خطاب التطور والعدالة

رسالت(الرسالة) ۲۱/۹/۲۰۰۸

يعتبر خطاب الثورة الاسلامية في عقدها الرابع هو خطاب التطور والعدالة، والشعب الايراني الذي يصمد على المبادئ ولا يتنازل عن حقه المشروع لامتلاك التقنية النووية، هو من رواد العلم والبحث ومواكبة الزمان.

لقد سجل الشعب الايراني حضوره الواعي في فترة اعمار البلد وتقدمه العلمي والصناعي مثلما فعل في فترة الدفاع المقدس.

ان الذين تلقوا صفعة من الاسلام والثورة الاسلامية سيواصلون العداء، لكن الشعب الايراني وفي ظل الصمود واليقظة سيحوّل العقد الرابع من الثورة الاسلامية الى عقد التنمية والعدالة، الامر الذي سيصون البلاد من جميع الاخطار.

لقد مرت ۲۸ سنة على تلك الايام التي فرض فيها النظام العراقي السابق حرباً ظالمة ولمدة ٨ سنوات ضد الثورة الاسلامية التي لم يمض على انتصارها إلا سنة ونصف وكانت دولة ضعيفة ومتزلزلة وظن صدام حسين انه يتمكن من اجتياح ايران خلال بضعة ايام.

لكن الصمود والمقاومة والارادة الفولاذية المنبعثة من الايمان بالله وبمبادئ الثورة الاسلامية حال دون تحقيق احلام صدام وضربت المقاومة الايرانية اروع مثال في الدفاع عن سيادة ايران وكرامتها.

إن ابطال الامس خاصة القيادات في الحرس الثوري والجيش يمكن ان نقسمهم اليوم الى ثلاثة اقسام: قسم ينتمي الى التيار الاصولي والمحافظ واصبح من المدراء والمسئولين وصناع القرار في ظل الحكومة الحالية اي حكومة السيد احمدي نجاد، وقسم آخر ينتمي الى التيار الاصلاحي ويحمل هموم الاصلاح السياسي والاقتصادي ويعتبر السيد خاتمي ملجأ ومركزا لتحقيق هذه الاهداف اما القسم الثالث من ابطال الدفاع المقدس فهم الذين لم يدخلوا المعترك السياسي واعتزلوا العمل السياسي وبقوا في الهامش وليس في مركز العمل الاجتماعي.

ان لا اشكال في العمل السياسي من قبل العسكريين لكن شرط ان لا يدخلوا المعترك السياسي وهم عسكريون.

حذار من تدخل العسكريين في العمل السياسي، فالعسكري بامكانه ان يدخل المعترك السياسي لكن بعد ان يخلع بزته العسكرية ويعمل كباقي المواطنين المدنيين في مجال السياسة والاقتصاد.

شعارنا العدالة

رسالت (الرسالة) ١٦/٩/٢٠٠٨

ألقى الرئيس السابق محمد خاتمي كلمة في جمع من انصاره الاصلاحيين بمحافظة خوزستان طلب فيها من انصاره ان يخرجوا من حالة الدفاع والانفعال وان يتخذوا موقفاً فاعلاً في الاشهر القادمة.

ونرجو أن لا تصبح هذه الكلمة من السيد خاتمي ذريعة بيد المتطرفين في التيار الاصلاحي الذين يحاولون ان ينقلبوا على مبادئ واسس الثورة الاسلامية، فعلى التيار الاصلاحي ان يذعن بالتعددية والتنوع السياسي في ايران وان يدير المنافسة السياسية مع التيارات الاخرى حسب القواعد والقونين الديمقراطية.

وقال خاتمي أن شعار الاصلاحيين هو العدالة ايضاً وان التيار الاصلاحي تعرّض للظلم والاضطهاد وانه تيار اصيل يعتقد بمبادئ الثورة الاسلامية واهداف الامام الخميني وانه تعرض لتشويه من قبل التيارات المعادية.

انه من دواعي السرور ان يعلن السيد خاتمي التزامه بالعدالة ومبادئ الثورة والامام لكن الاهم من ذلك هو الفعل والثبات والاستقامة في هذا الطريق وعدم التململ والتذبذب في الالتزام بهذه الاصول.

هناك الكثير من الاصلاحيين يعتقدون بان المرشح الاصلاحي في الانتخابات الرئاسية يجب ان يكون مرشحا واحداً وقويا ليكسب الأراء الكافية في هذه الانتخابات وهؤلاء يقولون ان ترشيح كلا الشخصيتين خاتمي وكروبي سيشتت آراء الناس ويضعف حظ الاصلاحيين وسيكون لصالح التيار المنافس وهو التيار الاصولي بقيادة السيد احمدي نجاد.

في مختلف شرائح المجتمع الايراني هناك تعدد وتنوع ثقافي وسياسي كبير ولابد من وجود مرشح لكل طيف من اطياف المجتمع فلا مشكلة في ترشيح السيد خاتمي والشيخ كروبي معا وذلك سيقوي موقف التيار الاصلاحي في الانتخابات المقبلة.

كلفة أم فرصة ؟

■ رسالت (الرسالة) ١٤/ ٩/ ٢٠٠٨

وجه حسن روحاني الأمين السابق لمجلس الامن القومي الاعلى انتقادات شديدة لسياسات الحكومة، حيث قال: مع الاحتفاظ بالاصول والمبادئ الاسلامية بامكاننا ان نقلل من نسبة التكاليف في طريقنا لتحقيق المصالح الوطنية. فاننا اليوم نعاني من عدم وجود اجماع على المسائل والقضايا الاساسية ونشهد حالة تراجع على مستوى السياسة الخارجية وعلى مستوى الاقتصاد وادارة الامور في الداخل.

ان كلام الشيخ روحاني يتعارض مع تصريحات المرشد الأعلى للجمهورية على خامنئي قبل عدة ايام حيث وصف خامنئي حكومة احمدي نجاد بانها حكومة عمل وتحرك وحيوية وجدية في العمل وانها تحمل خطاباً يتطابق مع خطاب الامام الخميني والثورة الاسلامية.

ان ابرز اهداف الحكومة الحالية هي المطالبة بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية على مستوى الداخل ومقارعة الاستكبار العالمي على مستوى الخارج وان هذه الاهداف تأتي في صلب اهداف الثورة الاسلامية وخطاب الامام الخميني.

لا ينبغي وقف المشاريع الحيوية بسبب الخوف من عدم تحققها او تحققها بشكل ناقص ولكن في نفس الوقت يجب التحلي بالتأني والدراية في هذا المجال. ومشروع الحكومة الاقتصادي وخلافاً لما يروجون ضده، مقبول من اهل الخبرة والاختصاص.

معروف ان الاقتصاد الايراني يعاني من مشكلة كبيرة وهي الدعم الذي تعطيه الحكومة لخفض اسعار المواد الاساسية كالخبز والوقود، والاسوأ من ذلك ان النسبة الاكبر من هذا الدعم تصب لصالح الطبقات المرفهة والميسورة من الناس وليس الفقراء ومتوسطي الحال منهم. ومشروع الحكومة هو حذف هذا الدعم الذي سيؤدي الى ارتفاع اسعار هذه المواد الاساسية، وفي المقابل توزيع الثروة الوطنية بشكل عادل بين المواطنين بحيث يعطى الطبقات المرفهة نسبة اقل وللطبقات الضعيفة والمحرومة نسبة اكبر من الاموال التي ستوزع بين المواطنين.

ان الاستمرار في الوضع الاقتصادي الحالي يؤدي الى تعميق الهوة بين الفقراء والميسورين وان مشروع الحكومة الحالية خطوة كبيرة في تجسير هذه الهوة وتاصيل العدالة في المجتمع. ان هذا المشروع ينبغي ان يكون في ادبيات الصحف والاعلام من (مشروع احمدي نجاد) الى (مشروع النظام باكمله) لانه مشروع عظيم للتحول الاقتصادي نحو العدالة والتنمية المتوازنة وهو يأتي في اطار تطبيق المادة ٤٤ من الدستور الايراني.

نظرة على أداء المجلس الثامن

■ فؤاد صادقى ■ فردا نيوز ٢٠٠٨/٨/١٢

على الرغم من عمليات البحث والتحليل العديدة التى تقوم بها وسائل الاعلام الأجنبية والمعارضة خارج البلاد وصولا إلى صحافة الإصلاحيين بل ووسائل إعلام الأصوليين حول التطور الاستراتيجى للمجلس الثامن مقارنة بالمجلس السابع، فإن أداء الشهور الأولى للمجلس الثامن أثبت أن هذه التحليلات تستند إلى الأوهام الذهنية والتصورات التجريدية وربما نسج المحللين أكثر من أن تكون ترجمة للحقائق والشواهد الملموسة واليوم فإن أبسط شخص بإمكانه أن يقول أن هناك اختلافاً ملحوظاً بين أداء ومواقف المجلس السابع والمجلس الثامن.

ومن أهم مواقف وقرارات المجلس التصديق على أوراق الاعتماد وابداء الرأى فى الملف النووى وتشكيل ورشة عمل لمقاومة التضخم والتصديق على متمم الموازنة بقيمة ٥ مليارات دولار وأخيرا التصويت على الترشيحات الثلاث المقترحة من جانب رئيس الجمهورية بالنسبة لوزارات الاقتصاد والداخلية والطرق خارج المهلة القانونية "المحددة لرئيس الجمهورية لتقديم ثلاث وزراء لهذه الوزارات الشاغرة". واعتمادا على عملية التغيير التى حدثت فى رئاسة المجلس وامتناع النواب عن التصويت لغلام حداد عادل كرئيس للمجلس أو باهنرة كنائب اول لرئيس المجلس كان يتوقع أن تكون هناك رؤية مختلفة عن المجلس السابع لكن أداء السبعين يوما الأولى لهذا المجلس تتطابع بشكل تام مع رؤية المجلس السابع فى التعاطى مع الحكومة التاسعة.

الرؤية التى ربما أمكن تسميتها بالأصولية المحافظة أو اليمنية البراجماتية ولهذا انتهت حرب اللوائح فى بداية المجلس الثامن، وبعد ذلك أدت براجماتية النواب الى التصديق تعلى اللائحة التى تجيز أخذ خمسة مليارات دولار من صندوق احتياطى العملة لنفقات خارج موازنة الحكومة وكانت معارضة وملاحظات توكلى ونادران أشبه بحلقات مسلسل مكرر وعملى.

لكن النواب طبقاً لرؤية المجلس السابع صوتوا مرة ثانية لصالح هذه اللائحة، من ناحية أخرى فإن تصريح على لاريجانى الذى يبدو أكثر قدرة من حداد عادل فى رئاسة قوية للمجلس بخصوص اعادة النظر فى العلاقة بين إيران والوكالة الدولية للطاقة والذى جرى تفسيره من قبل وسائل الإعلام الداخلية والأجنبية بتدخل المجلس الثامن وتأثيره فى الملف النووى فإنه قد انمحى بسرعة برد فعل صريح من جانب رئيس الجمهورية ونفى ضرورة التغيير فى هذا الصدد وثبت بالقطع أن المجلس الثامن فى موضوعات السياسة الخارجية والملف النووى يشبه المجلس فى تبعية مواقف الحكومة التاسعة والتصديق عليها والتكبير والتهليل لها.

أما المبادرة الأخرى التى تقدمت بها هيئة رئاسة المجلس لعقد ورشة عمل لمقاومة التضخم فإنها قد اختفت فى ظروف غامضة مع لا مبالاة الحكومة وتعاطيها البارد.

أما عن طريقة تعاطى الحكومة مع المجلس فى موضوع التطور الاقتصادى وعقد جلستين مع النواب مثل الجلسة التى كانت مع وسائل الاعلام والامتناع عن تقديم المشروع كتابة للمجلس فإن دور المجلس فى هذا الموضوع لن يكون أكثر من رقابة مثل رقابة الصحف.

وأخيراً عملية التصويت الأخيرة على الوزراء المقترحين التى بناء على رأى بعض النواب تمت بعد اسبوعين من المهلة القانونية فهى أحدث حلقات المسلسل المكرر وقد اخذت تماما شكل عملية التصويت السابقة فى العام الماضى على وزراء الصناعة والتربية والتعليم ونفذ المجلس مطلب رئيس الجمهورية على الرغم من وجود مخالفات صارخة.

والاختلاف بين المجلس السابع والثامن لا يجب أن يبحث فى الاستراتيجية وكيفية التنفيذ بل فى التغيرات الشكلية حيث تم استبدال وجوه مثل افروغ وخوش جهره وسبحانه وأبو طالب بأفراد آخرين مثل مطهرى وحسينيان وكما كان الأمر فى السابق يلعب طيف توكلى ونادران وزاكانى دور المعارضة الشكلية وفى هيئة الرئاسة تركزت التغيرات والتطورات ليس فى دورها الخارجى بل فى المعادلات الداخلية وبالحد من نفوذ ووزن باهنر زادت قوة لاريجانى بالمقارنة بحداد عادل لكن بصفة عامة فإن هيئة رئاسة المجلس تسير على الأقل فى تعاطيها مع الحكومة على نهج سلافها وبالقيام ببعض التغيرات واستبدال الوجوه المقربة منها تم تسهيل المعاونة البرلمانية لرئاسة الجمهورية.

من المؤكد أنه قد حدثت تغيرات فى تيار الأقلية للحد من تحركاتها وبالفعل لم يملأ أحد مكان النائب النشط أعلمى الذى كانت له معارضات قوية وكانت تعطى رونقاً

للمجلس لكن السؤال هنا لو أن المجلس الثامن يسير على خطى المجلس السابع هل يجب توقع مصير مختلف عن ذلك المجلس المصير الذى تعرفه كل التيارات السياسية بداية من الحكومة التاسعة وانتهاءً بالاصلاحيين والأصوليين المتقدين بل ومجمل التيار اليمنى فهم يرونه مجلساً قليل الفاعلية فاشل ويبدو أن فشل المجلس السابع الذى طبقا لاعتراف مختلف التيارات تجلى فى فشل حداد عادل وباهنر فى انتخابات هيئة رئاسة المجلس يجب أن تكون ناجمة عن التخبط فى ايجاد دور مناسب للمجلس من بين ثلاث توجهات عامة مجلس داعم أو مجلس مؤثر أو مجلس منتقد ، هذه الأدوار الثلاثة بصفة عامة تظهر توجهات البرلمان نحو الحكومات فعندما يكون المجلس والحكومة متحدين من الناحية الحزبية والسياسات الاقتصادية والثقافية والدبلوماسية يتخذ المجلس اتجاه المجلس الداعم ويحشد المجلس كل طاقاته وصلاحياته لزيادة فاعلية وتسريع وتيرة نشاط الحكومة ومثال هذه النوعية من المجالس فى إيران من الممكن أن يكون المجلس السادس مع حكومة الاصلاحات والمجلس الثالث فى السنوات النهائية من حكومة المهندس موسوى أما الاتجاه الثانى وهو المجلس المؤثر يتولى المجلس دوراً مؤثراً فى التعاطى مع الحكومة وعلى الرغم من الروابط الأسرية بين الحكومة والمجلس فإن النواب يخلقون تغيرات استراتيجية فى نشاط الحكومة مستفيدين من الامكانات القانونية ومثال ذلك تعاطى المجلس الرابع مع الحكومة الثانية لهاشمى رفسنجانى فكان تغيير عدد من الوزراء وتحويل سياسات التعديل الى التثبيت الاقتصادى والتغيير فى التوجهات الثقافية للحكومة، كل ذلك كان من آثار المجلس الرابع، أما التوجه الثالث للمجلس وهو المجلس المنتقد حيث يظهر اختلاف التوجه بين المجلس والحكومة حيث تعمل كلا المؤسستين على تنفيذ رؤياه مثال ذلك تعاطى المجلس الخامس مع حكومة الاصلاحات.

أما علاقة المجلس السابع والثامن مع الحكومة التاسعة فإنها أخذت شكل التخبط بين التوجهات سالفة الذكر بالنواب الحاليون يقطعون الوعود مثل المجلس المنتقد ويتخذون الموقف مثل الموقف المؤثر ويصوتون مثل المجلس الداعم.

على سبيل المثال على الساحة الاقتصادية تركز موقف نواب المجلس حتى شخص مثل باهنر فى بداية تشغيل المجلس الثامن على معارضة الرؤية الاقتصادية الحاغلية للحكومة وتوجيه النقد لها بشدة لكن نفس الأشخاص بذلوا كل مساعيهم فى إطار التصويت على أول خطوة فى الحكومة التاسعة وهى الأخذ من صندوق الاحتياط النقدى، أما على ساحة السياسة الخارجية فإن رئيس المجلس الثامن اتخذ سمتة المجالس المؤثرة إلا أن أداء الشهور الأخيرة للبرلمان فى السياسة الخارجية كان أكثر شحوباً وأقل فاعلية من المجالس الداعمة. أما على صعيد الثقافة والاجتماع والسياسة الداخلية كانت الظروف كالتالى: كانت الحكومة من ناحية تشعر بعدم مساندة المجلس بسبب المعارضة الصريحة والعلنية من جانب النواب، وكما أنها كانت تعتبر المجلس السابع مقصرا فإنها تتهم هذا المجلس بالعرقلة، ومن ناحية أخرى كان النواب يشعرون بالتناقض والمقايضة على أساس التيارات داخل المجلس بين النواب ويشعرون أن الحكومة لا تستجيب لمعارضتهم الصريحة.

وقد أدت كل هذه النظروف الى الانتقاص من أسهم الحكومة وبالفعل فقد المجلس أداءه الأساسى الذى يتمثل فى الرقابة والتشريع للحكومة ولم يستطع أن ينحو منحى المجالس الداعمة ولم يك له تأثير المجالس لامؤثرة ولم يلعب دور المعارضة والنقد بشكل جيد مثل المجالس المنتقدة إضافة لى ذلك دفع ثمن هذه التوجهات الثلاث ولم ينال أى ثمرة من فوائدها.

على أية حال يبدو أنه بعد أسبوع الحكومة بالنظر إلى مضى حوالى ثلاثة أشهر على تشكيل المجلس الثامن يجب على النواب وخاصة الهيئة الرئاسية أن يبحثوا كثيراً عن دور واقعى يتناسب معهم حتى لا يكون مصيرهم كحال المجلس السابع.

تفاقم الأزمة الاقتصادية الإيرانية: إقالة طهماسب مظاهرى

إيران ١٧/ ٩/ ٢٠٠٨

حظيت إقالة طهماسب مظاهرى بتغطية إعلامية مكثفة وأثارت ردود فعل كثيرة على مستوى الهيئات الاقتصادية والإنتاجية والحزبية على السواء، وقد فاقت أصداء هذه الإقالة، جميع الإقالات السابقة التى حدثت في حكومة أحمدى نجاد والتى بلغت ثلاث عشرة إقالة.

بدأ طهماسب مظاهرى مهام منصبه كمحافظ للبنك المركزى وهو يتوقع إقالته في أى لحظة لأن نهجه الاقتصادى يختلف كلية عن سياسات رئيس الجمهورية أحمدى نجاد، فضلا عن تاريخه السياسى الذى اقترن بالإصلاحيين وحكومة خاتمى أكثر من المحافظين. فقد كان المدير التنفيذى لبنك تنمية الصادرات الإيرانية ووزير الاقتصاد والخزانة في حكومة خاتمى، فما الذى دفع أحمدى نجاد إلى تكليفه بذلك المنصب الخطير بدلا من شيبانى المقرب إليه؟.

تولى طهماسب مظاهرى رئاسة البنك المركزى نتيجة لضغط شديد من مؤسسات المجتمع المدنى يدعمه نقد حزبى مكثف للسياسة الاقتصادية لأحمدى نجاد وفى غمار المعركة الانتخابية لمجلس الشورى الإسلامى رأى أحمدى نجاد ضرورة التلويح بإمكانية تغيير سياساته الاقتصادية فعين مظاهرى.

دخل مظاهرى خمس معارك كبرى مع حكومة أحمدى نجاد خلال عام واحد هى فترة توليه لمنصبه كان كل منها كفيل بإخراجه من منصبه إلا أن التردى المتزايد للأوضاع الاقتصادية الإيرانية ونجاح مظاهرى في إقناع الرأى العام الإيرانى بأن ما هم فيه نتيجة لأخطاء السنتين الماضيتين وأنه بصدد إصلاح ما تم إفساده حال دون طرده.

تولى أحمدى نجاد رئاسة الجمهورية بقوة دفع وعوده الاقتصادية وشعار توزيع عائدات النفط على المواطنين وإثراء موائدهم، وتزامن مع ذلك ارتفاع أسعار النفط حتى بلغت الزيادة في دخل إيران من بيع النفط ٢٠٠ مليار دولار، وبدلا من أن يحقق أحمدى نجاد وعوده ارتفع معدل التضخم من ٨٪ إلى ٢٥٪ ليجد الإيرانيون أموالا في أيديهم لكنها لا تشترى شيئاً.

تتداخل المشكلات الاقتصادية في إيران بحيث لا يمكن فصل واحدة منها عن الأخرى كما أنها أصبحت مؤثرة على التفاعلات السياسية الداخلية أكثر من أى اختلاف حزبى أو إيديولوجى، والقاسم المشترك بين جميع المشكلات الاقتصادية الإيرانية هو توجه أحمدى نجاد إلى ضخ أموال في أيدى المواطنين بدون إنتاج حقيقى يوازى هذه الأموال على نمط أشبه ما يكون بقائد حرب في العصور الوسطى يوزع الأموال على الجند ليشترى ولائهم قبل دخول المعركة، لذا تمثلت معارك مظاهرى الاقتصادية معه في خمس قضايا متشابكة وهى:

١- كيفية التعامل مع صندوق احتياطى النقد الأجنبى.

٢- معدل تقديم الاعتمادات البنكية للوحدات الانتاجية، والقروض المقدمة لها وسعر فائدتها وضماناتها.

٣- إجراءات السيطرة على معدل التضخم.

٤- رفع سعر الفائدة على الودائع البنكية.

٥- المؤسسات المالية الموازية مثل مؤسسة القرض الحسن ولجنة إمداد الإمام الخمينى وبنك الحرس الثورى وميزانيات الأوقاف، وجميعها خطوط حمراء لم يقترب أحد منها من قبل وهى لا تخضع لإدارة الحكومة وإنما لرئيس الجمهورية مباشرة أو لمرشد الثورة الإسلامية.

كما قلنا القضايا الخمس متداخلة إلى حد كبير، فمعلوم أن خاتمى أثناء فترة توليه لرئاسة الجمهورية قد أنشئ صندوقا لفائض عائدات النفط، حيث يقدر سعر النفط لدى وضع الموازنة العامة بسعر ثابت ويضرب معدل إنتاج إيران لتحديد عائدات النفط التى ستحدد بدورها موارد الدولة وبالتالى تقدر موارد الموازنة العامة، أنشئ خاتمى وبضغط من المحافظين في المجلس آنذاك صندوقا يجنب فيه ما يزيد عن ماتم تقديره من عائدات النفط ، واقترح حينها أن يخصص لتعويض ما يحدث من انخفاض في سعر النفط ، أو توجيه متحصلاته في مشاريع إنتاجية، وتمسك المحافظون حينها بتكوين إدارة للصندوق من الأغلبية والمعارضة على السواء واستخدموا في ذلك كل أوراق الضغط القانونية وغير القانونية، لكن الأمر تغير بعد أن جمع أحمدى نجاد بين رئاسة الجمهورية وأغلبية المجلس وأصبح رصيد صندوق الاحتياطى النقدى سر لا يعلمه أحد ، حتى وصل الأمر إلى تصريح وزير الاقتصاد بأنه لن يعلن أبداً حجم رصيد الصندوق وكذلك فعل مظاهرى وبعد ضغوط شديدة أعلن موسى الرضا ثروتى عضو لجنة الخطة والموازنة بالمجلس أن مندوبا من البنك المركزى حضر إلى المجلس وأعلن أن رصيد الصندوق الحالى يبلغ ٧ مليار دولار، وهو الأمر الذى أحدث صدمة في الشارع الإيرانى إذ تذهب التقديرات إلى أن احتياطيات الصندوق ينبغى أن تصل إلى ١٥٠ مليار دولار على أقل التقديرات إذ أن السعر

الذى كانت قد حددته الموازنة التى وضعت في عهد خاتمى للنفط كان ١٨ دولار للبرميل، وارتفع السعر إلى ٦٨,٥ دولار في المتوسط وزاد على ذلك في السنوات التالية فأين ذهبت المليارات الـ ١٤٣.

ومع هذا لم تكن المشكلة بين أحمدى نجاد ومظاهرى رصيد صندوق الاحتياطى النقدى، وإنما رغبة رئيس الجمهورية باقتطاع مبلغ ١٥ مليار دولار من رصيد الصندوق لتسديد الديون الحكومية، ولم يوافق مظاهرى خاصة وأن هذه الديون قيمة عمليات استهلاكية وليست مشاريع إنتاجية، فضلا عن تراكم ديون الوزارات والمؤسسات الحكومية لصالح البنوك العامة والتى لا تسهم فيها الدولة إلا بقدر ٨٪، بينما بقية أرصدتها من مدخرات الأفراد، ومن ثم أصدر أحمدى نجاد قرارا بتسديد هذه الديون من صندوق الاحتياطيات النقدية أيضا، وبعد معارضة من مظاهرى وافق في النهاية على اقتطاع الـ ١٥ مليار دولار من رصيد الصندوق، وأعلنت لجنة الخطة والموازنة موافقة مظاهرى وجميع مدراء البنوك الحكومية على تسوية ديون الحكومة للبنوك الحكومية من صندوق الاحتياطى النقدى.

الغريب في الأمر أن حكومة أحمدى نجاد تسوف دائما في تعديل سعر النفط المقدر في الموازنة العامة ليبقى منخفضا وبالتالى يمتلئ صندوق الاحتياطى النقدى لعائدات بيع النفط ثم تفرغه هى على هواها.

المشكلة الثانية التى عانت منها إيران على مدار العامين الماضيين ووصلت ذروتها في الأشهر الست الأخيرة هى مشكلة التضخم إذا ارتفعت واردات السلع الاستهلاكية في إيران إلى حد كبير وحدث تدافع نحو شراء سلع لم يكن الإيرانيون يشترونها من قبل في الطعام والملابس والأجهزة المنزلية ساعدهم على ذلك رفع الحكومة للرواتب بشكل مفاجئ، ومن ثم ارتفعت قيمة السلع فقدم مظاهرى مشروعا لرفع سعر الفائدة البنكية في حين كان توجه أحمدى نجاد هو خفض سعر الفائدة، كما ابتكر مظاهرى الشيكات النقدية التى تقدمها الحكومة بدلا من الرواتب للسيطرة على سرعة إنفاق المواطنين ودفعهم للإدخار، لكن معارض مظاهرى كان لهم رأى آخر ومنهم هادى غنيمى فرد رئيس غرفة الصناعة والمعادن الذى رأى في سياسات تقليص معدل السيولة سياسة خادعة للعوام وأن من الأفضل أن يرحل مظاهرى لأن البنوك هى جيب الشعب وحينما تخلو جيوب الشعب من النقد ينبغى على البنوك أن تضخ أموالا بشكل سريع على حد قوله، أما الشيكات النقدية فهى تحول إلى أموال في البنوك دون الحاجة إلى تظهير، وأعرب غنيمى فرد عن سعادته البالغة برحيل مظاهرى وقال عنه أنه رجل مشاكس كثير المشاكل وأن دور البنك المركزى في مشكلة التضخم يزيد عن ٤٠٪ من حجم المشكلة.

وقال إن غلق الخزانة العامة أمام الأنشطة الانتاجية والصناعية على وجه الخصوص سيجبر أصحاب المصانع على دفع فوائد تتراوح بين ٤٠٪ إلى ٦٠٪ في السوق السوداء للقروض ومن ثم ترتفع تكلفة الانتاج ومن ورائها معدلات التضخم، وهذا كله نتيجة لسياسات التقشف التى اتبعها مظاهرى.

لم يستطع مظاهرى توفير الاعتمادات للأنشطة الإنتاجية بعد ما أرهقته الحكومة بدفع فواتيرها الاستهلاكية خارج حساب الموازنة، وأراد بدلا من تقديم تسهيلات واعتمادات نقدية للأنشطة الصناعية، رفع الرسوم الجمركية على الواردات لكن هذا لم يلق قبولا من الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد، وكانت ثالثة الأسافى كما يقال لعلاقة مظاهرى بأحمدى نجاد الخطاب الذى أرسله إليه يطلب فيه تقليص دور مؤسسات اقتصادية ثورية مثل مؤسسة القرض الحسن، ومعروف أن نظام الجمهورية الإسلامية كما أنشئ الحرس الثورى كقوة عسكرية موازية للجيش الرسمى أنشئ مؤسسات اقتصادية موازية تساوى أو تفوق قدراتها قدرات المؤسسات الحكومية منها مؤسسة القرض الحسن وهى مؤسسة تمنح قروضا طويلة الأجل بفائدة شبه معدومة لحالات اجتماعية توسعت في عملها في السنوات الأخيرة وشملت إقراض مشروعات استهلاكية وإنتاجية على السواء بمبالغ ضخمة، وكان اتهام مظاهرى لها بأن عمليات غسيل للأموال تمارس من خلالها، فضلا عن قيام مؤسسة لجنة إمداد الإمام الخمينى بممارسة الدور نفسه، وقيام بعض المؤسسات الاقتصادية التابعة للحرس الثورى بإصدار كروت إئتمان خاصة بدون رصيد أو ضمان الأمر الذى أضر بالسياسة النقدية لإيران وأحدث خللا بها.

فأقدم أحمدى نجاد على إقالة مظاهرى لأن ما حاول مظاهرى المساس به يتعلق بمصالح مؤيدى الرئيس وجوهر النظام الإيرانى ومؤسساته الداعمة للسيادة الاقتصادية للولى الفقيه وليس سياسات الحكومة التى تتعامل مع الشعب.

استمرار المطالبات باستقالة مشائي

اعتماد ملى (الثقة الوطنية) ١٨/٨/٢٠٠٨

استمرت وتيرة الاعتراضات على حديث اسفنديار رحيم مشائي رئيس منظمة التراث الثقافى، ورغم تراجع مشائي عن تصريحه الخاص بالصداقة مع الشعب الإسرائيلى، إلا أن موجة من الاعتراضات وصلت لحد المطالبة باستقالته، وفى هذا الصدد طالبت جبهة أتباع خط الإمام والزعامة رئيس الجمهورية بإقصاء مشائي فى حالة الإصرار على ما بدر منه.

من ناحية أخرى استنكر أحمد خاتمى إمام الجمعة بطهران، استخدام مشائي لمصطلح الأمة الإسرائيلية فى حديثه، مؤكدا على ضرورة تقديم اعتذار صريح وسريع للشعب الإيرانى، فى حين تطرق الأمين العام للجمعية الإسلامية للمهندسين محمد رضا باهنر، لتصريح مشائى، قائلا: «ليس أمام مشائي من سبيل سوى الاستقالة، وتقديم الاعتذار للشعب الإيرانى عن تصريحاته، لأن المكانة التى منحه إياها النظام لا تبيح له الخوض فى المحرمات وعلى رئيس الجمهورية أن يتعامل معه بحزم فى حالة عدم عزله، لقد تصورنا فى البداية أن مشائي استخدم مصطلحات بشكل خاطئ فى غير موضعها السليم، لكن للأسف تبين أنه تعمد إصدار تلك المصطلحات المنافية تماما لمواقف النظام واستراتيجياته».

كما تحدث باهنر عن موضوع آخر خاص بمسألة ترشيح محمد خاتمى فى الانتخابات الرئاسية القادمة، وما يتم طرحه من قبل البعض بشأن إمكانية رفض صلاحية ترشيحه، قائلا: «لم تحسم حتى الآن مسألة ترشيح خاتمى فى الانتخابات الرئاسية القادمة، لكننا لا نقبل بما يطرحه البعض من إمكانية رفض صلاحية ترشيحه، لأنه شخصية لديها مكانتها فى النظام، وهى مكانة أسمى من أن يزايد عليها البعض، بالطبع لديه عدد كبير من الأنصار والمعارضين أيضا، مثلما هو الحال بالنسبة لأحمدى نجاد، لكن الحديث بشأن رفض صلاحية ترشيحه، مسألة سخيفة وعارية من الصحة.

من ناحية أخرى أجرى حميد رسايي عضو اللجنة الثقافية المنتخبة، حوارا مع وكالة أنباء (ايرنا) حيث تقرر إيصال آراء أعضاء تلك الجنة لرئيس الجمهورية فيما يخص تصريحات مشائى، وقال: «حتى الآن لم نجتمع برئيس الجمهورية، لكننا بصدد عقد هذا الاجتماع فى القريب العاجل»، وحول تصريحات مشائي قال رسايي: «بدون شك أراد (مشائي) التعبير عن سكان المناطق المحتلة، من خلال مصطلح الشعب الإسرائيلى، وبالرغم من أنه أكد على عدم مشروعية النظام الصهيونى، لكنه أخطأ عندما تحدث عن الصداقة مع شعب إسرائيل، وهو فى مكانة لا تؤهله لترشيد وتوجيه السياسة الخارجية للدولة، فقط مرشد الزعامة وحده المخول له سلطة تقويم سياسات واستراتيجيات النظام فى الساحة الخارجية».

وأضاف: «بما أن اليهود القاطنين فى الأراضى المحتلة يؤيدون النظام الصهيونى من خلال تواجدهم، إذن ينطبق عليهم حكم الجنود الإسرائيليين ممن يجب إخراجهم من المناطق المحتلة، ومن ثم فإن إعلان الصداقة معهم قضية سخيفة وليس لها معنى».

الحكومة التاسعة على محك المنظومة الفكرية للإمام الخمينى

■ مردم سالارى (الديمقراطية) ٢٦/٨/٢٠٠٨

يمثل الرابع والعشرون من شهر أغسطس بداية أسبوع الحكومة، وحرى بنا فى تلك المناسبة أن نشيد بجهود ومساعى مسئولى الحكومة التاسعة .

جدير بالذكر أن جميع الانتقادات الموجهة للحكومة التاسعة من جانب الصحف، قد أشارت فى مجملها إلى مسألة هامة للغاية تتلخص فى أن تلك الحكومة كانت كسابقاتها من الحكومات، التزمت بالعمل وفقا لنهج فكرى وسياسى محدد .

ومن الملاحظ أن جميع حكومات ما بعد الثورة، سواء خلال السنوات التى كان فيها مؤسس الثورة الإسلامية حيا، وسواء بعد وفاته، جميعها كان يؤكد على إقتدائه بفكر ونهج الإمام الراحل (الخميني).

الاهتمام بفكر الإمام، هو الضمانة لاستمرار الثورة، لكن بينما تمضى مسيرة الاستزادة من نبع هذا الفكر الأصيل إسلاميا وإيرانيا، ربما يظهر اعوجاج وفهم ناقص، خاصة فى الساحة السياسية والاجتماعية.

من أسباب ظهور الاعوجاج فى إدراك فكر الإمام، وعدم الالتزام بوصاياه، الاهتمام بأحد المحاور الفكرية للإمام والغفلة عن باقى المحاور الهامة المطروحة من جانب مؤسس الثورة الإسلامية.

ينبغى علينا أن ننهل من فكر الإمام، بوصفه منظومة متكاملة ومرتبطة العناصر، منظومة ذات وحدة خالية من أى تناقض، ومن يدعون أنهم تابعين لهذه المنظومة، لا يمكنهم ولا ينبغى عليهم الحياد عن هذا الأصل.

يشير تاريخ الفكر على مر العصور، إلى العديد من الاستغلاليين والجهلة، ممن دمروا منظومات فكرية عظيمة، بسبب تجزئتهم للأفكار.

لقد انصهرت تعاليم الإمام الخمينى الفكرية، من خلال كم الفساد الذى شهدته إيران الملكية على مدى آلاف السنين، وشكلت كيانا سياسيا إسلاميا وإيرانيا .

لقد أورثنا النظام الملكى، الاستبداد والاحتكار والقمع والفوارق الطبقية، وجميعها عناصر أثرت فى الإمام الذى وضع زعامة الحركة الشعبية الإيرانية فى المقدمة، وأغلق ملف الحكومة الملكية فى إيران للأبد .

لقد رأى الإمام الخمينى أن تزايد الفوارق الطبقية، كان نتيجة الأضرار الاقتصادية فى العصر البهلوى، لذلك ركزت وصايا ومواقف الإمام فى المجال الاقتصادى، على تنفيذ العدالة ومنح الأولوية للمحرومين والضعفاء بالمجتمع، وأعتبر أن خدمة المحرومين، أسمى العبادات، وكانت حياته خير مثال على الزهد والقناعة والبساطة.

يقول الإمام الخمينى: « الظالم والمظلوم طرفين، أحدهم يمثله مئات الملايين من المسلمين الجائعين والمحرومين من العلاج والثقافة، والطرف الآخر عبارة عن أقليات غنية، لديها سلطة سياسية ونفوذ قوى، وبينما يحاول الشعب الجائع والمحروم، أن يتخطى ظلم الحكام الجائرين، ليعيش حياة أفضل، وبينما تستمر هذه المحاولات، إلا أن الأقليات المهيمنة ومؤسسات الحكم، تحول دون ذلك، مهمتنا هى إنقاذ الشعب المظلوم والمحروم، نحن ننصر المظلوم ونعادى الظالم.»

تلك الكلمات كافية لندرك مكانة العدالة فى فكر مؤسس الثورة، والتزام الحكومة التاسعة بهذا الشعار، يمثل إيجابية منبئة، ولا بد لنا من وقفة فى أسبوع الحكومة حتى نتعرف على أنفسنا ونقيم مدى تمسكنا بهذه القيم.

إيران .. لماذا؟

أبعاد الدور الإيرانى فى أفغانستان

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

عند تحديد أبعاد الدور الإيرانى فى أفغانستان ينبغى أن نضع عددا من التساؤلات، أهمها: ما مدى أهمية أفغانستان بالنسبة لإيران؟، سواء من الناحية الاستراتيجية أو السياسية أو الأمنية أو الاقتصادية أو الثقافية؟، ماهو حجم الوجود الإيرانى فى أفغانستان وتأثيره؟، ماهو حجم العلاقات بين البلدين؟، ماهى المشاكل التى تعترض هذه العلاقات؟ ما هو هدف الدور الإيراني؟، ما مدى تأثير وجود قوات التحالف على الدور الإيراني؟، ماهو تأثير الدور الإيرانى على مصالحنا فى أفغانستان؟ هذه المجموعة من الأسئلة ينبغى أن توضع فى اعتبارنا عند تقييم الدور الإيراني.

وينبغى أن نؤكد فى البداية أن أفغانستان كانت جزءا من إيران حتى العصر الحديث وحتى التقسيمات الاستعمارية، كما أن العروق الأفغانية امتداد للعروق الإيرانية من بشتون وبلوش وتاجيك وهزارة وغيرها، فضلا عن الشيعة الذين يمثلون معظم سكان غرب أفغانستان، بمعنى أن علاقة إيران بأفغانستان تتجاوز المصالح إلى المشاعر الوجدانية، والنظرة للتقسيمات الاستعمارية أساس نظرة إيران لوجود الاحتلال الروسى ثم قوات التحالف فى أفغانستان. ومن هنا يمكن أن نفهم العلاقات المعقدة بين إيران وأفغانستان.

أهم ملامح الدور الإيرانى هو موقف الوصاية الإيرانى على أفغانستان، وهذه الوصاية من منطلق أن أفغانستان هى البلد الأولى بالرعاية من خلال الإحساس بفقد وضرورة استعادة هذا الجزء لحضن الأم. هل تعرفون ماذا يقول لنا الإيرانيون عن الأفغان؟ إنهم يتصورون أن كل أم إيرانية ولدت طفلا غبيا خافت منه فأرسلته شرق البلاد أى أفغانستان. بمعنى أن أفغانستان هى المنطقة الإيرانية النائية المحتاجة إلى الرعاية. (مع العلم أن الأفغان يقولون إن الله قد جمع أغبياء الآريين ووضعهم فى إيران، حضارة أفغانستان أساس حضارة إيران، ولغة أفغانستان الدرية نسبة إلى (دربار) هى لغة ملوك إيران، والدم الأفغانى أنقى من الدم الإيراني، والأفغان أكثر إخلاصا للإسلام وأكثر فاعلية فى بناء الحضارة الإسلامية والدفاع عنها).

نقول من خلال موقف الوصاية تتحرك إيران وهو يفسر تعاملها مع قيادات المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الروسي، ومع طالبان خلال فترة سيطرتهم على أفغانستان، وتعاملها مع قوات التحالف عند غزو أفغانستان لإسقاط طالبان، ثم تعاملها مع الحكومة الأفغانية الحالية بقيادة كرزاي. تدعى إيران أنها لا تتدخل فى شئون أفغانستان، ولكن الخط الأحمر الحقيقى لتدخلها هو مناطق تواجد قوات التحالف، لذلك فنشاطها فى مناطق إقامة البشتون يتخذ طابعا مخابراتيا، فهى تحتفظ بعلاقات مع منظمة القاعدة ومنظمة طالبان، وهى تمثل سوقا للسلاح لهاتين المنظمتين، وتشير الوثائق إلى ضبط شحنات من الأسلحة الإيرانية لدى المنظمتين، ومع نفى الحكومة الإيرانية بيعها للسلاح لأى من المنظمتين، إلا أن هناك مؤسسات غير حكومية تقوم بهذه المهمة، مع الوضع فى الاعتبار أن الحكومة تسيطر تماما على عملية تصنيع السلاح والإتجار فيه، وليس هناك أى اختراق لهذا الوضع. وإن استخدام طالبان لأسلحة إيرانية مثل الكلاشينكوف والصواريخ المحمولة والألغام من طراز اژدها (الثعبان)، وتفضيلها على الأسلحة من مصادر أخرى يدل على رواجها فى أفغانستان، وعلى رخص سعرها بالنسبة لجودتها، وملاءمتها للبيئة الأفغانية.

قبول إيران ملايين اللاجئين الأفغان فى أراضيها خاصة فى شرق إيران، وعلى الحدود مع أفغانستان التى تمتد ٩٣٦ كم، ثم تقسيمها المحافظة الشرقية خراسان إلى ثلاث محافظات خراسان الشمالية وخراسان الجنوبية وخراسان الوسطى، وسيطرتها الكاملة على هذه المحافظات والحدود رغم ما فيها من مشكلات، كتهريب الأسلحة والمخدرات وإيواء العصابات يدل على ثبات الاستراتيجية الإيرانية تجاه أفغانستان.

خطة المساعدة التى تقدمها إيران لأفغانستان بموافقة الأمم المتحدة وقوات التحالف تمثل أكبر وأكثر الخطط تنظيما، وتتركز فى منطقة غرب أفغانستان، وبشكل يجعلها امتدادا طبيعيا لإيران، سواء ما يتعلق باللغة والمذهب والبنية الاقتصادية والمجتمعية والثقافية، فضلا عن الفكر السياسي، والتشكيل الأمنى والعسكري. إيران تقوم ببناء البنية التحية من خلال مشروعات المياه والكهرباء وخدمات المناطق الصناعية فى هرات وماحولها، ومد الطرق، ومنها طريق الغرب وطوله ١٢٢ كم، وحتى مشروع مد خط السكك الحديدية الذى يربط إيران بأفغانستان رغم ارتفاع التكلفة، لم يعترض إيرانى على المساعدات الكبيرة التى تقدمها إيران لأفغانستان ٢٥٠ مليون دولار لا ترد، و٢٥٠ مليون دولار أخرى فى شكل تسهيلات على مدى خمس سنوات، بل إن المساعدات غير الحكومية من المؤسسات الأهلية والأفراد بلغت ٤٥ مليار تومان إيراني، عدا المساعدات العينية، فضلا عن سعى إيران لمد خط أنابيب توصيل الغاز إلى تركمنستان عن طريق أفغانستان لتسويقه عالميا، وهو مشروع مفيد لأفغانستان رغم مشروع خط الهند إيران.

كل هذا الإنفاق المباح يدخل ضمن خطة استراتيجية بعيدة المدى لاستعادة أفغانستان أو أجزاء منها. ويؤيد ذلك التعاون الكبير بين التجار الإيرانيين والأفغان، والأسواق الحرة على الحدود، وحرية تنقل التجار بين البلدين، والتسهيلات النقدية والمصرفية.

إيران تتعامل مع كل التنظيمات الموجودة فى أفغانستان الرسمية والشعبية والمحظورة أيضا، تتعامل مع طالبان رغم موقفها السياسى من هذه المنظمة وتجعلها سوقا ومحلا للتجارب على أسلحتها الصغيرة، وتتعامل مع القاعدة رغم نفيها لأى صلة بينهما، لكن أسلوب التعامل يختلف من منظمة لأخرى باختلاف الهدف من هذا التعامل، فهذا التعامل ليس مفتوحا، وإنما فى شكل صفقات بين الحين والآخر، حتى لا توجد وثائق يمكن الحصول عليها حول علاقة دائمة بين إيران وهذه المنظمات، وهناك مثال على تنظيم يطلق عليه الإيرانيون تنظيم الوهابيين، وهو تنظيم مذهبى سنى متطرف، يجد دعما من بعض دول المنطقة، فإيران تحاربه مذهبيا وتحارب تشكيلاته التى لها أتباع داخل إيران، ولكنها فى نفس الوقت تعقد صفقات مع بعض تشكيلاته التى يمكن تسميتها بالأفغان العرب، تتعلق بالرهائن وعمليات الاختطاف والإيواء والمقاومة العراقية. إن تعامل إيران مع التنظيمات الأفغانية يحقق لها أوراقا يمكنها استخدامها عند الحاجة داخل أفغانستان وخارجها، ويحقق لوجودها فى أفغانستان نوعا من التوازن الأمنى والاقتصادي، ويضمن لها عدم وجود جار قوى يصعب اختراقه أو يؤثر سلبا على الأمن القومى الإيراني، فضلا عن إشعار كل الأفغان أن إيران مازالت الدولة الأم لهم باختلاف توجهاتهم ومذاهبهم، وتستفيد فى ذلك من التناقض فى المشاعر الموجود بين بشتون أفغانستان وبشتون باكستان رغم أنهم الأقرب عرقيا.

المهاجرون الأفغان مشكلة لا تريد إيران حلها، هى تشكو منها للأمم المتحدة للحصول على المعونات، ولكنها بالنسبة لإيران ورقة رابحة، ففضلا عن أن هؤلاء المهاجرين يمثلون جسرا للتواصل بين البلد الفرع والبلد الأم، فإيران تستفيد من هذه الورقة سواء للضغط على الحكومة الأفغانية، أو دول التحالف الغربي، أو للاستفادة الاقتصادية المتمثلة فى الحصول على عمالة رخيصة لمهن حقيرة، وسوق لسلع فائضة عن الاحتياجات الإيرانية، وحقل تجارب لمنتجاتها الجديدة، أو للاستفادة الأمنية باتخاذ عيون ومصادر للمعلومات، أو بتجنيد الأفراد تجنيدا مخابراتيا، أو بتجربة السياسات والأساليب الأمنية وتدريب قوات الأمن، فى مواجهة الفتن الطائفية والعرقية، والحصول مجانا على كميات كبيرة من المخدرات بأنواعها للاستفادة منها فى الطب والتجارب، ومن خلال الاستفادة الأمثل تكون إيران إحدى الدول المتميزة فى مكافحة تهريب وزراعة المخدرات مع وجود المشاكل المتعلقة بهذه التجارة. إضافة إلى أن إيران تستفيد من مجتمع المهاجرين فى دراساتها الاجتماعية والنفسية والسكانية والتعليمية والاقتصادية واللغوية والأدبية، وتقوم بعملية إحلال منظمة بين هؤلاء المهاجرين، فتعيد البعض منهم إلى أفغانستان وتستقدم البعض الآخر وفق خطة مدروسة.

ماهو الموقف الأمريكى أو موقف قوات التحالف عامة؟

من الواضح أنه موقف متساهل مع وضع خطوط حمراء، هذا التساهل هو نوع من المكافأة لإيران على مساعداتها لقوات التحالف فى إسقاط طالبان من ناحية، وتحمل إيران عبء إعمار الجزء الغربى من أفغانستان وتأمينه من ناحية أخرى، وجعل أفغانستان حقلا للتجارب فى العلاقات الإيرانية الغربية من ناحية ثالثة. وإيجاد جسر ومصدر للمعلومات حول أساليب إيران وسياساتها من ناحية رابعة.

ما أهمية أفغانستان بالنسبة إلى مصر والعالم العربي؟

من أسف أن الأهمية الثقافية والدينية تسبقان الأهمية

السياسية والاقتصادية والاستراتيجية للعالم العربى تجاه أفغانستان، فى حين أن أفغانستان كانت فى الماضى مصدرا دائما لخير الشعوب العربية اقتصاديا وسياسيا وعسكريا، الدول العربية جميعها لها الآن علاقات طيبة بأفغانستان حكومة وشعبا، ولكنها لا تستثمر هذه العلاقات لصالحها بصورة إيجابية لخير الطرفين، ربما تسعى بعض الدول العربية إلى أن يكون لها وجود فى أفغانستان من خلال المساعدات التى تقدمها للحكومة الأفغانية، أو الجمعيات الأهلية أو الأفراد والمنظمات، بما يمثل نوعا من التأثير على السياسة الأفغانية التى تبدو مرتبطة تماما بالسياسة الغربية وخاصة السياسة الأمريكية، ولكنها لاتقف على قدم المساواة مع الوجود الإيرانى فى أفغانستان، فالوجود الإيرانى له جذور طردت الجذور العربية، التى كانت لها تجربة مماثلة لتجربة الأفغان العرب المعاصرة، ولكنها كانت تجربة رائدة فى مجال التعليم والاقتصاد والإدارة والمقاومة، ولها استراتيجية واعية قائمة على أساس الوحدة الإسلامية، والمصلحة العامة للشعوب الإسلامية، ولشعوب المنطقة عامة.

لإيران تحركات مدروسة فى مقابل عشوائية التحركات العربية، وأحاديتها وضيق أفقها من جانب العرب، ربما يكون للوجود الإيرانى قبول فى جزء من أفغانستان، ولكن الوجود العربى له قبول كبير فى كل أفغانستان، وهناك تجربة الأفغان العرب الإسلامية التاريخية، والتجربة المعاصرة التى لم تستغلها الحكومات العربية، فباتت مشكلة تؤرق هذه الحكومات، فى حين أنها تدل على القبول الأفغانى للعرب من ناحية، وأساس للتعاون الإيجابى المثمر من ناحية أخرى، إن الدماء العربية التى سالت فى أفغانستان واختلطت بالدم الأفغانى فى ساحة الجهاد ضد المحتل وضد الكفر ولتثبيت الإسلام فى أفغانستان كانت جديرة بأن توضع موضع التقدير والتقييم والدراسة لفتح مجال خصب لاستعادة أفغانستان الإسلامية، كعضو نافع وفعال فى المجتمع الإسلامي، وسندا سياسيا واقتصاديا وأمنيا للدول العربية، إن فشل الدول العربية فى الاستفادة من تجربة الأفغان العرب واستثمارها لصالحها، أدى إلى خسائر جسيمة دفعت الدول العربية تكلفتها الباهظة، وأفقدتها مصدرا عظيما للفرص، وإن اكتفاء بعض الدول بمساعدة الأفغان حكومة وشعبا مساعدة إنسانية إهدار لهذه الفرص، كما أن عدم استثمار الدول العربية لعملية غزو قوات التحالف لأفغانستان يمثل إضاعة للجهود التى بذلتها فى المساعدة على إسقاط نظام طالبان.

ماهو المطلوب؟

المطلوب دراسة تجربة التعاون الإيرانى الأفغانى والاستفادة منها، ولا مانع من التعاون مع إيران فى مناطق غرب أفغانستان، والسعى لتحقيق وجود عربى فى مناطق لا تصل إليها إيران، إن وجود حكومة مرنة فى أفغانستان يسمح بتنظيم الجهود العربية تحت مظلة الجامعة العربية، لتحقيق أقصى استفادة من الأوضاع الحالية من خلال استراتيجية عاقلة، تسعى لوجود حقيقى إيجابى للعرب فى أفغانستان، وهو ما يمكن أن يحبط أهداف تنظيم القاعدة وتنظيم طالبان، ولا يسمح بتكرار سلبيات الأفغان العرب.

ماهو تأثير الوجود الإيرانى فى أفغانستان على الوضع الإقليمي؟

لاشك أن الوجود الإيرانى فى أفغانستان يمثل ورقة رابحة فى يد إيران، خلال عملية تنظيم الشرق الأوسط الجديد، يمكن أن تساعد فى أن تحقق لها دورا إقليميا متميزا، يفوق الدور الذى يمكن أن تلعبه أية دولة عربية أو حتى تركيا، ومن ثم يعطيها فرصة للمساومة فى أغلب القضايا المعلقة بينها وبين الغرب، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وبينها وبين دول المنطقة العربية، وبينها وبين إسرائيل بما فى ذلك الملف النووى الإيراني، كما يساعدها فى دعم موقفها الأمني، ويوسع من قدراتها الاستراتيجية (ملحوظة: إيران سلمت عددا كبيرا من منسوبى القاعدة إلى دولهم).

ليس من المصلحة منافسة إيران فى أفغانستان أو مواجهتها، لأن معطياتها أقوى، ولكن من الضرورى مشاركتها فى الوجود هناك، لمصلحة التوازن الاستراتيجى فى المنطقة.

العلاقات الإيرانية - التركية: فرص وتحديات

■ هادى محمدى فر ■ رسالت (الرسالة) ٢٠٠٨/٨/٢٨

تمتد جذور العلاقات الإيرانية - التركية فى أعماق التاريخ، سواء كانت هذه العلاقات، علاقات صراع أم تعاون، فهناك الصراعات والحروب العثمانية الصفوية، وكذا تبادل الاتهامات بينهما بحماية ومساندة كليهما لقوى المعارضة فى البلدين، وهناك أيضاً التعاون بينهما حول مشروعات مد خطوط الغاز والتى قد أدت فى النهاية إلى توسيع سبل التعاون الاقتصادى بين الدولتين.

ولعل الاهتمام الخاص الذى حظيت به الزيارة التاريخية التى قام بها الرئيس محمود أحمدى نجاد إلى تركيا مؤخراً من جانب كافة وسائل الإعلام العالمية إنما يرجع إلى تلك الجذور من العلاقات المعقدة بين البلدين. والواقع أن هذه الزيارة تأتى وسط جملة من التعقيدات التى تعيشها تركيا هذه الأيام، إذ أصدرت المحكمة الدستورية العليا التركية قرارها ببقاء حزب العدالة والتنمية فى السلطة وقد ساعد هذا بدوره على تهدئة الأجواء التركية الداخلية نسبياً، لكن من ناحية أخرى، كانت هناك ضغوط خارجية لاسيما بعد الاتهام الروسى لتركيا بحماية وتأييد جورجيا فى الصراع على أوسيتيا الجنوبية، وبعد تصريحات على باباجان وزير الخارجية التركى التى أكد فيها تصميم وتأييد الغرب ومجموعة ٥+١ (دول مجلس الأمن الخمس دائمة العضوية وألمانيا)، للوساطة التركية فى القضية النووية الإيرانية، حيث شعر الأتراك بزيادة وأهمية مكانتهم فى المنطقة.

وتجدر الإشارة فى هذا السياق إلى أنه وسط تلك الأجواء الداخلية والخارجية التركية، وقعت حادثة كان لها عظيم الأثر على تقارب ملف العلاقات الثنائية الإيرانية - التركية ألا وهى انفجار خط أنابيب غاز آذربيجان من ناحية الأراضى التركية، وهذا بدوره يجعل الصناعات التركية فى حاجة ماسة للغاز الإيرانى وتعاون إيران وبخاصة فى مجال الطاقة للتغلب على تلك المعضلات، ورغم أن زيارة أحمدى نجاد لتركيا كانت محاطة بالتأجيل أو الإلغاء منذ البداية بسبب بروتوكول زيارة مقبرة " مصطفى كمال أتاتورك" فى أنقرة، غير أن استقبال رجب أردوغان الحافل له فى اسطنبول قد أنهى مثل تلك الاحتمالات.

والتساؤل الذى يطرح نفسه وبشدة فى هذا السياق، لماذا الزيارة الإيرانية فى هذه المرحلة تحديداً وما هدف الرئيس الإيرانى من الزيارة؟!

الحقيقة أن ثمة أسبابا مختلفة للزيارة وأهمها أسباب سياسية واقتصادية، فحجم التجارة الخارجية التركية وميزانها التجارى مع إيران يشير إلى أن تركيا بصدد تعاون إقليمى، إضافة إلى الدور الدبلوماسى الخاص التى ترغب فى القيام به إقليميا لاسيما الوساطة بين تل أبيب ودمشق. وهناك مسألة أخرى وهى التعاون الأمنى الإقليمى، بين أضلاع المثلث إيران - تركيا - سوريا، إذ أن جهود حثيثة بذلت لإقرار التعاون السياسى والاقتصادى والأمنى بينهم.

ولعل زيارة الرئيس بشار الأسد الأخيرة لكل من إيران وتركيا تؤكد مثل تلك الاحتمالات، كما أن زيارة الرئيس أحمدى نجاد الأخيرة لتركيا والتى أثارت انتقادات الجناح العلمانى التركى ومخاوف اللوبى الصهيونى هناك تؤكد هى الأخرى على السير فى هذا الاتجاه. ومما لا شك فيه أن تلك الزيارة الإيرانية لعبت دوراً مؤثراً بين أضلاع تلك المثلث فضلاً عن تأثيراتها الإيجابية فى تسريع مجالات التعاون الاقتصادى، خصوصاً فى ظل المساعى الغربية وممارسات

اللوبى الصهيونى بهدف عقد المزيد من الاتفاقيات الأمنية مع الحكومة العراقية لزيادة النفوذ الإسرائيلي وبخاصة فى شمال العراق. ومما سبق يمكن القول أن جذور العلاقات الثنائية بين إيران وتركيا سواء الثقافية أو الاقتصادية والسياسية والتعاون لمكافحة الإرهاب واتخاذ سياسة واحدة مستقلة إقليمياً وكذا إيجاد سوق تجاري إقليمي وخصوصاً بالعراق يمهد الطريق لتكوين قطبية إقليمية جديدة. ولعل زيارة أحمدى نجاد الأخيرة التى أثمرت عقد خمس اتفاقيات تعاون مشترك مع توقع زيادة الميزان التجارى بين البلدين ليصل إلى ٢٠ مليار دولار يعد مقدمة لتحقيق تلك القطبية الجديدة فى المنطقة.

مشروع للحضور الدائم

■ صداي عدالت (صوت العدالة) ٧/ ٩/ ٢٠٠٨

بعد خمس سنوات من الاحتلال والاختبار والأخطاء، أصيبت الادارة الامريكية بالحيرة والدوار في امرها حيث يعد باراك اوباما المرشح الديمقراطي للرئاسة الامريكية الشعب الامريكي بسحب سريع للقوات الامريكية من الاراضي العراقية اذا فاز في هذه الانتخابات. ومن هذا المنطلق يحاول الجمهوريون بقيادة جورج بوش توريط الادارة القادمة بابرام اتفاقية امنية بعيدة المدى مع الحكومة العراقية.

لكن الرغبة الامريكية في ابـرام سريع لهذه الاتفاقية اصطدمت بجدار كبير من الرفض الشعبي والمقاومة العراقية على كل المستويات النخبوية والسياسية والدينية لا سيما المرجعية الدينية العليا المتمثلة بآية الله العظمى السيد علي السيستاني.

ان الادارة الامريكية ولإرضاء الجانب العراقي قامت ببعض الاصلاحات والتعديلات على مسودة الاتفاقية، حيث حذفت بند الحصانة القضائية والقانونية للامريكين من الاتفاقية وقلّلت عدد القواعد العسكرية الامريكية الثابتة من ٥٠ الى ١٠ او ٢٠ قاعدة عسكرية.

ورغم الكثير من الانتقادات والتحفظات التي تبديها النخبة السياسية العراقية ضد هذه الاتفاقية، لكن هناك شريحة من السياسيين والدبلوماسيين العراقيين يسعون الى تمرير وابرام هذه الاتفاقية ويقولون ان مصالح العراق العليا تقتضي التحالف الاستراتيجي مع الادارة الامريكية.

وفى النهاية فإن الخروج من غرفة الحرب والازمـة في التعاطي مع العراق والدخول في غرفة الفكر والتعقل سيكون لصالح الشعبين الامريكي والعراقي معاً.

إن مسودة الاتفاقية تشتمل على ٢٠ نبداً اربعة منها لصالح العراق و١٦ اخرى لصالح الادارة الامريكية، حيث تعج المسودة بحضور القواعد والقوات الامريكية في مختلف انحاء العراق واعطاء الشرعية لبقاء هذه القوات في الارضي العراقية والسيطرة على المصادر النفطية والغازية بذريعة حمايتها وتطويق الجمهورية الاسلامية بهدف اسقاط نظامها في السنوات القادمة.

ويجب التأكيد على على ان اللوبي الصهيوني في امريكا واسرائيل يؤكدان على ابرام هذه الاتفاقية باسرع وقت ممكن لكي يرتاح الصهانية من الجبهة العراقية وبشكل عام من الجبهة العربية التي اغلقت باب المقاومة واعتمدت خيار التسوية مع العدو الصهيوني.

ان هذه الاتفاقية لن تمرّ بهذه السهولة وان الشعب العراقي والمرجعيات الدينية والسياسية لن تقبل الشرعنة الاحتلال والاستعمار الامريكي للعراق من خلال هذه الاتفاقية الامنية.

ان العراقيين قـادرون على ادارة بلدهم واستلام كافة الملفات الامنية والسياسية بعيداً عن التدخلات الاجنبية وذلك خلافاً للصورة التي تصوّرها الادارة الامريكية بان الخروج الامريكي الكامل من الاراضي العراقية سيؤدي الى الفوضى والحرب الداخلية المدمرة.

سياسة إسرائيل تجاه شمال العراق

■ نوروز (اليوم الجديد) ٢٥/٨/٢٠٠٨

منذ قيامها ودائماً تشعر دولة إسرائيل إنها فى معرض التهديد والخطر، وتسعى من خلال استراتيجيات مختلفة إلى أن تضيق الحلقة والحصار حول العرب وهو الأمر الذى حول دولة إسرائيل من دولة موافقة إلى دولة مواجهة.

والسياسة الأخرى التى تتبعها إسرائيل بشكل مؤثر، هى محاولة الاستفادة من البنية متعددة القومية الموجودة فى المنطقة العربية، والسعى لتغيير هذه الدول إلى دويلات غير عربية عبر القوميات الموجودة بها.

وفى الإطار ذاته سعى المسئولون الإسرائيليون، بهدف تشكيل حكومات جديدة فى الشرق الأوسط إلى إقرار علاقات قوية مع مجتمع الأكراد داخل الحدود لتركية، الإيرانية، العراقية والسورية.

الجذور التاريخية للعلاقات:

تعود الجذور التاريخية للعلاقات الكردية - اليهودية، نظراً للتواجد اليهودى بشمال العراق، إلى ما يقرب من (٢٥٠٠) عام ومن الناحية الاجتماعية، فقد توسعت هذه العلاقات، وكانت نقطة بداية الاتصال الاستراتيجى بين حكومة إسرائيل والأكراد الساكنين شمال العراق مع زيادة (أيون شيلوخ) أول رئيس للموساد باعتباره مسئول أمنى إسرائيلى إلى بغداد، وبقى (شيلوخ) ثلاث سنوات فى المنطقة وقيل أنه أسس قاعدة التعاون اليهودى - الكردى خلال هذه الفترة.

ويعتقد (شيلوخ) أن حكومة إسرائيل فى حالة تشكيل حصار حول العرب، سيكون لا بديل أمامهم سوى الصراع من أجل كسر هذا الحصار، ولذا من الضرورى إقرار علاقات قوية مع الدول غير العربية خارج حلقة الحصار مثل تركيا وإيران وأثيوبيا.

بالإضافة لذلك فإن هناك عنصر هام آخر هو الأقليات غير العربية الموجودة فى المنطقة وعلى رأسها مجتمع الأكراد غير المتوافق تماماً مع الحكومة العراقية.

واستراتيجية الحصار التى يتحدث عنها (شيلوخ) كانت هى المحور الأصلى لسياسة إسرائيل منذ قيامها.

وتشير المعلومات أن المخابرات الإسرائيلية فى تلك الفترة قد تعاملت مع كاران على (يديرخان) مندوب حركة الأكراد فى أوروبا وقدم (بديوخان) عام ١٩٤٨ تقريراً لوزارة الخارجية الإسرائيلية أكد فيه أنه من الضرورى لإحباط سوريا ولبنان أمام إسرائيل، تشجيع الأقليات بها على الثورة.

وكان عام ١٩٦١ نقطة التحول فى العلاقات الإسرائيلية - الكردية نتيجة لتشدد السياسات القائمة على القومية العربية فى العراق. وثورة أكراد شمال العراق ضد النظام فى بغداد.

وكانت أمريكا وإيران وإسرائيل على رأس الدول التى طالبت بوجود حكومة ضعيفة فى العراق، ومع دخول الاتحاد السوفيتى للساحة ومطالبته بنفوذ فى المنطقة، استمرت هذه الثورات حتى عام ١٩٧٥ بشكل متذبذب. حتى أن ثورات الأكراد تحولت إلى آلية لتحقيق مصالح الدول العظمى فى المنطقة.

وفى عام ١٩٦٣ ومع وصول حزب البعث إلى السلطة فى العراق وسوريا ومع توحد الدولتين ضد إسرائيل، أصبحت قوة العراق خطر جدى لإسرائيل. وخلال هذه الفترة تمت اتصالات بين إسرائيل وقادة ثورة الأكراد، وتم أول لقاء مع الملة بارزانى فى صيف ١٩٦٣ ووسيط السافاك (جهاز المخابرات الإيرانى).

وتباحث الجنرال (ميرامت) رئيس الموساد مع رئيس السافاك حول كيفية مساعدة الأكراد، واتفق الأطراف على مد الأكراد بالسلاح من خلال إسرائيل وإيران.

وفى الإطار ذاته كانت إسرائيل قد قدمت مساعدات مالية نظير استمرار ثورة الأكراد للملة بارزانى.

وواصل (شيمون بيريز) نائب وزير الدفاع الإسرائيلى آنذاك اتصالاته مع الساسة الأكراد، والتقى (بيريز) مع (بديرخان) عام ١٩٦٤، وكان أهم نتائج هذه المباحثات، وافقت إسرائيل على تدريب مجموعة من الميلشيات الكردية تدريب عسكرى، وفى عام ١٩٦٥، أرسلت إسرائيل ثلاثة من ضباطها إلى شمال العراق. وكتب الجنرال (رافائيل إيثار) الجنرال الإسرائيلى السابق فى مذكراته أنه ذهب إلى شمال العراق عام ١٩٦٩، واقترب من الثوار الأكراد وتباحث معهم حول كيفية تحويل هذه الثورة المحدودة إلى حرب شاملة ضد نظام بغداد، وفى نفس العام حدث حريق هائل

فى مصفاة للنفط فى كركوك، وانتشرت الأخبار حول دور الأكراد فى هذا الحريق، ودور إسرائيل فى التخطيط له.

والواضح أن دعم إسرائيل لأكراد شمال العراق كان لسببين هامين أولاً: أن استمرار الثورة فى العراق يعنى عدم الاستقرار وإضعاف حكومة بغداد من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية.

ثانياً: أن الأكراد هم عين إسرائيل فى المنطقة، فقد سهل الأكراد مأمورية إسرائيل فى الحصول على معلومات من المنطقة.

وخلال هذه الفترة، هرب طيار عراقى بطائرة (ميج روسية) إلى إسرائيل، وقيل فى هذا الشأن أن إسرائيل قد حصلت على امتياز هام بحصولها على معلومات حول القدرة التكنولوجية العسكرية العراقية، كما أشيع أن هذا الحادث قد تم التخطيط له من قبل الأكراد. وكان توقيع اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ بين العراق وإيران، نقطة تحول فى العلاقات الكردية - الإسرائيلية. فبعد هذه الاتفاقية منحت إيران حق الاستفادة المتساوية من شط العرب، وغلق حدودها وغلق الحدود الإيرانية كان يعنى قطع كافة المساعدات المرسلة إلى حركة الأكراد فى العراق، وكانت بمثابة نهاية الاتصال المؤثر لإسرائيل مع أكراد شمال العراق.

وحتى حرب الخليج ١٩٩١ كانت العلاقات بين إسرائيل وأكراد العراق إن لم تكن قط قطعت فإنها كانت ضعيفة وحرب الخليج مع إضعاف القدرة العسكرية والسياسية لبغداد فقد هيأت الظروف من أجل الاستفادة من الساحة للأكراد والشيعة ويقال أن مباحثات أمريكا فى هذه الفترة لم تتقطع مع الجماعات المعارضة لإضعاف العراق داخليا.

وفى التقرير الذى قدمه (هيرام عباس) مستشار ميت (المخابرات التركية) فى ٢١ أغسطس إلى تورجوت أوزال الرئيس التركى آنذاك أكد فيه أن إسرائيل لديها شبكة تجسس قوية فى المنطقة، وهذه إشارة إلى استمرار نفوذ ونشاط إسرائيل فى شمال العراق.

كذلك مع سقوط العراق فى أيدى الاحتلال الأمريكى فى ٢٠ مارس ٢٠٠٣، بدأ عهد جديد من العلاقات الإسرائيلية الكردية فى شمال العراق.

تركيا والعلاقات ما بعد حرب العراق

التغييرات الموجودة فى السياسة الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر، والتى بدأت بحرب فى أفغانستان ثم العراق وسقوط صدام حسين، وحتى اليوم لم يستقر الحكم فى العراق، وطرح من جديد مشروع تشكيل دولة كردية فى شمال العراق، والواضح أن تشكيل دولة كردية فى الشمال يهدف إلى إضعاف الحكومة المركزية فى بغداد، وهذا الأمر له مميزات بالنسبة لإسرائيل قبل الحرب، مثل الإدعاء بتدريب البشمرجة الكردية عسكرياً، وتقديم مساعدات عسكرية لهم. وكان (أودينسون) أحد المسئولين البارزين فى الخارجية الإسرائيلية سابقاً قد كتب فى مقاله بعنوان (استراتيجية إسرائيل فى عقد ١٩٨٠) والتى نشرت عام ١٩٨٢ فى نشرته (كيوونيم) الناطق الرسمى لمنظمة الصهيونية العالمية.

أشار فيها إلى أن كافة دول المنطقة ضعيفة جداً.

لأن كل الحكومات المشكلة فى هذه الدول لا ترضى القوميات الدينية أو العرقية التى تعيش فى هذه الدول، ولذا فإن إسرائيل لكى تبقى لابد من تقسيم هذه الدول، ويشير (ينسون) إلى العراق بأنه يمكن تقسيمه إلى دويلات مع أساس دينى وعرقى، فى الشمال دولة كردية، وفى المركز دولة سنية وفى الجنوب دولة شيعية. وفى العراق وبعد سقوط صدام حسين برزت الهويات القومية والدينية والتقسيم الذى كانت تسعى وراءه إسرائيل تحقق وإن كان لم تتشكل حكوماته.

وكان (جان ميرشيمر) و(استيفان والت) فى مقاله بعنوان (اللوبى الإسرائيلى) أكدوا أن حرب العراق كانت لخدمة المصالح السياسية الإسرائيلية.

وفى يونيو ٢٠٠٤ كتب (سيمور هيرش) الصحفى الأمريكى البارز عن أنشطة إسرائيل فى شمال العراق وعلاقتهم مع الأكراد.

يقول هيرش في مقاله "منذ نهاية عام ٢٠٠٣، وشمال العراق يعج بمئات العسكريين والجواسيس الإسرائيليين، اللذين جاءوا ليدربوا الميليشيات الكردية لقمع المقاومة العراقية" ونقلاً عن أحد المسئولين في إسرائيل أكد هيرش أن إسرائيل دائماً ترد الأكراد عنصر مؤثر ضد صدام حسين، وأنهم عين وأذن إسرائيل في إيران والعراق وسوريا".

ودعم إسرائيل لحركة الأكراد في المنطقة، قد وتر العلاقات التركية الإسرائيلية خاصة من بعد عام ١٩٩٦، وحدود العلاقات المتقاربة والتى أقرت بعد حرب الخليج والتى اتضحت بمرور الوقت، أصبحت السياسة التركية والإسرائيلية بشأن مستقبل شمال العراق غير متفقة تماماً وتركيا بسبب إرهاب (P.P.K) حزب العمال الكردستانى، تتابع تطورات شمال العراق من قرب، فهى لا تريد بالقرب من حدودها دولة مستقلة أو منطقة فدرالية كردية، ولذا فإن تركيا دائماً تدافع عن عراق واحد ومستقل، إلا أنها اليوم مجبورة على هذا البناء الفيدرالى.

أما من قبل إسرائيل، فإن وحدة العراق وحفظ استقراره تحت سيادة حكومة مركزية قوية، يمثل خطر على إسرائيل.

إن إسرائيل تشعر بالوحدة في إطار الحوزة الاستراتيجية التركية- العربية- الفارسية، ولذا فهى تسعى للاستفادة من كارت الأكراد للمناورة في الساحة المحيطة.

وحكومة إسرائيل التى تمتنع من إيجاد قضايا جديدة لها في المنطقة لا تغرب في التدخل بشكل مباشر في سياسة أكراد تركيا، وخاصة بشأن اعتقال (عبد الله أوجلان) زعيم حزب العمال الكردستانى.

وفى عام ١٩٩١ ارتقا مستوى الحوار والعلاقات الدبلوماسية بين تركيا وإسرائيل إلى تبادل السفراء، وفى عام ١٩٩٤ كانت زيارة (تانسو تشيللر) رئيس الوزراء التركى إلى إسرائيل بداية لعهد جديد من العلاقات بين البلدين، وأقرت الدولتين في ٢١ فبراير ١٩٩٦ اتفاقية تعاون عسكرى وفى ٢٦/ أغسطس ١٩٩٦ ثانى اتفاقية في مجال الصناعات الدفاعية، بالإضافة لتوقيع اتفاقيات أخرى في الحملات الاقتصادية والعسكرية المختلفة.

والواضح أن علاقات الدولتين ضعفت في إطار حدثين هما:

حرب العراق، فكان رفض مجلس تركيا استخدام أراضية في مهاجمة العراق، رد فعل عكسى في علاقات تركيا وإسرائيل، كذلك عدم التنسيق بين الطرفين بشأن سياسات البلدين بشأن مستقبل العراق.

وصول حزب العدالة والتنمية لسدة الحكم في تركيا، فكانت الانتقادات الشديدة للحكومة التركية الجديدة لكل عمليات الاغتيال في الأراضى الفلسطينية ثم زيارة خالد مشعل لأنقرة عام ٢٠٠٦، بداية لانشقاق كبير في علاقات البلدين.

وعلى الرغم من الأحداث التى حدثت في علاقات الطرفين، لا يمكن أن نتخيل، أن ينكر المسئولون في إسرائيل دعم دولتهم للأكراد شمال العراق.

ومع هذا يمكن القول أن إسرائيل خلف السياسات الأمريكية ولا ينتظر أن يكون لإسرائيل سياستها المستقلة.

من ناحية أخرى فإن نفوذ الشيعة سيتزايد مع تشكيل حكومة مستقلة للأكراد، وهذا الأمر يمثل خطراً على إسرائيل ورغبة إسرائيل في الحفاظ على الأكراد كورقة رابحة في مقابل تزايد نفوذ سلطة الشيعة. لديها بعدين متقابلين.

من ناحية أن إسرائيل لا ترغب في تعقيد علاقاتها مع تركيا ومن جانب آخر استمرار علاقاتها مع الأكراد لدعم دورها ووجودها في المنطقة.

ملف كركوك: أعقد ملفات العراقين عام ٢٠٠٨

■ إيران ديبلماسى (الدبلوماسية الإيرانية) ٢٦/٨/٢٠٠٨

تحولت الموافقة على قانون الانتخابات المحلية فى العراق، وتقسيم كوكوك إلى أربع مناطق انتخابية إلى أزمة قومية فى العراق.

منذ شهر وافق ١٢٧ عضوا فى البرلمان العراق على قانون طبقاً له ستعقد انتخابات المحليات العراقية فى أكتوبر، ويستثنى من هذه الانتخابات إقليم كركوك، وطالب البرلمان بتشكيل لجنة لبحث أوضاع كركوك.

والأكراد حتى الآن هم المسيطرون على أغلب مقاعد كركوك، ويعتقدون أن قانون الانتخابات الجديدة والمادة ٢٤ منه والتى تعنى بتقسيم مقاعد كركوك بين الأكراد، العرب والتركمان بنسبة ٣٢٪ لكل منهم تمثل مؤامرة سياسية ضد الأكراد.

وتشير التطورات إلى أن تحديد مصير مدينة كركوك غرب كردستان العراق بسبب صراع الأكراد والعرب والتركمان على السيادة والسلطة فيها من القضايا المتوترة فى الماضى والتى تلقى بظلالها على حال ومستقبل كردستان والعراق.

الموقع الجغرافى لكركوك

تقع مدينة كركوك على بعد ٢٥٠ كم شمال بغداد وطبقاً لإحصاء عام ٢٠٠٣ كان عدد سكانها ٧٥٥,٧٠٠ نسمة وكركوك من المدن القديمة وهى استمرار لمدينة آرافا الآشورية التى يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف عام، يجرى بها مجرى مائى صغير (زاب) أحد أفرع نهر دجلة، ويمر فى ٤٥ كم من كركوك ويساعد فى عملية رى أراضى كركوك.

وهناك اختلاف بشأن التركيبة السكانية للمدينة، فترى المصادر الكردية، أن الأكراد يمثلون النسبة الأعلى فى كركوك، فى حين ترى المصادر العربية أن العرب هم الأكثر، وبعض المصادر التركمانية تشير لغير ذلك. ويتضح من ذلك النسيج القومى الذى تشكل منه المدينة بالإضافة إلى وجود قومية

آشورية فى المدينة. وبسبب وجود احتياطى نفط بالإقليم، تشتد الصراعات فى كركوك.

نفط كركوك

الاحتياطى النفطى الثابت للعراق حوالى ١٢٠ مليار، يشكل ١٠٪ من احتياطى النفط العالمى، واحتياطى الغاز الطبيعى ١١٠ تريليون متر مكعب ومحور الاستفادة من احتياطى نفط العراق محدد بمنطقتين: الأولى فى الرميلة فى الجنوب وتشمل ٦٦٣ بئرا منتجا، والثانية فى كركوك وتشمل ٣٣٧ بئر منتجا.

واكتشف نفط كركوك ١٩٢٧، وحتى الآن مازالت الاستفادة منه كبيرة، ولذا فهذا المصدر معرض للدمار نظراً لطول فترة استخدامه وكركوك هى أغنى مناطق العراق بالنفط وبها ٤٠٪ من احتياطى نفط العراق ويشتهر أهم آباره (بابا جرجر).

خط أنابيب كركوك - جيهان

وينقل هذا الخط النفط من منطقة كركوك إلى ميناء جيهان التركى فى البحر الأبيض المتوسط، وينقل يومياً ما بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ ألف برميل نفط، وهذا الخط معطل منذ احتلال أمريكا للعراق بسبب أعمال التخريب، والسعة الحالية لإنتاج النفط فى الميادين الشمالية ٧٠٠ ألف برميل فى اليوم، منها حوالى ٣٠٠ ألف برميل للاستهلاك الداخلى ويتم وضعه فى مصفاة بيجى شمال الدولة، ويصدر الباقى.

خط أنابيب كركوك - بانياس

أنشئ هذا الخط أواخر عقد ١٩٩٠، فى إطار اتفاقية بين الحكومة السورية ونظام صدام حسين، وأغلق الخط عقب الإطاحة بصدام حسين وفى أواخر عام ٢٠٠٦، أجريت مباحثات عراقية - سورية لاستئناف العمل مجددا بهذا الخط، وينقل يومياً ٢٠٠ ألف برميل، ويدخل هذا الخط سنوياً لسوريا مليار و٢٠٠ مليون دولار، ويرى خبراء الاقتصاد فى سوريا أن استئناف خط أنابيب كركوك - بانياس سيؤثر فى تدارك انخفاض إنتاج النفط السورى.

هيكل السلطة فى كركوك

أثناء الهجوم الأمريكى على العراق، سقطت كركوك فى أيدى القوات الكردية وبعد سقوط صدام عام ٢٠٠٣، عاد الكثير من الأكراد والتركمان إلى المدينة، بجانب عودة الكثير من العشائر العربية فى الجنوب وفى أول انتخابات إقليمية بعد سقوط نظام صدام حسين، حصل الأكراد على ٢٦ مقعد من إجمالى ٤٣ مقعد عن كركوك وبشكل مجمل فى كركوك تركمان وشيعة وعرب سنة، متقدين للأكراد التابعين لبارزانى وطالبانى، ولكن عناصر السلطة المحلية فى يد الأكراد، وخلال فترة سيادة الأكراد على كركوك مؤقتاً الذين تعرضوا فى عهد صدام حسين للاضطهاد أجبروا على الهجرة من هذه المدينة، وعادوا إليها ثانية بعد سقوط النظام.

نقل الأزمة من الغرب إلى الشرق

كيهان (الدنيا) ٢٠٠٨/٩/١٥

تشهد أزمات الشرق الاوسط في هذه الايام ركودا نسبياً بينما انتقلت العدوى الى باكستان والهند وافغانستان.

لقد أصبحت افغانستان وباكستان ومنذ ثلاثة اشهر مسرحاً لاحداث ساخنة كاقالة الرئيس الباكستاني السابق برويز مشرف وتنصب آصف علي زرداري زوج الفقيدة بي نظير بوتو كرئيس جديد لباكستان، وفي افغانستان تراجع القوة الغربية المحتلة والضربات القاسية التي وجهتها الطالبان ضد قوات حلف الاطلسي كل ذلك يدل على اخفاق جديد في السياسة الامريكية في هذه المنطقة من العالم.

وتجدر الإشارة الى الخلافات القومية والقبلية والمذهبية في هذه المنطقة، فرغم ان هذه الخلافات تلعب دورا اساسياً في رسم الخريطة السياسية، لكن العامل الخارجي وخاصة الامريكي الذي دخل بقوة في هذه المنطقة بعد احداث ١١ ايلول، ساهم في اثارة النعرات الطائفية والقومية.

ان الامريكيين والبريطانيين ورغم مزاعم الحرب ضد الطالبان والقاعدة لكنهم فتحوا خطوطاً سرية واستخباراتية بينهم وبين الطالبان والقاعدة واستغلوا اندفاع هذه المجموعات الارهابية لتعميق الفجوة بين مكونات العالم الاسلامي خاصة بين الشيعة والسنة وتأصيل الفكر الاسلامي المتطرف الذي يحمله الطالبان والقاعدة بانه هو العدو الحقيقي للاستعمار الغربي من اجل تشويه جبهات المقاومة الاصيلة المتمثلة بحماس والجهاد الاسلامي في فلسطين وحزب الله في لبنان وايـران وسوريا والغالبية العظمى من الشعوب والجماهير الاسلامية.

تأثير فراغ السلطة في باكستان على جيرانها (التغييرات في باكستان ليست في مصلحة إيران)

www.Bornanews.ir 21/8/2008

دائماً تكون الساحة الخارجية المحيطة بإيران عرضة للتغير والتحول نتيجة للوضع الجغرافى الخاص ودول الجوار ذات الطبيعة الخاصة.

والمناطق المجاورة غير المستقرة خصوصاً شرق إيران كانت سبباً للقلق والتوتر الاستراتيجى، وكان عدم تنامى الديمقراطية وعدم ثبات الحكومات مع وجود المصدر الأول لإنتاج المخدرات وتهريبها على الحدود الشرقية قد زاد من تهديد إيران وضررها.

وباكستان هى إحدى دول الجوار التى تحظى بعلاقة خاصة مع إيران بسبب تاريخ علاقات الدولتين، لأنه إضافة للجوار والحدود الطويلة بين البلدين والمشتركات الثقافية والدينية والأمنية، فإن حكومات كلا الدولتين دائماً تسعى لإقرار علاقات فعالة ومتعددة الجوانب مع الطرف الآخر، وتوسيع العلاقات المشتركة بينهما.

في الإطار ذاته، فإن التغييرات والتطورات الأخيرة في باكستان مع تفعيل القوى الشعبية، كانت باعث لهذا التساؤل.

هل التغييرات الأخيرة في باكستان لصالح إيران أم لضرره؟

إيران منذ قيام دولة باكستان منذ واحد وستون عام، كانت أول دولة اعترفت رسمياً باستقلال باكستان، وتبادلت السفراء مع هذه الدولة، ودائماً إيران تراقب بدقة التطورات الباكستانية وكانت مشكلة ولاية (بلوتشتان) وهى أفقر مناطق هذه الدولة أهم موضوع للتعاون الإيرانى الباكستانى منذ استقلال هذه الدولة وقضية أفغانستان وحكومة طالبان كانت في الواقع المشكلة الرئيسية لعلاقات البلدين، وكانت سبباً في توتر العلاقة وإيجاد سوء تفاهم كبير بينهما.

أما القضية التى زادت الفاصل بين البلدين، هى قضية اتحاد وتحالف باكستان مع أمريكا لاحتلال أفغانستان.

وعلى كل حال ومع دخول القوات الأمريكية واحتلال أفغانستان والسيطرة على باكستان وإمكانية حضور وتوسع القواعد والقوات في آسيا الوسطى وكذلك مع احتلال العراق، قد أوجد وضع جديد، يجب على الجمهورية الإسلامية أن تحلل بواقعية ودراية أوضاع وأحوال المنطقة ومسيرة التطورات والأهداف الجديدة لأمريكا في المنطقة.

ومع استقالة (مشرف) كان موضوع خلاء السلطة في باكستان وعدم إدراك السياسية في هذه الدولة لهذه المشكلة الكبيرة سيمثل مشكلة كبيرة لباكستان والشعب الباكستانى، وفى المرحلة التالية سيعم الضرر دول الجوار وخصوصاً إيران.

في الشأن ذاته قال المتحدث الرسمى لوزارة الخارجية الإيرانية عقب التغييرات والتطورات في باكستان في بيان رسمى (أننا أطمئنينا أن المؤسسات الحكومية لدولة باكستان الصديقة ستدار بدراية حتى انتخاب رئيس جمهورية جديد للدولة.

وباكستان من ناحية تعقد السياسة الداخلية والخارجية فهى دولة منحصرة على الفرد، وتعقد السياسة الخارجية في باكستان متأثر بتعقد السياسة الداخلية بها.

باكستان دولة مليئة بالقوميات (بلوتش- سند- بشتون وبنجاب) وكلها أقوام متنافسة وغير متوافقة، لكنها تشكل دولة باكستان ولذا فإن باكستان مليئة بالحركات الانفصالية.

والراديكالية الإسلامية في باكستان من ناحية الاستراتيجية ذات توجهين أولاً: توجه الفرقة وهو العنصر الأصلى لعدم الاستقرار في باكستان كالصدام بين فرق أهل السنة وفرق أهل الشيعة:

ثانياً: التوجه الآخر للراديكالية الإسلامية في باكستان، جانب خارج الحدود المسيحية والصهيونية والشيوعية والهندوسية هى الهدف الأصلى للصراع المسلح لهذه الراديكاليين.

ومن ناحية الطبقة، توجد في باكستان ثلاث جماعات العسكريين، الدينيين والليبراليين العسكريين منذ استقلال الدولة، وكافة أمور الدولة في أيديهم ولهم دائماً حق التدخل

في سائر الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالإضافة للدفاع عن أرض باكستان ومن النظام السياسي للدولة.

أما رجال الدين، بسبب فلسفة تشكيل دولة باكستان، على أساس الهوية الدينية، ولذا يعتبر مسلمو شبه القارة الهندية أن حفظ الأراضي الباكستانية من مسئولياتهم الدينية والمذهبية ودائماً هم ناشطون في الحياة السياسية ويتدخلون فيها ونذكر على سبيل المثال حزب الاتحاد بزعامة القاضي حسين أحمد ومولوى سميع الحق.

وتعد أكثر الأحزاب السياسية في باكستان ومنها حزب الشعب بزعامة القاضي حسين أحمد ومولوى سميع الحق.

وتعد أكثر الأحزاب السياسية في باكستان ومنها حزب الشعب بزعامة (بنيظير بوتو) وحزب مسلم لبيع بزعامة (نواز شريف) ليبرالية ومن أهداف هذه الأحزاب هو تبديل دولة باكستان إلى دولة ليبرالية والتعارض بين الجماعات الثلاثة كان سبباً في الأزمات السياسية في الدولة، وأثرت هذه العوامل على السياسة الخارجية لباكستان بسبب عدم الاستقرار الداخلي.

وعلى هذا الأساس فإن العلاقات الأمنية بين إيران وباكستان قابلة للطرح في أمور كثيرة مثل الانفصاليون القوميون، الفرق المذهبية، المخدرات، تهريب البضائع قضية كشمير، قضية أمريكا ومسألة أفغانستان هذه القضايا بجانب نقاط مثل العلاقات الثقافية والتاريخية القديمة والعلاقات الدينية من الممكن أن تكون سبباً في أن تخلص علاقات الدولتين في القضايا الأمنية.

باكستان من ناحية نوع الإدارة القومية، ففى السنوات الماضية كانت مساحة مناسبة لنمو التشدد، وتشكيل الجماعات الإرهابية، ومأمن للأفراد القاربين التابعين للقاعدة وطالبان.

ونفس الموضوع كان سبب في ظهور الكثير من المشاكل لإيران في نطاق القضايا الأمنية في شرق الدولة، حتى تحولت إيران إلى البوابة الذهبية لتصدير المخدرات أمام مهربين الأفيون ودائماً ما تدخل القوات العسكرية والشرطة الإيرانية في مواجهات مع المهربين.

وبجانب هذا الموضوع الدائم، كان تزايد القوات المتشددة انتشار الإرهابيين بسبب حضور عناصر طالبان في منطقة البلوتش في باكستان سبباً في الصراع المسلح بين إيران والجماعات الإرهابية مع الحدود مثل جماعة (ريجى).

وخلال تسع سنوات قضاها مشرف على سدة الحكم، اشتد نمو الجماعات الإرهابية في مختلف الأراضي الباكستانية وخصوصاً في بلوتشستان.

وفى هذا الشأن يرى (نويد أحمد) مراسل التليفزيون الباكستانى مشيراً إلى عجز حكومة مشرف في تأمين الأمن الباكستانى أن استقرار حكومة شعبية في باكستان سيساعد على تحقيق الأمن والأمان في المناطق الحدودية وفى دول المنطقة.

وتوقع ن الحكومة الجديد في باكستان ستتعاون أكثر مع إيران في مكافحة الجماعة الإرهابية (جند الله).

وأضاف (نويد) أنه بالنظر للسياسات المستقلة لإيران وتواجد أمريكا في العراق وأفغانستان، فمن الطبيعي أن ترغب أمريكا في ضرب إيران، ومن هذا المنطلق فإن التقارير عن دعم (CIA) لجماعة (جند الله) هى تقارير صحيحة.

تشكيل قيادة صاروخية للرد على التهديدات الإقليمية

اعتماد ملى (الثقة الوطنية) ٢٠٠٨/٨/٢٨

في إطار الحرب النفسية والإعلامية التى تشنها وسائل الإعلام الغربية يكتسب الحديث عن الحرس الثورى ودوره في حماية نظام الجمهورية الإسلامية أهمية خاصة، فقد أكد الفريق محمد على جعفرى قائد قوات الحرس الثورى الإيرانى على احتمال تشكيل قيادة مستقلة بهدف تقوية بنية وأنشطة القطاع الصاروخى في الجيش.

إن التغيير والبناء موجود في كل مكان في العالم، طالما أنه يتم للأفضل والأحسن، وهذا التغيير لم يكن يتم من قبل في الحرس الثورى ولكن مع تغير الظروف المحيطة، والتهديدات المحيطة، فرض هذا التغيير نفسه.

وخلال السنوات الاخيرة، دائماً كنا نهتم بتقوية الجانب الروحى والدينى في قوات الحرس، ولكن هذا لم يمنعنا من الاهتمام بجوانب النجاح والانتصار وكل ما يعيننا على القيام بعملنا بإخلاص. وحول تشكيل قوات محلية تابعة للحرس، أكد جعفرى أن قيادة الحرس بصدد تقوية القدرات القتالية لقواته، خاصة ونحن نحتفل بعام التقنية والازدهار، وتمت الموافقة على تشكيل (٣١) قوة عملية للحرس من قبل القيادة العليا للقوات المسلحة وبدأت خطواتها التنفيذية.

وأكد قائد الحرس على تفعيل (٣١) قوة للحرس في أقاليم الدولة المختلفة، وتم إعطاء الأوامر بالتعاون والتعامل مع القوات البرية وقوات المقاومة (الباسيج).

وأضاف أن تجربة الثلاثين عاماً لقوات الحرس والخبرات التى حصل عليها في الساحة الداخلية والخارجية وخاصة في ساحة المواجهة مع الوقائع والمتطلبات التنظيمية، وكذلك إدراك استراتيجيات وتهديدات أعداء الثورة والأمة الإيرانية، تشير إلى أن التطورات البنيوية في هذه المنظمة الشعبية والثورية دائماً في تزايد لاستعداداتها في الدفاع عن الدولة، وتؤدى دورا هاما وأساسيا في هذا الإطار.

وبشأن التهديدات الخارجية، أكد قائد قوات الحرس الثورى أن الهجوم الأمريكى المحتمل على إيران بدون إسرائيل لن يكون عملياً وأمريكا تحتاج لإسرائيل من أجل تنفيذ هجومها على إيران.

إسرائيل نفسها هى عنصر الردع لمنع الهجوم على إيران، فالوضع الجغرافى لهذه الدولة، وقدرات إيران في الداخل والخارج التى تمكنها من توجيه ضرباتها لإسرائيل، عنصران مهمان لردع الهجوم على إيران.

وحول قدرات إيران أكد جعفرى أن الإسرائيليين يعلمون جيداً أن أى إجراء من جانبهم تجاه إيران، سيقابله رد فعل عنيف من قبل العالم الإسلامى وخاصة الطوائف الشيعية في المنطقة، مؤكدا أن رد إيران تجاه الهجوم الأمريكى والإسرائيلى المحتمل سيكون عنيفا ولا يمكن تصوره وسيكون صدمة لأمريكا قبل إسرائيل.

علاقات دولية

إيران وأزمة القوقاز: فرص ومخاطر (ملف خاص)

تباينات عديدة بدت جلية في مواقف الصحف الإيرانية من أزمة النزاع العسكرى بين روسيا وجورجيا على إقليمى أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، خصوصا فيما يتعلق بتداعيات هذه الأزمة على إيران وبالتحديد الملف النووى الإيرانى. ففيما رأت بعض الصحف أن إيران استفادت من هذه الأزمة فى تقليص حدة الضغوط والعقوبات المفروضة عليها من قبل مجلس الأمن، لأنها شغلت المجتمع الدولى وحفزت روسيا على معارضة المساعى الأمريكية لفرض مزيد من العقوبات عليها، ظهر اتجاه آخر فى الصحف الإيرانية، يدعو إلى الحذر من النوايا الأمريكية، ويرى أن الولايات المتحدة هى التى دفعت روسيا للتورط فى المستنقع الجورجى، حتى تنشغل بأزماتها مع دول الجوار، عن متابعة التطورات الدولية والمحاولات الأمريكية لتكريس الهيمنة على الساحة الدولية، والاكثر من ذلك، أن هذا الاتجاه يرى أن ثمة صفقة يمكن إبرامها سوف تكون إيران هى أبرز الخاسرين فيها، ومفادها أن تغمض واشنطن الطرف عن أزمة روسيا مع جورجيا مقابل أن تتخلى موسكو عن موقفها إزاء أزمة الملف النووى الإيرانى.

وفيما يلى عرض لأهم الرؤى والاتجاهات الإيرانية إزاء الأزمة الروسية - الجورجية وتداعياتها على إيران.

١ - ساكاشفيلي وشتاء عام ٢٠٠٦ البارد

عصر ايران ٢١ / ٩ / ٢٠٠٨

حول التوتر الحادث بين روسيا وجورجيا بشان منطقتي اوسيتيا الجنوبية وابخازيا اللتين تطالبان بالانفصال عن جورجيا خلال الشهر الماضي منطقة القوقاز الى بؤرة الصراع الدولي حتى أن بعض المحللين يعتبر ان الازمة الحالية في جورجيا قد تشكل الشرارة التي تنطلق منها حرب باردة جديدة بين روسيا والغرب.

وبعيدا عما اذا كان هذا التحليل صحيحا ام لا فانه يجب القول بان الازمه الحالية في القوقاز ورغم انها ذات جذور تاريخية لكنها كان يمكن الا تحدث والا توفر الارضية لتدخل القوى الدولية.

ويجب الاقرار بان انعدام هيكلية اقليمية مشتركة تغطي جميع احتياجاتها اي الامن والاستقرار والتنمية و... وتجعل الدول الكبيرة والمتوسطة والصغيرة في المنطقة تشعر بالرضا وتحقيق مصالحها الوطنية من خلال الانضمام الى هذه الهيكلية ، يشكل احد الاسباب الرئيسية للتدخل واثارة اجواء من عدم الثقة بين دول منطقة القوقاز.

وواضح ان الدعوة التي وجهتها جورجيا الى الدول التي تبعد الاف الاميال عن المنطقة والمحاولات للانضمام الى عضوية حلف عسكري يشكل "تهديدا للامن القومي" لقسم كبير من دول المنطقة ، يعتبر اجراء يبدد الثقة.

لذلك فان الخيار الوحيد لاحلال السلام والاستقرار في منطقة القوقاز وحواليها يكمن في بناء الثقة كخطوة اولى وفي الخطوة الثانية العمل من اجل ارساء هيكلية اقليمية مشتركة تعمل على ضمان مصالح الجميع ويقطع الطريق على تدخل سائر القوى الاجنبية في المنطقة.

ان حكومة تبليسي تتذكر بالتاكيد ما حدث في شتاء عام ٢٠٠٦ ، ففي تلك الايام كان مقررا اقامة مراسم اليمين لنظربايف بمدينة "استانة" في كازاخستان وكان ساكاشفيلي بوصفه رئيس جورجيا قد دعي للحضور في تلك المراسم وكان يبدو متوترا للغاية وعندما التقى وزير الخارجية الايراني منوشهر متكي معه اتضح سبب توتره هذا.

وكان ساكاشفيلي قد قال لمتكي بان الروس قد قطعوا امدادات الغاز عن جورجيا وفي ظل ظروف كهذه فان ايران تشكل الامل الوحيد للجورجيين لكي تبيع لهم الغاز.

وبعد التمهيد دبلوماسيا قام وزيرا الخارجية والطاقة الجورجيان بزيارة الى طهران وعقب ذلك تم تصدير الغاز الايراني الى جورجيا عن طريق جمهورية اذربيجان وانقذ شعب جورجيا الذي كان يعاني من البرد آنذاك.

وقد اخذت ايران القضايا الانسانية بنظر الاعتبار في تصدير الغاز الى جورجيا بحيث انها فتحت انابيب الغاز الى الجورجيين الذين كانوا "ايرانيين" يوما ما، حتى قبل الاتفاق على سعره.

لكن ماذا كان رد ساكاشفيلي على هذا التوجة الانساني؟

فقد قام بعد عام من ذلك بتسليم ايراني اعتقل في تبليسي باسم "اردبيلي" الى امريكا رغم احتجاج طهران، لكي يكون ورقة رابحة في يد البيت الابيض في تعامله مع ايران !

وقد اظهرت الحكومة الجورجية لعدة مرات بانها واقعة بشكل شديد تحت التاثير الامريكي وانه لا توجد ارادة مستقلة في تبليسي.

ان الحكومة الجورجية ومن خلال اشعالها فتيل الحرب صيف هذا العام في المنطقة والتي اعقبها ردة فعل روسيا العنيفة ، اظهرت هذه المرة ايضا انها لا تملك تفهما صحيحا عن العلاقات الاقليمية والدولية و حتى انها لا تعرف قدر نفسها .

والان وهي توجه انظارها الى خارج المنطقة واقدمت على ايجاد الازمة الحالية، تبحث الان عن مخرج من الوضع الراهن من خلال اعتماد نفس الخطا الاستراتيجي اي طلب العون من الخارج في حين ان ظلال قوة اسمها روسيا تطل على تبليسي وان الروس يواصلون اللعبة هذه المرة من منطلق توجه ينطوي على الكرامة ولذلك فانه كلما توسع نطاق التوقع من القوى من خارج المنطقة كلما ازدادت حساسية روسيا وبالتالي المزيد من تعقيد الاوضاع.

لذلك فان السبيل الوحيد لاستتباب السلام والاستقرار والتعايش السلمي في المنطقة يكمن في ايجاد هيكلية داخل اقليمية وديناميكية تمهد لتنامي الاستقرار والامن لجميع دول المنطقة شريطة الا يلقي اشخاص مثل ساكاشفيلي حجر في بئر يتطلب اخراجه وقوع احداث وتطورات.

٢- ثمن دعم الموقف الروسى

مريم جمشيدى ■ اعتماد (الثقة) ٣٠/٨/٢٠٠٨

منذ اليوم الذى هدد وحذر فيه سيرجى لافروف وزير الخارجية الروسى البيت الأبيض بلهجة شديدة وحاسمة عقب تصريحات بوش التى كان يدين فيها العمليات العسكرية الروسية في جورجيا حيث قال: "يجب على أمريكا أن تختار أحد أمرين هما: العلاقة مع جورجيا أو التعاون الحقيقى مع روسيا بشأن القضايا التي تحتاج بالفعل إلى إجراءات جماعية كبيرة وواسعة"، وصولاً إلى اليوم الذى أعلن فيه فلاديمير بوتين رئيس الوزراء الروسى وبشكل صريح أنه إذا لم يغير البيت الأبيض موقفه بشأن الصراع في جورجيا فإن روسيا لن تغير موقفها تجاه البرنامج النووى الإيرانى، فإن معطيات الأمور تفيد بأن تغييراً حقيقياً مقداره "١٨٠" درجة قد حدث في الموقف الروسى تجاه الأزمة النووية وذلك على الرغم من صغر المدة الزمنية بين التصريحين.

ذلك أنه منذ اندلاع الحرب في جورجيا صدرت مجموعة من المؤشرات الدالة من جانب الدول المتصارعة أى روسيا والولايات المتحدة الأمريكية التى كشفت عن حقيقة مفادها

أن "اللعبة" التى أخذت واستهلكت فيها ومعها هؤلاء اللاعبين قد تغيرت واختلفت.

ولم يكن قد مضى سوى ثلاثة أسابيع على قرار ميدفيديف الرئيس الروسى - بتأييد من بوتين - بالموافقة على قيام الدبابات الروسية بالرد على الهجوم الجوجرى على إقليم اوسيتيا الجنوبية الذى كان قد أعلن استقلاله في عام ١٩٩١ عن جورجيا، حتى نجحت روسيا فى تحقيق عدة أهداف جراء هذا القرار من أهم هذه الأهداف تحذير جورجيا من تأييد أمريكا، الثانى وقف عملية الحصار التى كان الناتو يسعى إليها لمحاصرة روسيا وذلك من خلال تمدد الحلف عبر فتح عضويته لأعضاء جدد من دول أوربا الشرقية.

الواقع - كما يعلم الجميع - أن أوروبا الشرقية هى النطاق والعمق الاستراتيجى ومنطقة النفوذ المباشر والأولى لسكان الكرملين.

في الوقت نفسه فإن جمهورية القوقاز التى يطلق عليها "الجار القريب" تشكل أهمية حياتية خاصة بالنسبة لسكان أرض القياصرة والتى لا يريدون لها أن تذهب - تتحول- إلى الغرب، أو أن تكون داعمة المواقف الخاصة بالبيت الأبيض في القوقاز وما حولها.

من هنا فإن الخوف من نفوذ الغرب إلى جانب أزمة الدرع الصاروخية الأمريكية في أوربا الشرقية سببان جوهريان دفعا روسيا إلى قصف جورجيا ومهاجمتها مع قيام روسيا بإطلاق تحذيرات أخرى لبقية دول نطاقها الجغرافى الأول من مغبة تجاوزها أو تجاوز مصالحها الاستراتيجية والحيوية.

في ظل مثل هذه المتغيرات تحول الصراع الجورجى إلى "مصدر" صراعات إقليمية ودولية حيث أدى إلى ردود فعل متبادلة حادة وعنيفة وسلبية بين واشنطن وموسكو وبشكل مباشر لدرجة التهديد الروسى بوقف التعامل أو التعاون مع أوربا في القضايا التى تحتاج إلى "إجراءات ومواقف جماعية" والتى في مقدمتها بالطبع الملف النووى الإيرانى وذلك بالرغم من أن ذكراً مباشراً لهذا الملف قد جرى على لسان وزير الخارجية الروسى أحد اللاعبين الذين جرت على ألسنتهم تلك التهديدات فكما هو معلوم فإن الملف النووى الإيرانى يعد من جملة الموضوعات التى تحتل مكانة خاصة في السياسة الخارجية للولايات المتحدة، التى تسعى بشكل - غير مسبوق- في هذه الأيام من أجل الحصول على مساعدة الاجماع الدولى من أجل إعمال وتنفيذ القرارات الخاصة بالمقاطعة والحصار الاقتصاديين من جهة وإصدار قرارات دولية جديدة رادعة لإيران من أجل وقف برنامجها النووى من جهة أخرى.

أمريكا هنا تحتاج بشدة إلى تأييد كل من الصين وروسيا بوصفهما دولتان من خمس دول لها حق الفيتو في مجلس الأمن. هذا الاحتياج الأمريكى قد مكن روسيا قبل ذلك من تحقيق امتيازات على حساب منافسها الأمريكى.

في هذه الأثناء والأجواء الخاصة بالصراع الجورجى يمكننا القول بأن المناقشات الدائرة بشأن اقليم اوسيتيا قد تجاوزت بالفعل الحدود الجغرافية لكل من روسيا وجورجيا، لدرجة أنه يمكن القول معها بأن إيران قد حصلت - أخذت أو تلقت - "رسالة ضمنية" من خلال وفى كلمات الانذار الروسى لأمريكا.. مفاد هذه الرسالة ضرورة قيام طهران بتأييد موسكو في الأزمة.

الواقع أن موقف السياسة الخارجية الإيرانية بشأن منطقة القوقاز على الرغم من ظهوره واضحاً في كلام "منوتشهر قتقى" وزير الخارجية الإيرانى وهو حماية ودعم الاستقرار والأمن في منطقة القوقاز إلا ان استخدام وسائل الإعلام الإيرانية الكلمة "التغرب" وهى توجه انتقاداتها لحكومة جورجيا قد كشفت وأكدت على أن طهران تدعم روسيا -في هذه القضية - في مواجهتها مع الولايات المتحدة الأمريكية.

لكن إعلان وإظهار هذا الموقف الإيرانى بهذا الشكل لم يكن "مبالغا" فيه للدرجة التى تثير الغرب، فقط أسعد هذا الموقف الروسى وأقنعهم بأنه من المؤكد أن يحصلوا على مكاسب ومصالح من وراء دعمهم طهران.

الحقيقة أنه عند حساب توازن القوى وفى إطاره، فإنه طالما باتت المصالح الغربية عرضة للخطر يكون الفائز هنا هو روسيا .

والمؤكد هنا أن روسيا بتهديدها الغرب بشأن تقويض الإجماع الدولى بشأن البرنامج النووى الإيرانى فإنها تعرض مصالح أمريكا المرتبطة بهذه القضية والأزمة للخطر الشديد .

لكن ثمة فوائد أخرى بانتظار طهران إلى جانب هذا الاتفاق أو في إطاره - مثل عدم تأييد روسيا لجهود الغرب بشأن إصدار قرار رابع من مجلس الأمن ضد إيران وكذلك وجود مناخ جديد يمكن أن يشكل متغيراً جدياً وحقيقياً يدفع روسيا إلى بيع النظام الدفاعى الجوى (S-٣٠٠) (إس ٣٠٠) الروسى إلى إيران.

هنا من المتوقع جداً أن يكون إعاقة بحث الملف النووى في الاجتماعات القادمة لمجلس الأمن أهم وأسرع المكاسب الإيرانية المتحققة وهو ما يمكن إدراكه جيداً في قول كونداليزا رايس من أنه لم تتشكل بعد الأجواء المناسبة اللازمة لصدور قرارات عقابية جديدة ضد إيران بسبب ملفها النووى.

مع كل هذا فإنه من غير المتوقع أبداً حدوث انحياز روسى مطلق لصالح إيران. فبعد فترة قليلة جداً من كلام رايس أكد بوتين في لقاء تليفزيونى له مع شبكة سى ان ان على أن التوفيق بين المصالح الروسيى والأمريكية بشأن إيران وأنشطتها

النووية هو أمر هام فموسكو ملتزمة بالتعاون مع واشنطن، وهذه هى المرة الثانية التى يكرر فيها بوتين هذا المعنى والكلام، وهو ما يعنى إذا الأمر الواضح هنا أن تصريحات بوتين- التى كررها للمرة الثانية خلال أيام معدودات كما سبق القول - تفيد بأن التعاون الروسى مع الغرب بشأن الملف النووى الإيرانى ليس له علاقة بقضية جورجيا. ربما يكون الجدل بشأن الامتيازات التى حصلت عليها موسكو من الغرب جراء موقفها وتعاونها هذا، سبباً لحدوث تغيير ما فى الموقف الروسى ولكن من غير المتوقع أيضاً حدوث تغيير سريع فى مواقف الأمريكيين جراء اللهجة الروسية شديدة التهديد ضد أمريكا بسبب قضية جورجيا.

الواقع أن هذا الواقع الجاد الجديد يكشف عن إدراك شديد من جانب البيت الأبيض مفاده أنه فى حاجة شديدة للكرملين ولنفوذه الموجود فى إيران بسبب تعاون الكرملين النووى مع طهران.

هذا الأمر يبدو عياناً - أى مؤكداً - لنا من خلال تذكيرنا بموقف روسيا فى أوقات ما حاسمة مثل تلك التى عاشها الملف النووى أثناء التصويت على العقوبات الثالثة التى فرضت من جانب مجلس الأمن حيث قامت روسيا بالتوقيع على قائمة العقوبات الصادرة ضد إيران من خلال قرار مجلس الأمن الثالث بشأن فرض العقوبات ضد إيران.

لذلك فإن الأمر الأكثر أهمية والذى يجب أن يكون واضحاً جلياً أمام المسئولين الإيرانيين هو: إذا كنتم تنظرون إلى أزمة جورجيا بوصفها "فرصة" بل يجب النظر إليها كذلك فإنه لا يجب إضاعة هذه الفرصة بالحسابات الخاطئة.

لأنه من الواضح جداً الآن أن أمريكا قد باتت بين اختيارين هما إيران أو جورجيا وهى قد قررت بالفعل أيهما تختار وتريد .

٣- مكانة إيران وإسرائيل فى الحرب الروسية - الجورجية

نصرت الله تاجيك ■ نوروز (اليوم الجديد) ٢٠٠٨/٨/١٥

كانت الحرب المحدودة التى وقعت منذ أسابيع مضت بين روسيا وجورجيا، موضع بحث من زوايا متعددة من قبل الخبراء والمهتمين، وبعيداً عن الظروف الداخلية التى أشعلت هذه الحرب، فإن هذه الحرب كانت ردا على اقتراب الناتو من الحدود الروسية، وهناك أطراف عديدة لعبت دوراً فى هذه الحرب وهذه التطورات ومن أهم هذه الأطراف النظام الإسرائيلى ونظام الجمهورية الإسلامية، والأول يلعب دوراً واضحاً فى منطقة الشرق الأوسط والخليج (الفارسى) والعراق وخاصة منطقة الأكراد.

هذا النظام لديه خبرة قديمة وعلاقات صداقة مع العسكريين فى جمهورية جورجيا، وفى الإطار ذاته فإن جورجيا بها لوبى يهودى قوى من اليهود المهاجرين. ودائماً يسعى هذا اللوبى لتقوية العلاقة بين إسرائيل وجورجيا.

وتعد إسرائيل بعد أمريكا وفرنسا أهم مصدر للصفقات العسكرية الجورجية، وتدار هذه التجارة عبر أفراد أصحاب نفوذ فى القطاعات العسكرية لهذا النظام الإسرائيلى.

وعلى سبيل المثال فإن الجنرال جاك جيرسش وهو أحد القادة رفيعى المستوى فى النظام الإسرائيلى، الذى اضطر للاستقالة عقب هزيمة النظام أمام حزب الله فى حرب الـ ٣٣ يوم، يعد الآن أحد المستشارين الأمنيين فى الحكومة الجورجية.

وإضافة للصفقات العسكرية التى تتم بين النظامين، فإن إسرائيل قامت بإرسال عناصر من قواتها العسكرية لتدريب القوات الجورجية، وهو الأمر الذى دعى السيد تاور يوكوباش أحد وزراء جورجيا وهو يهودى، للتفاخر والتباهى بدور إسرائيل فى مساعدة جورجيا.

وإذا كان الروس يعتبرون هذه العلاقة العسكرية، بسيطة وعلى مستوى منخفض، لكن فى الوقت ذاته، تعتبر هذه المساعدات ومنها تدريب القوات الأمنية الجورجية من بين الأساليب المهددة لمصالح روسيا والنظام الإسرائيلى يخاف من إثارة الروس أكثر من الحد، وسعى الإسرائيليون إلى أن تكون علاقاتهم العسكرية مع جورجيا فى إطار الصفقات الدفاعية وتدريب القوات العسكرية.

ومع بداية الحرب بين موسكو وتبليس، اقترحت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبى ليفنى (رئيسة الحكومة الجديدة)، تعليق صفقات عسكرية مع جورجيا، لأنهم خافوا أن يكتشف الروس هذه العلاقة العسكرية الخفية بين الطرفين مما يشجع الروس على تصدير أسلحة عسكرية متقدمة، وخصوصا

الصواريخ المضادة إس ٣٠٠ إلى إيران وسوريا.

وبالنظر إلى ما سبق، فإذا كان النظام الإسرائيلي لا يريد إثارة غضب الروس، إلا أنه بشكل غير مباشر يريد أن يضغط على روسيا لمعارضتها العقوبات ضد إيران.

والإسرائيليون يدركون حساسية الروس لهذه العلاقة، والوضع المتأزم في المنطقة، والذى من الممكن أن يتحول إلى أزمة كبيرة ولكن هذه الدولة تحظى بدعم الغرب وأمريكا، وتوجه هذه العلاقة.

وبشكل مجمل، فإن النظام الإسرائيلي قد وضع نفسه في وضع سيئ لأنه ملزم بالحفاظ على علاقته بجورجيا، وعلى ذلك من المنتظر تقارب العلاقات العسكرية الروسية مع إيران وسوريا، وفى هذا المجال الحساس فإن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تسعى بكل قوتها للاستفادة من الوضع الراهن.

٤- دروس من أزمة أوسيتيا الجنوبية

محمد هادوى ■ رسالت (الرسالة) ٢٠٠٨/٨/٢٨

في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، اكتشفت آسيا الوسطى والقوقاز بوصفها أحد المناطق النابعة بالطاقة، بحيث ساعد ظهور الغاز الطبيعي بتلك النواحى على مضاعفة أهمية المنطقة.

وتباعاً فإن مشروع تأسيس حركة طالبان ثم سقوطها في أفغانستان كان إحدى أطروحات الولايات المتحدة في استهلاك مصادر الغاز الطبيعي بآسيا الوسطى، وبهذا يكون عامل الطاقة أحد أبرز أولويات المعادلات الإقليمية الجديدة في آسيا الوسطى.

ومن ناحية أخرى، تبين أن توسع الناتو شرقاً قد أثار المخاوف الروسية، إذ أن اقتراب الناتو من دوائر النفوذ الروسى التقليدى قد أثار بوتين وقادة الكرملين، وقد ذكرها ادوار شيفردنادزه ذات مرة حينما قال إن بوتين لطالما فكر في إمكانية استغلال معادن وطاقة أوروبا الشرقية والقوقاز في فرض السيادة، إلا أنه لم يفكر في أن ساكاشفيلى ستتملكه الجراءة في الاعتداء على مواطنين روس ذات يوم، وكذا، لم يكن ساكاشفيلى يظن في نفسه أنه يأتى عليه يوماً وينخدع مثلما انخدع صدام حسين في عقد التسعينيات من السفيرة الأمريكية في بغداد. فساكاشفيلى كان يتصور أن الناتو والولايات المتحدة الأمريكية سيقفا بجوار جورجيا في أزمتها الخاصة بـ أوسيتيا الجنوبية دون أدنى خسائر. أما بوتين وميدفيديف فلم يتخذا خطوة للأمام أو خطوة للخلف وإنما ترافقا واتحدا معاً وعملا على إحياء الحلم الروسى القديم، والواقع أن بوتين وميدفيديف كانت لهما دوافعهم الكافية هذه المرة للتدخل مثلما كان يفعل الغرب والناتو من قبل، فروسيا هذه المرة تدافع عن حقوق مواطنيها (الحاملين جوازات سفر روسية)، وفى إطار قوانين حقوق الإنسان- مثلما فعل الناتو في صربيا إبان عقد التسعينيات- المهم أن بوتين وميدفيديف سعيا إلى تحريك الرأى العام الروسى بهدف تحقيق الحلم القديم في ظل مد الناتو والاتحاد الأوروبى شرقا ومحاولات الولايات المتحدة السابقة إلى المحافظة على الأوضاع الحالية، عبر الظهور بطالبان تارة وتفعيل حكومة كرزاى تارة أخرى، غاية الأمر أن الصدام بين المصالح والأهداف يشعل الصراع ويعيد مرحلة الحرب الباردة من جديد، وما يجب قوله في هذا السياق، إنه بعدما ارتقى العالم وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية النظام القائم على الانفرادية جائزى أزمة أوسيتيا الجنوبية لتعيد تقسيم هذا النظام من جديد وليتيقظ الدب الروسى من نومه، مع ضرورة الأخذ في الاعتبار بأن ساركوزى والسيدة أنجيلا ميركل لم يرغبان في تكرار أخطاء نابليون هتلر، ولهذا السبب تعاملا مع أزمة أوسيتيا الجنوبي بكل حيطة، ولم يسرعا في اتخاذ مواقف من شأنها تفاقم الصراع في القوقاز.

٥- ثلاث وجهات نظر للعالم الغربى إزاء أزمة القوقاز

مهين السادات صمدى إيران ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٧

انعكس الصراع الجديد في جورجيا على مسار العلاقات التاريخية بين موسكو والغرب. إذ تصدت الدول الغربية للقوات الروسية في جورجيا وطالبتها بالخروج الفورى من جميع الأراضى التى احتلتها حتى الآن، إلا أن روسيا يبدو أنها لم تلتفت لتلك المطالبة وبخاصة بعد ما ذاقت طعم النصر في حربها الجديدة بالقوقاز وسيطرت على المنطقة.

على أية حال، يمكننا تقسيم وجهات نظر العالم إزاء الصراع الراسى الدائر بين روسيا وجورجيا إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول: ويأتى على رأسه الولايات المتحدة وبريطانيا والذين أدانوا الإجراءات الروسية في جورجيا وبشدة وكذا تعاونوا وبشكل مباشر مع حكومة ميخائيل ساكاشفيلى، وقد اصطف أيضاً مع هذه الجبهة الأنجلوساكسونية رؤساء جمهوريات بولندا، أوكرانيا ولتوانيا (إحدى جمهوريات البلطيق).

القسم الثاني: بعض الدول الأمريكية بالإضافة إلى فرنسا وألمانيا وأدانوا أيضاً الإجراءات الروسية في القوقاز لكنهم لم يلعبوا نفس أدوار مجموعة القسم الأول وإنما اكتفوا بلعب دور الوساطة.

القسم الثالث: يضم الدول الأوروبية وعلى رأسها إيطاليا الذين لم يدينوا موسكو لأسباب مختلفة من جملتها الحصول على مصادر البترول والغاز الروسى بل وانتقاد ميخائيل ساكاشفيلى على مواقفه ضد روسيا، ولعل تصريحات وزير الخارجية الإيطالى فرانكو فراتينى إزاء أخطاء تبليسى يوضح مواقف تلك المجموعة من الدول.

أما بشأن تلك الأزمة يمكن القول أن الولايات المتحدة باتت هى الأكثر تحركاً، إذ يقول الرئيس جورج بوش: "إن الولايات المتحدة وحلفائها يقفون هذه الأيام بجوار الشعب والحكومة الجورجية"، يعنى أنهم يقفون وراء الديمقراطية، وروسيا ملتزمة بإنهاء الأزمة.

وكذا صرح جورج بوش قائلاً: "إن أسلوب التخويف والضغط في السياسة الخارجية والخاص بالقرن الحادى والعشرين لم يعد مقبولا، وها هى مرحلة الحرب الباردة تنتهى أيضاً".

وفى معرض حديثه أكد أن العلاقات المتوترة مع روسيا ليست في مصلحة الولايات المتحدة وبالعكس أيضاً وفى هذا السياق صرحت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندليزا رايس التى قامت بزيارات متتابعة بين باريس وبروكسل وتبليسى قائلة "إن روسيا بدأت لعبة خطيرة مع الولايات المتحدة وحلفائها وتضع واشنطن والمجتمع الدولى أمام مأزق كبير".

ومن ناحية أخرى، يخشى بعض الأطراف الأوروبية من تحريضات البيت الأبيض لـ ساكاشفيلى، مما في ذلك من تداعيات على العلاقات الدولية، لاسيما بعد بيان حلف الناتو الذى أكد فيه أن روسيا لم تلتزم بتعهداتها في إطار وقف إطلاق النار، لكن مما لا شك فيه أن مماطلة القوات الروسية في الخروج الفورى من جورجيا سيكون معناه تعميق الفجوة في العلاقات بين موسكو والغرب. وإزاء تفاقم ذلك الصراع سعى زعماء أوروبا وبخاصة الرئيس الفرنسى نيكولا ساركوزى والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل إلى التدخل لحل نزاع القوقاز وبالفعل بعد التدخل النشط من قبل الاتحاد الأوروبى ووساطة ساركوزى تم التوصل إلى قرار وقف إطلاق النار ووقف الأعمال العسكرية بعد خمس أيام من اندلاع الصراع.

٦- السوفييت وروسيا والغرب

اعتماد (الثقة) ٢٧/٨/٢٠٠٨

كان الرئيس السوفييتى السابق ميخائيل جورباتشوف يرى الروس والسوفيت جزءاً من حضارة أوروبا الغربية، وهو ما دفعه إلى التحدث عن بيت أوروبى مشترك، كانت القاعدة الأساسية لسياسته الخارجية تقوم على أن يتصالح الاتحاد السوفيتى بشكل أحادى الجانب مع أمريكا وأوروبا بالنسبة لقضايا الجغرافية السياسية بحيث يستطيع أن يقدم لهم السوفيت كشريك جدير بالثقة.

وكانت المصالحات المتتابعة من قبل جورباتشوف تخيف الطبقة السوفيتية الحاكمة لكن جورباتشوف أخذ يعرب عن استيائه منذ عام ١٩٨٨ بسبب عدم قبول أمريكا التصالح الثنائى وكانت الطبقة الحاكمة تدرك جيداً أن أمريكا لا تؤمن بالمصالحة الثنائية. وقد قال وزير الخارجية الأمريكى آنذاك جورج شولتز فى رد فعل على اعتراض السوفيت بخصوص ميل أمريكا للمصالحة الثنائية :"اسمحوا لهم أن يواصلوا المصالحات الأحادية الجانب فهى نتيجة الضغط الذى مارسناه عليهم". وبعبارة أخرى فإن أمريكا لم ترض بعملية التصالح المتبادلة حتى فى ظل الإصلاحات الشاملة سياسياً واقتصادياً وعلى صعيد الجغرافيا السياسية التى قام بها جورباتشوف وآنذاك كان الحظ حليفاً لأمريكا، لأن جورباتشوف الذى كانت رؤيته بالنسبة للعلاقات الدولية بسيطة وكان يأمل فى أن تقبل أمريكا فى النهاية موضوع المصالحات المتبادلة كان يواصل التراجعات الجغرافية السياسية الأحادية الجانب إلى أن صدم فى هذا الموضوع فى عام ١٩٩١. وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى واجهت روسيا أزمات طاحنة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ولم تعد موسكو تطرح كقوة عظمى، واعتقد يلتسين الرئيس الروسى وأندريه كازروف وزير خارجيته وأشخاص آخرون فى حكومته أن روسيا الآن هى جزء من أوروبا، فى الوقت الراهن لم تعد توجد تلك العداوة السابقة وعليه توصلوا إلى نتيجة فحواها أنه مع انتهاء هذه الحرب الباردة تستطيع روسيا وأوروبا وأمريكا أن تتعاون فيما بينها وأن تكون بينهم علاقات عميقة ووطيدة وكان يلتسين مثل جورباتشوف على استعداد لأن يخضع لأشكال التصالح الأحادية الجانب ولم يسمح الضعف الاقتصادى والعسكرى لروسيا فى ذلك الوقت بأن تقف أمام ضغوط الأمريكيين لكن حتى منتصف عقد التسعينات توصلت موسكو إلى نتيجة مفادها أنه مع أن الحرب الباردة قد انتهت لازالت أمريكا تضع على أجندتها توسيع سيطرتها ووجودها فى الحدود القريبة من روسيا وكان بريماكوف يتحدث عن العالم المتعدد الأقطاب ومجموعة الثلاثة أى روسيا والهند والصين لتقييد توسع الهيمنة الأمريكية وأدركت موسكو أنه على الرغم من القيام بالمصالحات الأحادية الجانب منذ جورباتشوف إلا أن أمريكا بل وأوروبا لازالتا غير مستعدتين للقبول بروسيا كشريك وند لهما ويعتبرنها تمثل تهديداً بالنسبة لحضارة أوروبا. إن الذى غاب عن جورباتشوف ويلتسين والليبراليين الروس فى ذلك الوقت هو التصورات السلبية السائدة لدى الغربيين والأمريكيين تجاه روسيا التى تبلورت منذ مئات السنين.

بوتين والغرب

لم يكن بوتين الذى انتخب فى العام ٢٠٠٠ رئيساً لروسيا عدواً للغرب، لكن من المؤكد أنه بسبب السياسة الخارجية الأمريكية فى منطقة البلقان وآسيا الوسطى والشرق الأوسط وكذلك أيضاً طريقة سلوك أمريكا مع روسيا شاعت مشاعر معادية لأمريكا فى المجتمع الروسى.

ومع هذا فإن بوتين بينما كان يسعى للحفاظ على المصالح القومية الروسية كان يعمل أيضاً على إقامة علاقات وطيدة مع أمريكا، فكان يرى المصالح الروسية من المنظور الخارجى فى إطار العلاقات مع الغرب وعمل على أن ينهى أشكال التصالح الأحادية الجانب، وكان بوتين يعتبر رد فعل روسيا على أحداث الحادى عشر من سبتمبر فرصة مواتية لتوطيد العلاقات بين موسكو وواشنطن ولهذا كان يدعم حرب أمريكا على الإرهاب، ومن المؤكد أن موسكو كانت تعتقد أنها قد بدأت هذه الحرب فى الشيشان وفى النهاية قام بوتين من حيث الجغرافيا السياسية بأشكال من التصالح جديرة بالاهتمام إزاء أمريكا على سبيل المثال لم يعارض إقامة قواعد عسكرية أمريكية فى آسيا الوسطى بل وتعاون مع أمريكا فى إطار قضايا الجغرافيا السياسية المختلفة وكانت موسكو تأمل فى أن يترتب على هذه الإجراءات الإيجابية رد فعل إيجابى من قبل أمريكا خاصة إلغاء قانون عام ١٩٧٤ الذى يقيد العلاقات الاقتصادية بين روسيا وأمريكا أو أن تدعم أمريكا عضوية روسيا فى منظمة التجارة العالمية وتتفهم واشنطن أن

لروسيا مصالحها القومية المصالح التى يتعين عليها احترامها فى إطار إقامة علاقات جيدة معها وبعبارة أخرى كانت موسكو تعلق الأمل على أن تفهم أمريكا أن العلاقات يجب أن تكون ثنائية الاتجاه.

توتر العلاقات بين أمريكا وروسيا

لكن منذ عام ٢٠٠٣ أدت إجراءات إدارة بوش إلى أن يقتنع بوتين والطبقة الحاكمة أن أمريكا ليست على استعداد لأن تضع فى اعتبارها مصالح الروس وأهميتهم وهى تضع سياستها الخارجية. يقول دبلوماسى روسى كان سفيراً لروسيا فى أمريكا منذ ثلاث سنوات: "طالما أن أمريكا لا تحاول مراعاة المصالح القومية الروسية فى المناطق القريبة من حدود روسيا فإن روسيا وأمريكا لن يتمكنا من إقامة علاقات وطيدة" إذن فى الدرجة الأولى يمكن القول أن حكومة بوش على الرغم من اعتراضات موسكو عملت على توسيع حزب الناتو شرقاً وهكذا استنتجت موسكو أن هدف الناتو الدفاع عن أوروبا فى مقابل التهديدات الجغرافية السياسية الناجمة عن الحرب الإيديولوجية بين السوفيت وأمريكا والآن حيث لم يعد هناك وجود للاتحاد السوفيتى تتساءل روسيا ما الهدف من عملية التوسيع وضد من سيعمل الناتو، وتجيب موسكو على نفسها "أن أمريكا وأوروبا لازالتا تعتبران روسيا عدوا لها ويعملان على محاصرتها".

والآن تدعم أمريكا عضوية دول الاتحاد السوفيتى السابق مثل جورجيا وأوكرانيا فى حلف الناتو من أثار عصبية موسكو وهناك شئ آخر هو أن هجوم أمريكا على العراق قد أثبت لروسيا أن أمريكا لا تحترم القوانين الدولية وأنها تسعى لخلق عالم أحادى القطبية تتولى زعامته. ثالثاً بشكل مغاير تماماً للقانون الدولى قامت أمريكا وأوروبا بفصل كوسوفا عن صربيا، إذن أثبتوا ثانياً لروسيا أن أمريكا تعتبر نفسها فوق القانون وأن بيدها اتخاذ القرار بخصوص توقيت وكيفية تقسيم الدول على أساس عرقى، رابعاً سعى أمريكا لتوسيع وجودها فى آسيا الوسطى والقوقاز وأخيراً أدى تحرك أمريكا لإنشاء نظام مضاد للصواريخ فى بولندا وتشيك إلى تفاقم أزمة العلاقات بين روسيا وأمريكا واعتبرت موسكو هذه الإجراءات ضد روسيا وأنها سعى من جانب الغرب لمحاصرتها ويتعين على روسيا بذل ما فى وسعها لمواجهة ذلك.

٧- أزمة القوقاز وخسارة استراتيجية للغرب

محمد اسكندرى ■ رسالت (الرسالة) ٢٠٠٨/٨/٢٨

إن ما حدث مؤخراً من صراع سياسى ومعارك عسكرية فى منطقة القوقاز التى تحظى بأهمية جيوبوليتيكية بالغة، يمكن تحليله من جوانب وأبعاد متعددة، ولكن مما لا شك فيه أن أكثر الجوانب بروزاً في هذا الصراع وهذه المعارك هو الخطأ الاستراتيجى الذى ارتكبه الرئيس الجورجى ساكاشفيلى فى تدعيم تأثير الغرب وتدخله في هذه الصراع. إن جميع القرائن والشواهد تشير إلى أن "تبليس" كانت قد فتحت حساباً خاصاً أمام مناورات الغرب في حربه وصراعه مع روسيا، ومن المحتم أن الرصيد الذى تم فتح هذا الحساب على أساسه لم يكن سوى الأحلام والأوهام الطفولية التى لعبت بمخيلة ميخائيل ساكاشفيلى رئيس جمهورية جورجيا.

فبينما كانت دورة بكين للألعاب الأولمبية ٢٠٠٨ تشغل صحافة ووسائل الإعلام العالمية، حاول الساسة في "تبليس" معالجة الجراح القديمة في المناطق الانفصالية مثل أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا بقيامهم بتوجيه ضربة عسكرية واجتياح عسكرى لهذه المناطق.

ومن المؤكد أن المسئولين في جورجيا كانوا يعتقدون بشدة في عدم حدوث رد فعل من جانب موسكو إزاء هذه الضربة وهذا الاجتياح العسكرى. ومن ناحية أخرى كانوا يعتقدون أيضاً أنه في حالة دخول الكرملين كلاعب في هذه اللعبة، فإن الغرب- وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية- سوف يقوم برد فعل عنيف على ما يمكن أن تقوم به موسكو وفى هذا الشأن.

وبعبارة أخرى فقد أقدم الجورجيون على تنفيذ سياستهم العسكرية والحربية هذه بناء على أساسين، الأول، حماية كاملة وتأييد من جانب الغرب، والثانى عدم تدخل موسكو في هذا الصراع. وبالقطع إن ما بنى على هذين الأساسين لم يسفر عن شئ سوى تعرض الجيش الجورجى لهزيمة ساحقة وقيامه بانسحاب مخزى تم في صمت شديد.

ولكن من ناحية أخرى فقد أسفر هذا الصراع أيضاً عن

فشل ذريع ومؤثر منى به أصدقاء هذا البعد وحماته الأصليون وذلك أكثر من كونه تسبب في تنزل مكانة جورجيا وتلاشى طابعها الناعم في فسيفساء العلاقات الدولية، إلى درجة أن البعض من خبراء العلاقات الدولية اعتبروا هذه الحرب باباً للدخول إلى النظام العالمى الجديد، ففى هذه الصفقة منى الغرب بخسارة من ناحيتين، فمن ناحية أثبت الغرب عدم خبرته وعدم قدرته على حماية الثورات الملونة، ومن الناحية الأخرى كانت هذه الصفقة شاهد على حدة زعماء الكرملين واستعراض لقوتهم التى لا بديل لها في منطقة القوقاز" لقد نادت أغلب الدول الغربية بوقف إطلاق النار وإلزام روسيا بسحب قواتها من جورجيا. وكانت الزيارة الأخيرة التى قامت بها كوندليزا رايس لجورجيا وزيارة أنجيلا ميركل مستشار ألمانيا، ونيكولا ساركوزى لموسكو، دليلا على محاولات الغرب للاحتفاظ بجورجيا كحليفة وصديقة للغرب ولتقويض قدرة وقوة الكرملين المتزايدة والحد من تناميها في المنطقة.

فقد صرحت أنجيلا ميركل في لقائها مع المسئولين الجورجيين بأن جورجيا سوف تصبح عضواً في حلف شمال الأطلنطى، ومن ناحية أخرى صرحت كوندليزا رايس وزيرة خارجية الولايات المتحدة في "تبليس" بأن روسيا قد تخطت حدودها واستخدمت قوتها للضغط أكثر من اللازم على جارتها الصغيرة جورجيا، ويجب أن تدفع الآن ثمن هذا التجاوز.

مثل هذه التصريحات تثبت في الواقع أن الدول الغربية كانت هى المتضررة الرئيسية من جراء هذه الحرب.

أما ما لا يجب إغفاله في هذا الشأن فهو سوابق العلاقات الغربية مع روسيا. فبعد العام ١٩٩١ كانت موسكو دائماً، تعد بالنسبة للغرب شريكاً جيداً ومطيعاً، لكن ما شهدته السنوات الأخيرة أو بالأحرى بعد مجئ فيلاديمير بوتين للسلطة فقد سجل توجهاً للكرملين على أساس ورقة الطاقة الرابحة فيما اعتبر الغرب هذا التوجه الجديد نوعاً من التهديد وسوء النية من جانب موسكو تجاهه.

فخلال السنوات الأخيرة حدثت أزمات متعددة بين الغرب وموسكو، وهذه الأزمات وما نتج عنها من توتر مثلت في مجموعها حلقات في سلسلة ابتعاد موسكو وانفصالها عن الغرب. واليوم نرى حلقة جديدة وكبيرة ومتينة تم إضافتها وعقدها في هذه السلسلة، وقد تمثلت هذه الحلقة في معركة أوستيا الجنوبية.

ولذلك يمكن القول بشكل عام ومجمل بأن هذه المعركة الأخيرة التى حدثت في منطقة القوقاز حدث في مجملها نقاط عديدة، هذه النقاط سوف يكون لها بالتأكيد دوراً مؤثراً في رسم المستقبل السياسى لمنطقة القوقاز.

لقد أثبتت موسكو وبانتصارها في ميدان القتال في "أوستيا" أنها قد أقدمت على وضع دورة تجاوز الغرب في جدول أعمالها، وأنها لم تعد مستعدة لأن تتساوم مع أحد على مصالحها. ومن ناحية أخرى أدرك الغرب جيداً ما لدى موسكو ومن سلطة ونفوذ وقوة لا بديل لها.

إن روسيا دولة تقوم بتوفير معدل كبير من الاحتياج العالمى للطاقة، كما أنها من ناحية أخرى تشغل مقعداً دائما في مجلس الأمن، لذلك فإن تجاوز مثل هذه الدولة وإغفالها أو الدخول في حرب أو صراع دائم معها لن يكون في صالح أى أحد كان.

ومع هذا التحليل يمكن القول بأنه مع عودة الهدوء إلى منطقة القوقاز سوف تصبح الأوضاع السياسية بين الغرب وموسكو أكثر توتراً وسخونة وحساسية. فالبيت الأبيض وقادته المحافظون الجدد الذين يدعون القدرة على التدخل السريع في الساحة الدولية والعالمية لن يتركوا ما حدث هذا يمر بسهولة وسوف يعملون على الرد على ما قامت وتقوم به موسكو في الساحة الدولية.

٨- بحث جذور الأزمة فى العلاقات بين روسيا وجورجيا

شعيب بهمن ■ اعتماد (الثقة) ٢٠٠٨/٨/١٩

من بين دول القوقاز، تحظى جورجيا بموقع جيوبوليتيكى متميز بوصفها جسر الاتصال بين موسكو والبحر الأسود، ومن ثم المياه الدافئة فى شتى أنحاء العالم، كما أن وجود جمهوريتى أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية داخل الأراضى الجورجية، جعل من جورجيا الدولة الأهم فى السياسة الخارجية الروسية .

وبالرغم من أن السياسة الخارجية الروسية تجاه جورجيا كانت ثابتة إلى حد كبير فى إطار السعى حول حل الخلافات بالطرق السلمية، إلا أن السياسة الخارجية الجورجية مرت بمراحل عديدة متغيرة، ويمكن القول أن تلك المراحل التى

وجهت السياسة الخارجية لجورجيا، أظهرت مدى تزايد المواقف المناهضة لروسيا بين أوساط الشعب والحكومة الجورجية .

القومية ومناهضة الروسية

يعود أول تعارض بين الدولتين، إلى «الحركة القومية» الجورجية بزعامة زوياد جاما خورديا الذى سعى للحصول على الاستقلال والحرية من سيطرة الروس.

هذه الحركة التى نجحت فى إخراج جورجيا من تحالف الكومنولث، عرفت بأنها أول حركة تتبنى السياسات المناهضة لروسيا فى جورجيا، حيث رأت أن الخلاف الإقليمى فى أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية أيضا أحد أهم النزاعات بين الدولتين.

تدرك روسيا جيدا أن تمركز قوات السلام الروسية بعد المواجهة التى شهدتها المنطقة بداية عقد التسعينيات بين جورجيا وأوسيتيا الجنوبية، كان أحد أسباب النزاع بين جورجيا وروسيا، لهذا نجد أن الحكومة الجورجية اتهمت روسيا مرارا وخاصة بعد الثورة المخملية، بنقل المعدات العسكرية إلى أوسيتيا الجنوبية، مما أدى إلى زيادة التوتر بين الدولتين .

الأزمات الاقتصادية والتوجه غربا

كانت القضايا الاقتصادية المكون الرئيسى لفصل آخر من النزاعات والخلافات بين روسيا وجورجيا، فجورجيا التى واجهت شبح الحرب الداخلية والحركات الانفصالية بعد استقلالها، أنفقت أموال ضخمة من أجل إعادة الاستقرار .

لهذا السبب، فضلا عن الأزمات الاقتصادية وتدهور الأوضاع المعيشية، والبطالة والفساد المالى المتفشى بين كبار المسئولين، كل ذلك أدى إلى اتساع الفجوة بين طبقات المجتمع الجورجى .

من ناحية أخرى من الملاحظ أن المشاعر القومية الجورجية المناهضة لروسيا حملت الاتحاد السوفيتى السابق ومن ثم روسيا، مسئولية المشكلات الاقتصادية والتدهور الناتج عن البنى التحتية الضعيفة الموروثة عن الاتحاد السوفيتى، لهذا تبنت جورجيا سياسة التوجه غربا من أجل التحرر من قيود الأزمات الاقتصادية .

وبالرغم من أن المشكلات الاقتصادية الجورجية كانت نتيجة الانضمام إلى أنظمة اليورو، إلا أن هذا ترك تأثير سلبى على علاقات موسكو وتفليس .

من ناحية أخرى يجب الإشارة إلى خط تصدير النفط بوصفه أحد أسباب التوتر بين موسكو وتفليس، فبينما قامت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا وأذربيجان وجورجيا، بدعم خط أنبوب النفط من ميناء «سوبسا» فى جورجيا، إلى مضيق «البسفور»، ثم إلى أوربا، إلا أن روسيا أيضا طالبت بالمشاركة فى هذه المشروعات، واقترحت أن يعبر الأنبوب أراضيها .

فى تلك الأثناء وفضلا عن ضغوط الولايات المتحدة من أجل التخلى عن مسار إيران وروسيا فى نقل النفط والغاز بشكل كامل، إلا أن جورجيا أيضا أعلنت معارضتها لمسألة عبور أنبوب النفط الأراضى الروسية .

وفى حين ساهم التعارض الإيرانى الروسى مع الغرب فى تحويل جورجيا إلى الدولة الأهم بالنسبة للغرب، يبدو أن خط أنبوب (باكو، تفليس، جيهان)، ساهم أيضا فى خفض نسبة اعتماد الدول المستقلة مشتركة المصالح على روسيا، لهذا يمكن القول أن سياسة التوجه غربا وعدم الاعتماد على روسيا وتحجيم الدور الروسى فى العلاقات الإقليمية، أصبح جزء من استراتيجية السياسة الخارجية الجورجية .

التوجه ناحية أنظمة اليورو - الأطلسى

لم تنتهى مسيرة التحول فى العلاقات بين موسكو وتفليس بالقضايا الاقتصادية والتاريخية، فقد تواصلت تلك المسيرة المتدهورة فى العلاقات، مع اتخاذ سياسات جورجية ترمى إلى الانضمام لأنظمة اليورو- الأطلسى .

ويمكن القول أن طلب العضوية فى الناتو، والانضمام إلى «مشروع الشراكة من أجل للسلام»، عام ١٩٩٥، والاتفاق العسكرى مع واشنطن فى مارس ١٩٩٨، من أجل إعادة بناء الجيش الجورجى، فضلا عن الدخول فى مجلس التعاون الأوربى والتقارب مع أنظمة الأمن والتعاون الأوربية، على رأس المواقف التى أظهرت مدى تصميم جورجيا على التوجه ناحية الغرب .

ويمكن القول أن دخول الخبراء العسكريون الأمريكيون إلى جورجيا نهاية فبراير ٢٠٠٢، لتعقب الوجود والنشاط المحتمل لأعضاء القاعدة فى بانكيسي، وزيادة الصلة بين جورجيا والغرب أكثر من ذى قبل فى هذا المجال، كان دليلا على إشكالية أمنية تواجهها روسيا فى منطقة نفوذها .

٩- الحرب الباردة

كيهان (الدنيا) ٢٠٠٨/٩/٢١

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، شقت بعض الدول المستقلة عنه طريقها الى التحالف والتقارب مع الغرب لاسيا الولايات المتحدة الامريكية وكانت جورجيا واوكرانيا من ابرز الدول التي اقتربت من الغرب وفي كل هذه الفترة بقيت روسيا مكتوفة الايدي ازاء هذه التغييرات الاساسية في محيطها الاقليمي الى ان خلقت جورجيا في الاونة الاخيرة الذريعة اللازمة للتدخل الروسي المباغت، حيث تعرضت جورجيا لهجمة عسكرية قوية من روسيا إثر المجزرة التي ارتكبتها في اوسيتيا الجنوبية.

ان القوى الغربية وعلى رأسها الادارة الامريكية ورغم كل التحفظات والانزعاجات التي ابدتها ازاء روسيا، لكنها لم تتمكن من فعل شيء ملموس لتردع روسيا عن التدخل المباشر والمؤثر في جورجيا. بل راحت القضية تاخذ ابعادا اوسع عندما شنت روسيا حربا كلامية واعلامية من الوزن الثقيل ضد امريكا حيث قال فيتالي چوركين مندوب روسيا في الامم المتحدة منتقداً امريكا: ان الذي يجوز لنفسه استخدام الخيار العسكري ضد العراق وافغانستان ومنطقة البلقان، لا يجوز له ان ينتقد روسيا في حربها ضد جورجيا.

ويضيف چوركين ساخراً من الادارة الامريكية: أريد ان أسأل المندوب الامريكي في الامم المتحدة: هل عثر على اسلحة الدمار الشامل في العراق وافغانستان ام انه لازال يبحث عنها؟!

ان هذه الاجواء المتأزمة بين روسيا وامريكا تركت آثاراً ايجابية على مجمل القضايا الدولية ومنها الملف النووي الايراني حيث اصبحت روسيا من اشد المعارضين للضغط على ايران وشاهدنا في الايام الاخيرة موقفها الصريح في معارضة تشديد العقوبات التجارية والاقتصادية على ايران.

لكن يجب الحذر وعدم التفاؤل كثيرا بهذا التوتر القائم بين روسيا وامريكا، فالقوى الكبرى لا تفكر إلا بمصالحها الخاصة وقد تضحي بالدول الصغيرة عندما يقتضي الامر، فعلينا ان لا نضع كل بيضاتنا في سلة روسيا، رغم الاستفادة من هذه الاجواء المتوترة بين روسيا وامريكا.

١٠- الكرملين فى مواجهة الناتو

سعيد سبحانى ■ رسالت (الرسالة) ٢٠٠٨/٨/٢٤

مع نشوب الحرب فى "أوسيتيا الجنوبية" كادت المواجهة بين الناتو وروسيا تدخل مرحلة حرجة. وفى الوقت نفسه حاول الناتو ألا يدخل فى مواجهة عسكرية مع موسكو لأنه لا يملك القدرة اللازمة للقيام بمثل هذا الأمر. إذ قامت موسكو مؤخراً بتعليق تعاونها العسكرى مع الناتو، فأى رسالة حملها هذه الإجراء على وجه الحقيقة وماذا سوف تعنى هذه الرسالة بالنسبة للغرب؟.

إن ما قامت به روسيا من تعليق لتعاونها مع الناتو يمكن تفسيره وتحليله على أنه بمثابة نقطة البداية لوقوع حرب باردة مرة أخرى بين روسيا والغرب. فالأفعال وردود الفعل التى جرت بين روسيا وحلف الناتو تثبت أن النظام الدولى على استعداد تام لوقوع مثل هذه الحرب الباردة مرة أخرى.

فخلال السنوات الأخرى أقدمت روسيا على اتخاذ مواقف متشددة وانفعالية فى مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية والترويكا الأوروبية. أما الآن فلأول مرة بعد العام ٢٠٠٠ تقدم موسكو على الدخول فى مجال مواجهة عسكرية غير مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو.

ومن ناحية أخرى، فإن إعراب روسيا عن موافقتها ورغبتها فى تمركز نظام دفاعى صارخى فى كوبا، وتنمية علاقاتها العسكرية مع فنزويلا تثبت أن موسكو الآن فى

حالة تمهيد المجال للتدخل فى معادلة الفناء الخلفى الحالى للولايات المتحدة الأمريكية، وهى المسألة التى لن يقبلها أو يستسيغها لا الديمقراطيون ولا الجمهوريون فى أمريكا. ومن ناحية أخرى لا تستطيع واشنطن ولا الاتحاد الأوروبى أن ترد بشكل عسكرى على توجه روسيا فى هذا الشأن. لأنه فى هذه الحالة سوف تقوم حرب عالمية جديدة، وسوف تقوم الأسلحة الروسية بتدمير القوى العسكرية للدول الغربية وحلف الناتو.

فخلال الأسابيع الأخيرة اتخذت روسيا مواقفها تجاه الغرب بشكل أكثر جدية، فقد أعلنت وزارة الخارجية الروسية فى بيان لها أصدرته مؤخراً، أن روسيا سوف ترد على ما أقدمت عليه أمريكا من نشر قاعدتها الصاروخية الدفاعية الثالثة فى أوروبا بالطريقة التى تناسبها، ويقول هذا البيان:

رغم رفض روسيا لنشر الدرع الصاروخى الأمريكى فى أوروبا، ورفض روسيا للأوضاع العسكرية والسياسية فى هذه القارة، فإن أمريكا تقوم بشكل مستمر بالاقتراب بمدى قدرة هذا الدرع على الوصول إلى الحدود والأراضى الروسية. فمحطة الرادار الأمريكية المتمركزة فى دولة التشيك سوف تكون قادرة على وضع كافة أنحاء المنطقة الأوروبية الروسية تحت رقابتها، والصواريخ الإنتاجية بعيدة المدى المتمركزة فى بولندا لا تستهدف أى هدف أخر سوى اعتراض الصواريخ الروسية عابرة القارات. وقد وجه مساعد القائد العام للقوات المسلحة الروسية مؤخراً تحذيراً إلى بولندا بأن روسيا ستستهدف كافة الأهداف العسكرية الموجودة على الأراضى البولندية.

أما رد الفعل الذى أبدته روسيا تجاه الجلسة الأخيرة التى عقدها حلف الناتو بشأن الأوضاع فى جورجيا فهو فى حد ذاته يعد أيضاً رداً جديراً بالتأمل.

وقد أعلنت وزارة الدفاع النرويجية مؤخراً مشيرة إلى العلاقات الدبلوماسية والسياسية بين أوسلو وموسكو، أن روسيا قررت تعليق تعاونها العسكرى مع منظمة حلف شمال الأطلنطى "ناتو" حتى إشعار آخر.

وقد قام دهوب شيفر الأمين العام لحلف شمال الأطلنطى بتوجيه الاتهام لروسيا بعدم رعاية اتفاقية السلام الذى قبلته كل من روسيا وفرنسا والذى كان قد طرحه الرئيس الفرنسى ساركوزى بوصفه رئيس الدورة الحالية للاتحاد الأوروبى، بهدف حل أزمة جورجيا. ومن ناحية أخرى أعلنت القوات البحرية الروسية إلغاء مشاركتها فى المناورات المتوقعة المقرر القيام بها فى إطار التعاون مع قوات الناتو فى بحر البلطيق. ويعنى هذا القرار أن روسيا تمتنع عن استقبال قطعة من الأسطول البحرى الأمريكى فى مياه الشرق الأقصى خلال شهر سبتمبر. ومن جانبها أكدت منظمة حلف شمال الأطلنطى "ناتو" أيضاً مسألة قطع تعاون روسيا مع المنظمة. وكان التعاون العسكرى بين الناتو وروسيا يشمل مجالات الإمداد اللوجستى والتدريبات العسكرية، والمناورات البحرية وتبادل المعلومات والدفاع الجوى الصاروخى.

وعلى ما يبدو إن ما قامت به روسيا من عمليات فى جورجيا والموقف المتشدد الذى اتخذه الحلف إزاء هذه العمليات وقبول بولندا لنشر نظام الدرع الصاروخى الأمريكى على أراضيها كانت من الأسباب المهمة فى قطع هذا التعاون. وقد اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية قرار روسيا بوقف تعاونها العسكرى مع منظمة حلف شمال الأطلنطى قراراً يدعو للأسف. فقد أعلن البيت الأبيض أن أى نوع من التعاون العسكرى بين روسيا والناتو لن يتم إلا بعد حل الأزمة فى جورجيا. وفى نفس الوقت أعلن سيرجى لافروف وزير الخارجية الروسى فى حديث له أن منظمة حلف شمال الأطلنطى "ناتو" تحتاج إلى روسيا وخاصة فى أفغانستان، بنفس القدر الذى تحتاج به روسيا إلى "حلف الناتو". وتأسيساً على هذا التصريح فإن الدول الأعضاء فى حلف الناتو تحتاج بشدة للتعاون الروسى من أجل عملياتها فى أفغانستان. فقد أكد لافروف على أنه إذا كانت الأولوية لدى الناتو تصب فى اتجاه تدعيم ومساندة نظام ساكاشفيلى الفاشل المتداعى، وإذا كان الثمن الذى استعدت الدول أعضاء الناتو لدفعه مقابل هذا الدعم والتأييد هو قطع العلاقات مع روسيا، يكون من الواضح أن الخيار الروسى لن يصب فى اتجاه الإبقاء على الأمر (أى التعاون مع الناتو). وكان الناتو قد أعلن فى نهاية جلسته التى عقدها فى بروكسل أنه لم يعد فى إمكانه الاستمرار فى علاقاته مع روسيا – مثلما كان فى السابق – بسبب تدخلها العسكرى فى جورجيا.

وكانت موسكو قد أشارت كذلك إلى مساعدتها لحلف الناتو فى إطار العمليات التى يقوم بها الحلف فى أفغانستان وخاصة فى قطاع نقل المعدات والتجهيزات العسكرية إلى هذه الدولة التى تقع فى آسيا الوسطى. إذ أنه منذ اللحظة التى بدأت فيها الحرب بين روسيا وجورجيا طالب عدد من الدول الأعضاء فى منظمة حلف شمال الأطلنطى، وعلى رأسهم أمريكا، بإلغاء مشاركة روسيا فى المناورات البحرية المشتركة التى تقوم بها هذه المنظمة العسكرية.

وقد صرح المندوب الأمريكى فى منظمة الأمم بعد جلسة مجلس الأمن حول جورجيا والتى انتهت بلا نتيجة، أن ما يحدث فى منطقة القوقاز يثير تساؤلات عديدة حول هدف روسيا وغرضها من هذه العمليات. كما صرح لهاندرو وولف مساعد السفير الأمريكى فى المنظمة بان أمريكا تعترض على نص مسودة القرار الذى اقترحته روسيا، وقال مؤكداً على ضرورة الحفاظ على سيادة جورجيا على أراضيها والحفاظ

على استقلالها، إنه على الرغم من عدم وجود إشارة إلى سيادة جورجيا على أراضيها، فى الاتفاقية ذات البنود الستة الخاصة بجورجيا، وفى مسودة القرار، إلا أن الاتحاد الأوروبى قد أشار صراحة إلى هذه المسألة. وأضاف وولف: إن هذه البنود الستة تفتقر إلى الشفافية والوضوح، وحتى الآن لم تقم روسيا بتنفيذ هذه البنود الستة.

فى النهاية فإن تصاعد التوتر بين الناتو وروسيا قد وصل إلى حالة مزمنة، وسوف يستمر كذلك فى المستقبل. وما هو مسلم به الآن هو أن الكرملين قد قام بتغيير أساسى ورئيسى فى موقفه تجاه الغرب، ويحاول بورقة جورجيا الرابحة أن يكسب أقصى الامتيازات والمكاسب من معارضيه ومنافسيه الدوليين.

١١- جذور الصراع وآفاقه بين جورجيا وروسيا

بهرام أمير احمديان ■ ايران ٢١/٨/٢٠٠٨

جورجيا التى انخرطت مؤخرا فى صراعات دموية مع روسيا، هى أحد الجمهوريات المنفصلة عن الاتحاد السوفيتى السابق، وتتميز بحضارة وثقافة قديمة إذ أنها تقع فى قلب وغرب القوقاز الجنوبى.

يطل الجزء الغربى من تلك الجمهورية على السواحل الشرقية للبحر الأسود، كما أن حدودها الشمالية تسير بالتوازى مع سلسلة جبال القوقاز الضخمة بما تمثله من أهمية استراتيجية، حيث جمهوريات، داغستان والشيشان وأنجوشيا وأوسيتيا الشمالية وكاباردا- بالكار، وقره جاى- جركس، وتمتد من السواحل الغربية لبحر قزوين حتى سواحله الشرقية.

أكثر مناطق القوقاز توترا هى الشيشان والتى تقع فى هذا الجانب على الحدود الجورجية، بالاضافة إلى «دره بانكيسي»، مركز تجمع الثوار الشيشانيين ممن يحصلون على المساعدات الخارجية عن طريق الجنوب، وهو أحد أسباب العداء بين روسيا وجورجيا.

من ناحية أخرى يمكن القول أن أوسيتيا الجنوبية هى أحد محاور الصراع الأخير بين جورجيا وروسيا، وهى منطقة ذات أغلبية سكانية أوسيتية، وقد سعت أوسيتيا الجنوبية خلال حقبة الاتحاد السوفيتى السابق، لإقامة حكم ذاتى على أساس تركيبتها السكانية فى إطار الجمهورية السوفيتية الاشتراكية الجورجية.

كما يوجد فى جورجيا أيضا منطقتين لديهما حكم ذاتى باسم جمهورية أبخازيا فى شمال غرب جورجيا، وباسم جمهورية آجاريا فى جنوب غرب جورجيا، وكلاهما ذات أغلبية مسلمة ويقعان على ساحل البحر الأسود.

ومع تشكيل وتأسيس « الجبهة الشعبية لأوسيتيا الجنوبية »، عام ١٩٨٨، طالب الأوسيتيون بالانفصال عن جورجيا وإقامة حكم ذاتى، وفى عام ١٩٩٠، ألغت جورجيا الحكم الذاتى بأوسيتيا الجنوبية وأعلنت حالة الطوارئ فى تلك المنطقة.

بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وإعلان استقلال جورجيا، خرجت مناطق الحكم الذاتى الثلاث فى جورجيا، عن سيادة الحكومة المركزية وظهرت بها حركات انفصالية بدرجات متفاوتة، وما عدا جمهورية آجاريا، فإن المنطقتين الأخريين دخلتا فى صراع محتدم ضد الحكومة المركزية الجورجية، مما أدى فى النهاية إلى عجز حكومة تبليس المركزية عن تحمل الخسائر الفادحة ومن ثم فقدت السيطرة على تلك المناطق.

جدير بالذكر أن مئات الآلاف من الجورجيين القاطنين فى أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية، توافدوا على وسط الدولة وسكنوا فى الفنادق والأماكن العامة، وكانوا سببا رئيسيا فى عجز الحكومة الجورجية.

بعد دخول قوات حفظ السلام إلى المنطقتين، أقرت أطراف النزاع بوقف إطلاق النار من خلال اتفاقية وقعت عليها كل من روسيا وجورجيا وأوسيتيا الشمالية، وممثلين عن أوسيتيا الجنوبية، تحت رقابة منظمة الأمن والتعاون فى أوربا، وقد تم استبدال قيادة وزعامة جنود حفظ السلام بعسكريين روس.

لقد هيمنت روسيا منذ حقبة الحرب الباردة على قواعد عسكرية فى جورجيا فى مناطق «آخال تسيخه» فى الجنوب، و«ازياني» فى تفليس بوسط جورجيا، و« جودائوتا» فى جمهورية الحكم الذاتى آبخازيا، وميناء «باتومي» فى جمهورية الحكم الذاتى آجاريا، وذلك من أجل الحفاظ على النفوذ السوفيتى وتحالفها مع أوربا الشرقية فى مواجهة حلف الناتو

وفى مواجهة تركيا الواقعة جنوب جورجيا .
وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى أصبح إخلاء تلك القواعد موضع نقاش بين الحكومة الجورجية والقوى القومية الجورجية، وبين روسيا، لكن خلال حقبة «شيفرنادزه» لم يتم تفعيل هذا التوجه، نظرا لاحتياج الدولة الجورجية للتعامل مع روسيا، وبسبب الاقتصاد الجورجى الضعيف، لذا اضطرت جورجيا إلى تأجير تلك القواعد لروسيا، ومن ثم الحصول على مبالغ نقدية.
بعد مرور عقد على استقلال جورجيا، ضاعفت القوى القومية من ضغوطها على روسيا من أجل إخلاء القواعد العسكرية، كما مورست ضغوط مكثفة من منظمة الأمن والتعاون فى أوربا والناتو والاتحاد الأوربى أيضا من أجل إخلاء تلك القواعد، خاصة وأن انهيار الاتحاد السوفيتى واستقلال جورجيا وحل حلف وارسو، جعل من استمرار العمل بتلك القواعد انتهاك للسيادة الجورجية.
مع تولى ميخائيل ساكاشفيلي الحكم فى أعقاب ثورة ملونة اسفرت عن استقالة «شيفرنادزه» من السلطة عام ٢٠٠٣م، طالبت الحكومة الجورجية بإخلاء ومغادرة القوات العسكرية الروسية لجورجيا على وجه السرعة، فى حين كانت روسيا تهيمن على تلك القواعد وتستأجرها، لكنها فى النهاية ونتيجة ضغوط الناتو والاتحاد الأوربى والولايات المتحدة، بدأت الانسحاب فى عام ٢٠٠٦م، وأصرت على المطالبة بعدم تسليم تلك القواعد، إلى أى دولة ثالثة.
القضية الأخرى، تلخصت فى خلاف الدولتين بشأن تركيبة قوات حفظ السلام المتمركزة فى أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية، حيث كان معظم الجنود والقادة العسكريين من الروس، وقد اتهمت الحكومة الجورجية، روسيا بتقديم الدعم العسكرى والاقتصادى لانفصاليي المناطق الانفصالية عن طريق قوات حفظ السلام الروسية، وطالبت الأوساط الدولية بإنهاء الهيمنة الروسية على جنود وقادة قوات حفظ السلام .
جدير بالذكر أنه مع تولى ساكاشفيلي رئاسة الجمهورية الجورجية، وقد قامت بدعمه قوى غربية كان على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، تزايدت هوة الخلاف بين روسيا وجورجيا، وبالرغم من أن «ساكاشفيلي» نجح بمساعدة الروس فى الإطاحة ب « اصلان آباشيدزه»، رئيس جمهورية أجاريا الانفصالية والذى لم يعلن تبعيته للحكومة المركزية منذ استقلال جورجيا، إلا أن ساكاشفيلي تورط فى وعوده الثورية والانتخابية الرامية إلى الحفاظ على سيادة الأراضى الجورجية وإعـادة أوسيتيا الجنوبية آبخازيا إلى أحضان جورجيا، وبسبب فشله فى تحقيق ذلك، انخرط فى صراعات لفظية ثم دبلوماسية ضد روسيا، حتى أنه اعتقل دبلوماسيين روس واتهمهم بالتجسس لحساب روسيا فى عام ٢٠٠٦م، مما أدى إلى قطع العلاقات بين الدولتين .
فى أعقاب ذلك أغلقت روسيا حدودها مع جورجيا، وأوقفت تدفق الغاز إلى جورجيا واعتقلت مواطنين جورجيين، يعيشون فى روسيا وأخرجتهم من الأراضى الروسية .
وبالنظر إلى زيادة عدد السكان الجورجيين فى روسيا ممن يعملون هناك ويرسلون لأسرهم ما يحصلون عليه من دخل، يبدو أن هذا الإجراء الروسى كان بمثابة ضربة مؤلمة للاقتصاد الجورجى الضعيف .
يجدر الإشارة إلى أن المنتجات الجورجية توافرت لها أسواق جيدة فى روسيا، والتوتر بين الدولتين أفقد الجورجيين ما لديهم من سوق تجارى وسوق للعمل فى روسيا، ونتيجة الضغوط الشعبية الجورجية والروسية من ناحية وضغوط الرأى العام العالمى من ناحية أخرى، اضطر الرئيس الجورجى إلى نقل الدبلوماسيين الروس إلى دولة ثالثة، حيث عادت العلاقات إلى ما كانت عليه فى السابق.
لكن اندلاع ثورة أخرى ملونة بمساعدة جورجيا والغرب فى أوكرانيا، ما عرف باسم الثورة البرتقالية عام ٢٠٠٥، وتكوين جبهة ضد روسيا متمثلة فى أوكرانيا وجورجيا، أثار حفيظة موسكو، التى كانت مهيأة لاتخاذ رد فعل قوى من قبل.
من ناحية أخرى يمكن الإشارة إلى الخلاف بين روسيا والغرب فيما يتعلق بتوسيع حلف الناتو ناحية الحدود الغربية والجنوبية لروسيا، والإعلان عن مطالبة جورجيا بالانضمام إلى الحلف، الأمر الذى ساهم فى زيادة التوتر بين الدولتين، خاصة وأن جورجيا قد أعلنت أنها مستعدة لاستضافة منصات حائط الصواريخ الأمريكى المزمع تشييده فى دول أوربا الشرقية.
لذلك من الضرورى إدراك أن الخلاف بين الدولتين له جذور هى أعمق مما هو معلن، وهى جذور تثير استفسارات وتساؤلات شتى يصعب الإجابة عليها فى الوقت الراهن .

١٢- نهاية الحلم الأمريكى فى الثورة الجورجية المخملية

عطاالله مهاجرانى ■ امروز (اليوم) ٢٠/٨/٢٠٠٨

بعد عودة بوش مؤخرا من الصين، انعقد مجلس الأمن القومى، وفى حديقة البيت الأبيض ذات الزهور الحمراء، أدلى بوش بالبيان الأمريكى الخاص بالحرب بين روسيا وجورجيا، وقد وقف كل من رايس وجيتس وزيرى الخارجية والدفاع عن يمينه ويساره.

دقة البيان الذى أدلى به بوش، بالإضافة إلى خطاب المتحدثة باسم البيت الأبيض دانا برينو، أظهرا بجلاء أن الولايات المتحدة قد حركت اللعبة فى رقعة الشطرنج الروسية الأكثر تعقيدا.

لكن لماذا نعتقد أن الحرب الجورجية كانت على رقعة الشطرنج الروسية ؟ وبأى دليل يمكننا إثبات أن روسيا قد ربحت اللعبة ؟ . . ستجيب المقالة فيما يلى على هاذين السؤالين.

يوم الإثنين التاسع من مايو ٢٠٠٥، يوم لا ينسى ! فقد شهدت صبيحة هذا اليوم، جلوس بوش فى ميدان موسكو الأحمر على مقعد إلى جانب بوتين وبالقرب منهما شوهدت دبابات الجيش الروسى، حيث احتفل الروس بانتصارهم على ألمانيا النازية بعد يوم من احتفالات الأوربيين، حيث تمت دعوة خمسين ضيفا خلال هذا اليوم، كان على رأسهم الرئيس الصينى والفرنسى ورئيس وزراء الهند و... لكن رئيس جمهورية جورجيا لم يحضر.

وفى مساء اليوم الثانى، أجرى بوش زيارة لجورجيا، وعلى عكس ميدان الكرملين، حيث المراسم العسكرية، استقبل بوش فى ميدان الحرية بتبليس، بالرقص والغناء والموسيقى.

لقد انشغل بوش بمشاهدة رقص الشباب والأطفال الجورجيين، وبينما اعتاد النوم كالطيور فى تمام الساعة التاسعة، إلا أنه فى تلك الليلة واصل السهر حتى الساعة العاشرة، فهل أدرك بوش حقيقة الفارق بين مراسم ميدان الكرملين ومراسم ميدان الحرية بتبليس ؟

ربما اعتقد بضرورة عقد مثل مراسم الغناء والرقص تلك فى يوم آخر، فى ميدان الكرملين، لكنه فى النهاية وفى صبيحة يوم الثلاثاء العاشر من مايو، أعرب عن امتنانه للحكومة والشعب الجورجى، واصفا جورجيا بأنها طليعة الثورات الملونة قائلا: «قبل تلك الثورات التى اندلعت فى العراق وأوكرانيا ولبنان، حدثت تلك الثورة المخملية فى جورجيا، بوصفها نموذج الحرية والديمقراطية بالنسبة للعالم والمنطقة، إن طريق الحرية الذى اخترتموه، طريق صعب ولستم وحدكم فى هذا الطريق، لأن الولايات المتحدة تقف إلى جانبكم.»

وفى المؤتمر الصحفى المشترك قال بوش مخاطبا ساكاشفيلى: «لديكم صديق صلب فى الولايات المتحدة الأمريكية».

بينما أجابه ساكاشفيلى بالقول: «أنتم أيضا أنصار زعامة متطلعة وواعدة، كما أن الشعب الجورجى سيظل مدينا للولايات المتحدة إلى الأبد».

لكن بوش الذى لم يدرك جيدا طبيعة الخلافات الجورجية الروسية، قال حينها: «الولايات المتحدة مستعدة لدعمكم فيما يخص قضايا أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا».

بالطبع أيقنت جورجيا، أن الولايات المتحدة الأمريكية ستدعمها فى حل أزمة أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا. لهذا مكن ساكشفيلى، الولايات المتحدة من دولته، وجعل من سلطة إسرائيل إعادة بناء، وإعادة تنظيم الجيش الجورجى.

من هذا المنطلق بدء شراء المعدات العسكرية من إسرائيل وأدخل خبراء إسرائيل العسكريين، إلى الأراضى الجورجية، حتى أن بعض الجورجيين، ممن عاشوا فى إسرائيل لسنوات، وصلوا إلى مناصب وزارية، وكان على رأسهم وزير الدفاع الجورجى « ديفيد تزراشفيلى»، ذو الجنسية الإسرائيلية، والذى أتم دراسته فى إسرائيل، وعندما تم اختياره فى منصب وزير الدفاع فى عام ٢٠٠٦م، أثيرت دهشة الجميع، ومنهم زعيم حزب العمل الجورجى، لأنه كيف يصبح فى منصب وزير الدفاع شخص ليس لديه أى خبرة عسكرية، كما يمكن الاشارة إلى وزير شئون أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، « تيمور ياكاشفيلى» اليهودى، وإن قيل أنه لا يملك الجنسية الإسرائيلية، إلا أن ولائه لإسرائيل ليس بأقل من ولاء وزير الدفاع، خاصة أنه تحدث بعد يوم من العمليات العسكرية فى أوسيتيا الجنوبية مع الإذاعة العبرية للجيش الإسرائيلى باللغة العبرية قائلا: «يجب أن تفتخر إسرائيل بجيشها ونظم التسليح التى تمنحها لجورجيا، بالإضافة إلى إسلوبها فى تدريب العسكريين الجورجيين، خاصة وأن مجموعة صغيرة من الجيش الجورجى، قتلت ٩٠ جندى روسى، ودمرت ٥٠ دبابة، وأسقطت ١١ طائرة روسية».

وفى قطاع القوات الجورجية، لعبت إسرائيل الدور الرئيسى

من خلال الجنرال « جل هرش» الذى اضطر للاستقالة بعد هزيمة الجيش الإسرائيلى فى حرب الـ ٣٣ يوم عام ٢٠٠٦م، حيث اختاره الرئيس الجورجى، لمنصب مستشار أمنى، كما يمكن الإشارة إلى دور «رونى ميلو» محافظ تل أبيب السابق، والذى أصبح مستشار وممثل الصناعات العسكرية الإسرائيلية فى جورجيا.

لقد اعتقد ساكاشفيلى أن اعتماده على تلك الكوادر الإسرائيلية فى حكومته، سيمكنه من الفوز فى رقعة الشطرنج الروسى، ومن حسم الصراع فى أوسيتيا الجنوبية، وذلك من خلال القوات العسكرية، ومن ثم التمهيد للعضوية فى الناتو من منطلق القوة.

ويبدو أن مستشار ساكاشفيلى لم يأخذ فى الاعتبار أن العضوية فى الناتو لها شروط على رأسها، أن أى دولة لديها الرغبة فى العضوية يجب أن تحسم أزماتها الداخلية بالطرق السلمية أولا.

بعد أسبوع من بدء الحرب، أيقنت جورجيا أن كل الوعود الأمريكية والإسرائيلية ذهبت أدراج الرياح وقد انحصر الدعم الأمريكى فى ٧٠ طن من المساعدات الطبية والإنسانية.

جدير بالذكر أن ساكاشفيلى عندما سأله مراسل الـ C.N.N ، ماذا تتوقع من الولايات المتحدة والغرب ؟، أجاب بالقول أتوقع منهم أن يستيقظوا !، كما أن الوزير الذى افتخر بالمعدات والتدريب العسكرى الإسرائيلى قال : « إن القنابل إلى ألقيت على رؤوسنا، ألقيت فى حقيقة الأمر على مثال الديمقراطية !

من ناحية أخرى طرح سرجى لافروف وزير الخارجية الروسى، نقاط هامة فى حديثه الذى أعقب بيان بوش مباشر، عندما قال : « إن معدى أحاديث بوش لا يعلمون الكثير عن جورجيا وقضايا المنطقة، وعلى جورجيا أن تنسى موضوع بسط هيمنتها فى أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، وفى تلك الأثناء على ساكاشفيلى البحث عن عمل آخر !، أو على الأقل لا يعود ثانية إلى حديثه المعتاد قبل السادس من أغسطس، ولقد كانت الحكومة الجورجية مشروع أمريكى خالص وعلى الولايات المتحدة أن تختار بين ما هو حقيقى وما هو خيال .

خدعة هانيونن

كيهان (الدنيا) ١٧/ ٩/ ٢٠٠٨

يعتبر التقرير الصادر عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية بخصوص الأنشطة النووية الإيرانية من صنع اولي هانيونن مساعد محمد البرادعي مدير هذه الوكالة. وكما اكدنا قبل ذلك، فإن زيارات هانيونن الاخيرة الى طهران لم تكن الا بضغط من الادارة الامريكية والجانب الاسرائيلي، والمهمة الصهيوامريكية التي اوكل لها نيونن هي توريط ايران في قضية مفبركة وهي الفيلم والصور التي تدعي الادارة الامريكية بانها صور لتركيب رأس نووي على صاروخ في ايران وصور لتجربة انفجار نووي في الاراضي الايرانية وما شابه ذلك من الصور.

ان هذه الصور بمستوى من السطحية والسذاجة التي يمكن لاي طالب جامعي محترف في الصور الإلكترونية ان يصنع مثلها وانها تفتقد لا بسط معايير المصداقية في الادلة القانونية وانها حسب الكثير من المراقبين ومنهم غارث بورتر الرئيس السابق لجهاز المخابرات الامريكية السي آي ايه لا تعتبر وثيقة ضد ايران في المراجع القانونية.

ورغم ان هذه الصور كانت بمثابة فيلما كارتونيا مختلقا، لكن الجانب الايراني استقبل اولي هانيونن في طهران واثبت له بالادلة القاطعة كذب وعدم مصداقية هذه الصور، لكن هانيونن عاد ليكتب في تقريره الجديد عن عدم تعاون ايران مع الوكالة وان هناك شكوك حول مشروع ايران النووي.

ان هانيونن يطمح بخلافة محمد البرادعي في رئاسة الوكالة ويبدو ان الادارة الامريكية اوكلته مهمة الضغط والتشويه ضد مشروع ايران النووي.

ويجب على المسئولين الايرانيين وضع حد للتعامل الايجابي مع مبعوثي الوكالة وعلى رأسهم اولي هانيونن نائب مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

حقائق هذا التقرير

اعتماد ملي (الثقة الوطنية) ٢٠٠٨/٩/١٦

لم يكن مستبعداً، بعد أزمة جورجيا وتأكيد روسيا على دور إيران المصيري في المنطقة أن تضغط أمريكا على الوكالة الدولية للطاقة الذرية لتصدر الاخيرة تقريراً غامضاً يحمل عبارات مزدوجة حول برنامج إيران النووي بعد ان اقرت الوكالة في مناسبات مختلفة سابقاً بسلمية هذا البرنامج.

إن هذا يدل على المعايير المزدوجة التي تتبناها الولايات المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذرية، فهناك ملفات مطروحة الآن على طاولة الوكالة والامم المتحدة كملفات الهند والبرازيل ومصر وكوريا الجنوبية، لكن هذه الملفات لا يكتنفها اي ضجيج سياسي واعلامي وهناك ارادة امريكية واوروبية لحل هذه الملفات دون اي مواجهة.

والاخطر من كل ذلك هو الملف النووي الإسرائيلي الذي يحتوي على ٢٠٠ رأس نووي عسكري بأمكانه ان يدمر المنطقة عدة مرات، لكن الوكالة الدولية للطاقه الذرية لم تحرك ساكنا ازاء هذا الملف الخطير جدا.

يجب ان لا تظن امريكا بانها تتمكن من ثني ارادة ايران من خلال الضغط على الملف النووي فمادامت الولايات المتحدة تعاني من مأزق وفشل ذريع في حل مشاكلها في العراق وافغانستان وفلسطين ولبنان، لا تتمكن من شن حرب ضد ايران.

وبشيء من التدقيق يمكن القول أنه ليس هناك من جديد في مضمون التقرير، فبنود من التقرير تتحدث عن سلمية الأنشطة النووية في ايران، وبنود أخرى تؤكد على عدم الانحراف في البرنامج وتعاون ايران الايجابي مع الوكالة، فيما بنود أخرى يكتنفها الغموض أو ذات معاني مزدوجة بسبب الاصرار الأمريكي لابقاء الملف مفتوحاً لاستغلاله في المعركة السياسية.

الأمريكيون يحاولون في الفترة المتبقية على حكم المحافظين أن يحققوا خلال ثلاثة أشهر ما لم يحققوه خلال الأعوام الثمانية من حكمهم. ثم ان التطورات الأخيرة في القوقاز وما رافقتها من ذيول على مساحة العالم أدت إلى خسارة الولايات المتحدة لموقعها السياسي وازالة ثقة الحلفاء السابقين والأصدقاء اللاحقين بقدرة أمريكا على تحقيق التوازن دون مراعاة الموقع وقدرة الأطراف الدولية الأخرى.

لم تكن المغامرة الأمريكية التي نفذت عبر اسرائيل في جورجيا وأدت إلى انقلاب في موازين القوى قليلة التكاليف، حيث يقال ان روسيا تمكنت من أسر ضباط وجنرالات إسرائيليين كانوا يديرون المعركة ميدانياً ضد الروس، مما جعل المبررات الأمريكية والصهيونية غير مقبولة والطلاق بين المتنافسين محسوم.

أما أوروبا التي دفعت ثمن المغامرات الأمريكية فانها لم تتمكن من الاستمرار في المسير المجهول، فقررت الانفصال عن السياسة الأمريكية واعادة النظر في مصالحها الأوروبية رغم تمرد بعض الأعضاء المراهنين على أمريكا. ويعتقد بأن العالم سيعيش مرحلة الانتظار حتى نهاية العام الحالي، بحيث ان هناك انتخابات في أميركا يتوقع منها التغيير واعادة رسم تكتلات في أوروبا لتواكب سياسة الهدنة والتعايش مع روسيا الكبرى.

ماوراء الذكرى..؟!

الوفاق ٢٠٠٨/٩/١٣

بعد مضي سبعة اعوام على أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ واللغز لازال يحوم حول هذا الحدث والاهداف والعوامل الحقيقية ورائه والطريقة التي تم بها تنفيذ العملية، بحيث ان الاساليب المتبعة لمعالجة الموضوع اشبه بالذرائع والمبررات قبل ان تكون فاعلة في محاربة الارهاب كما يروجون لذلك.

ان النتائج الكارثية للحروب والغزوات الامريكية تركت آثارا سلبية لدى الرأي العام العالمي وجعلت الامريكيين

في أعين العالم اناسا ينتهكون القوانين ويمارسون القتل والارهاب تحت شعارات كاذبة.

عندما يعلن بوش بان الهدف من احتلال العراق وافغانستان كان نقل الازمة من الولايات المتحدة الى الخارج، فان ذلك يعني ان المصلحة الامريكية كانت وراء عملية ١١ سبتمبر، خاصة وان هناك اصرارا امريكيا للحيلولة دون كشف حقيقة ما جرى والعوامل الخفية من ورائه والاكتفاء بالاعلان عن مسؤولية القاعدة والبحث عنها في العراق. وكأن هناك تناغما بين الخصمين لاكمال السيناريو الامريكي في السيطرة على الاهداف المرسومة.

ان الحدث الذي جاء بعيدا عن توقعات البيت الابيض هو خروج الدب الروسي من القمقم وظهور الخلافات الخفية بين القطبين، مما اعطى لمعارضي واشنطن الفرصة كما نشاهد في دول امريكا اللاتينية والبحر الكاريبي، حيث أعلن هوغو تشافيز الرئيس الفنزويلي بان المواجهة مع سياسة امريكا قد بدأت في عقر دارها، وهناك انزعاج متصاعد بين حلفائها، وهذا ما يوحي بتفكيك السلاسل التي وضعتها امريكا لبناء النظام الدولي الجديد.

ليتهم يعملون بنصيحة العراف كيسنجر

■ حميد حلمي زاده ■ عصر ايران ٢٠٠٨/٩/١٤

على قاعدة الهروب الى الامام تحاول الادارة الأمريكية التخلص من الخيبة التى اصابتها جراء احباط مخططها فى الفتنة التى اثارتها بين موسكو وتبليسي فيما يتصل بالامتيازات التى تتمتع بها جمهورية اوسيتيا الجنوبية من الناحية الجيو استراتيجية والجيو اقتصادية.

وتأتي تصريحات نائب الرئيس الامريكي ديك تشيني الهجومية على موسكو بشأن المواجهة العسكرية الاخيرة بين روسيا وجورجيا، والتى حسمتها الاولى بقسوة بعدما انكشفت لها الدوافع العدوانية الامريكية من ورائها والرامية الى تكريس هيمنة حلف الناتو على المناطق المتاخمة لجمهورية روسيا الاتحادية، اضافة الى توسعه فى بلدان اوروبا الشرقية سابقا.

وكان اعتراف موسكو العاجل باستقلال كل من ابخازيا و اوسيتيا الجنوبية ودعمها مقومات هذا الاستقلال بما يمنع اى التفاف امريكى او اوروبى عليه ، سببا مباشرة لاثارة غضب واشنطن على موسكو، وتلبد الاجواء السياسية فى سماء العلاقات الثنائية للبلدين بغيوم داكنة ومشحونة للغاية ، ويمكن ان تنذر بوقوع خصام قابل للتطور بينهما، فضلا عن انها اعادت اشكال الحرب الباردة التى كانت سائدة بين القوتين العظميين، الى ان انحسرت فى مطلع التسعينات من القرن المنصرم بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق.

وبالعودة الى سبب التصارع الامريكى - الروسى عبر حلبة جورجيا، وهو مظهر عن تنافس هذين القطبين على التحكم بامدادات الغاز كل حسبه مصالحه وخريطة طريقه لعبور خطوط انابيب هذا الوقود الحيوى الى الغرب، يبدو فى الوقت الحاضر على الاقل ان الولايات المتحدة التى حرضت جورجيا على اشعال الازمة فى القوقاز ، قد تحملت اوزارا سلبية جديدة زادت ، من تفاقم ازمتها الداخلية والخارجية فى آن معا.

ولعل هذا ما يفسر محاولة ديك تشيني الى تصدير خسارة امريكا السياسية والعسكرية فى جورجيا بعيدا جدا، عبر تحميل روسيا مسئولية تسليح سوريا وايران وبالتالي حزب الله اللبناني، باسلحة متقدمة جدا، اي بمعنى آخر، تعمد واشنطن الى اعادة تشغيل معزوفتها القديمة الجديدة في ان فرص السلام والحرية فى منطقة الشرق الاوسط باتت معرضة للخطر في ظل توجهات موسكو الثأرية حسب تصوره.

اما موسكو فأن لها وجهة نظر مقبولة اعلن عنها الرئيس الروسى ديميتري ميدفيديف خلال اجتماعه بمستشاريه فى الكرملين مؤخرا، ذكر فيها باجواء الحرب الباردة قائلا ان الغرب يقوم باجراءات استفزازية فى البحر الاسود والمنطقة المحيطة به، متسائلا كيف كان سيكون رد فعل الولايات المتحدة ، لو ان بلاده قامت بارسال قواتها البحرية الى دول الكاريبى التى تضررت من الاعاصير الاخيرة لافتا الى ان روسيا قوة يجب ان يحسب لها حساب فى المستقبل ولاسيما ان العالم، تغير - حسب ميدفيديف- بعد ٨ اغسطس ٢٠٠٨ وهو تاريخ النزاع مع جورجيا.

وفي مقاربة مماثلة ينبغي للولايات المتحدة ان تتعظ منها ، وتراجع حساباتها في كل ما تفعله في مناطق مختلفة من العالم، ولاسيما في منطقتنا الاسلامية والعربية، نستند هنا الى ما قاله عراف السياسة الامريكية وزير الخارجية الأسبق هنري كيسنجر في مذكراته في الفصل السابع من الجزء الاول تحت عنوان «جرح يأبى النسيان» وذلك في معرض اشارته الى الخسائر البشرية الجسيمة التي مني بها الجيش الامريكي خلال حرب فيتنام قائلا: «ذهب اسلافنا الى تلك الارض بنية ورغبة صادقتين ، وهم على اقتناع ان هذه الحرب الاهلية القاسية ، كانت تظهر الجهة المرئية من مخطط تكافؤ عالمي، وقد تبين لهم بعد اربع سنوات من القتال ، انهم كانوا غير قادرين على وضع استراتيجية تعطيهم الغلبة. ويمكننا - يقول كيسنجر - ان نضيف الى ذلك اليوم ، ان الوصول الى النصر مستحيل».

وامام هذه النصيحة لا ندري ما مدى توافر صناع القرار الامريكيين وحلفائهم على حظوظ الفطنة والتدبر حتى يعملوا بما اوصى به هذا المنظر السياسي الذي تحظى افكاره باهتمام كبير في الغرب رغم صهيونيته الشهيرة.

اعترافات وزراء للخارجية الأمريكية

■ اعتماد ملي (الثقة الوطنية) ١٧/ ٩/ ٢٠٠٨

أكد خمسة ووزراء سابقين للخارجية الامريكية بأنهم يحثون على اجراء حوار بناء مع ايران. وشدد هؤلاء الوزراء الخمس الذين عملوا في ظل حكومات جمهورية وديمقراطية سابقة وهم كولن باول ومادلين اولبرايت ووارن كريستوفر وجيمس بيكر وهنري كيسنجر على ان الحوار مع ايران مهم لان الخيارات العسكرية المتاحة لواشنطن في مواجهة ايران لا تبعث على الارتياح، لاسيما ان الادارة الامريكية في السنوات الاخيرة اعتمدت سياسة القوة المطلقة في التعاطي مع ايران، فيما اعتمدت اغلب الدول الاوروبية سياسة التعامل والتعاطي مع ايران.

ان سياسة التهديد واستخدام القوة المطلقة مع ايران متأثرة ومتجذرة من موقف الصهاينة واللوبي اليهودي المتنفذ في الادارة الامريكية.

ويمكن الإشارة الى الازمات والمشاكل التي تعاني منها الادارة الامريكية داخلياً وخارجياً فحكومة جورج بوش وبسبب تبني سياسة القوة المطلقة سجلت رقماً قياسياً في خلق سوء الظن وحالة الاحباط لدى الرأي العام العالمي والرأي العام الامريكي، وقد تركت الازمات الدولية آثاراً بارزة على الاقتصاد الامريكي وسببت في ازمة مالية واقتصادية غير مسبوقة في الولايات المتحدة.

ان اغلب الازمات التي تشهدها منطقة الشرق الاوسط من افغانستان الى العراق ومن لبنان الى فلسطين هي بسبب السياسات الفاشلة والعقيمة التي تبنّتها الادارة الامريكية بقيادة جورج بوش.

ونرجو ان تستمع الادارة الامريكية القادمة الى نصيحة هؤلاء الوزراء الخمس الامريكيين وان تتبنى سياسة الحوار والتعامل البناء مع الجمهورية الاسلامية في ايران.

مكانة فرنسا في المعادلات الدولية

■ اعتماد ملي (الثقة الوطنية) ٩/ ٩/ ٢٠٠٨

يتميز الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي بروح دبلوماسية نشطة وحيوية، حيث يحاول ان يبتعد عن السياسة الامريكية الاحادية من خلال هذه الزيارات المهمة: الى سوريا والى روسيا الدولتان المصنفتان امريكيا ضمن الدول غير المرغوب فيها حاليا.

ان ساركوزي يحاول ان يلعب دور الوسيط بين امريكا وبين الدول المارقة حسب التصنيف الامريكي، وان هذا الدور يمكن فرنسا من تبوّء مكانة مرموقة في المعادلات

الدولية خاصة وان ادارة جورج بوش المتعنتة تقترب من الرحيل.

لكن يبدو ان اسطوانة التهجم على ايران التي يكررها الجانب الاوروبي والفرنسي بالتمديد تأتي للاستهلاك الاعلامي ولاسترضاء الجانب الصهيوني والامريكي المتشدد في هذه القضية وان الموقف الفرنسي الحقيقي يختلف تماما عن هذه اللهجة التكرارية والمملة حول خطر ايران النووي.

ومنذ ان فتحت الابواب امام العلاقات بين سوريا وفرنسا بمناسبة الاجتماع من اجل المتوسط بدأ الترويج حول ابتعاد سوريا عن ايران ومعاداتها للمقاومة. وتصاعدت رقعة الشائعة بعد زيارة الرئيس الفرنسي والحديث عن استمرار المفاوضات غير المباشرة بين سوريا والكيان الصهيوني.

ان الثوابت والقيم ليست سلعة تباع وتشترى كما يصورها البعض. فسوريا منذ ان بنت سياستها على التحدي للمشروع الصهيوني والمواجهة للهيمنة الغربية رسمت لنفسها طريقا لا يجوز العودة عنه. وهي اليوم وبعد تحقيق الجزء الاكبر من استراتيجية التحرر والقرار الحر لم تعد بحاجة الى مناصرة غربية، بل العكس هو الصحيح، فالغرب اليوم يعاني من اخفاقات، كما هو حال الكيان الصهيوني الذي يعيش في ازماته الداخلية والعزلة الدولية وحتى عدم الرغبة لدى اوروبا بدفع ثمن اخطاء هذا الكيان اكثر مما دفعت حتى الآن.

ان زيارة الرئيس الفرنسي الى دمشق تعتبر خطوة ايجابية اذا تمكنت باريس من الخروج من القمقم الامريكي والرعب الصهيوني والتعويض عن اخطائها السابقة، اضافة الى نفض الزي الاستعماري عنها، لأن الازدواجية في التعامل مع قضايا الشعوب لن تولد الثقة. وبهذا فليس بامكان الفرنسيين ان يظهروا بموقع الشريك مع سوريا ويستفيدوا من صفقات اقتصادية مميزة فيما يدعمون الجهات المناوئة ويحتضنون المتمردين والمحاربين لهذا البلد.

ويجب التأكيد على ان العلاقات السورية مع ايران ليست صفقة سياسية حتى ينتهي مفعولها، والوقائع اثبتت اهمية هذه العلاقة وصدقيتها في اشد الأزمات، لأنها نابعة من قناعة راسخة في رفض الهيمنة والاحتلال واغتصاب ارض الغير والاستيلاء على البلدان بالقوة. لذلك فان المشاركة الايرانية - السورية في دعم المقاومة تأتي في سياق نفس الثوابت.

بدون أمريكا لا يمكن أبدا

■ محمد رضا تاجيك ■ امروز (اليوم) ٢٠٠٨/٨/١٣

تتضح أبعاد هوية سياسة إيـران الخارجية اليوم فى الأساس، على ضوء المواقف السلبية والمتناقضة التى تتخذها هذه السياسة، وما تقوم به من ردود فعل فى مواجهة "آخر راديكالى أجنبى" يسمى أمريكا.

بعبارة أخرى، أصبح هذا الآخر اليوم هو المدمر لهذه الهوية، وهو صانعها فى الوقت نفسه. فمن هذه الوجهة، نرى آثار هذا الآخر وتأثيراته واضحة بارزة عند بداية أى منزلق أو طريق مسدود أو طريق مفتوح فى ساحة سياستنا الخارجية (بل وحتى فى سياستنا الداخلية أيضا).

فعندما نتوجه لأى دولة أو بلد كدولة "صديقة"، ونفتح معها باب الحوار والمباحثات والتفاهم، تظهر أمريكا ويكون لها حضور مؤثر، كذلك عندما نحدد أى بلد أو دولة على أنها دولة "عدو"، ونغلق معها باب التفاهم والمباحثات نجد أمريكا أيضاً حاضرة بثقلها. وأينما وحيثما نتحول لنصبح "دولة محورية" فى سياستنا الخارجية، وإذا ما حاولنا أيضاً أن نجعل من أمتنا "أمة محورية" تظهر أمريكا بتأثيراتها أيضاً.

وعندما نخطط لسياستنا الخارجية ونتعاطى مع هذه السياسة من منظور "أيديولوجى"، وعندما نضع التخطيط "العقلانى" على رأس جدول أعمالنا وتخطيطاتنا نجد أمريكا وقد ظهرت بتأثيراتها أيضاً. وكلما نظرنا إلى الجماعات الإيرانية الفاعلة على أنها بمثابة "هدف وغاية" أو نظرنا إليها واستخدمناها "كوسيلة" نجد أمريكا حاضرة كذلك.

نستطيع أن نقول فى عبارة واحدة، أن أمريكا متواجدة وحاضرة ومؤثرة مع كل شهيق وزفير نتنفسه، وفى كل فعل أو رد فعل نقوم به، ومع كل فشل أو إخفاق يصيبنا، وفى كل نجاح أو توفيق نحققه، ومع كل قطع أو وصل أو حل أو عقد نقوم به، وفى كل ذهاب لنا أو إياب، ومع كل ارتفاع وانخفاض، مع كل توحيد أو انفصال، وفى كل عداوة أو تصالح ومصالحة نبديها ونقوم بها، أى أنه فى كل هذه الأمور التى تخصنا ونقوم بها ونتعاطى معها نجد أمريكا متواجدة وحاضرة بشكل مؤثر.

وإذا أردنا أن نحلل هذه الحقائق والوقائع طبقاً لتحليل

"لاكانى"، فإنه يتوجب علينا أن نقول بأن ما يجعل هوية سياسة إيران الخارجية فى أيامنا هذه، ويبقى عليها فارغة من محتواها، وبعيدة عن أى تغيير ممكن فى هذا المحتوى، وفى توجهاتها الإيجابية والسلبية هو تلك العقدة المسماة بـ (أمريكا).

إنها نفس العقدة التى تمسك بكافة خيوط الأفعال وردود الأفعال المشتتة والمتفرقة لتجمعها فى مجموعة خيوط متشابكة لتأخذ معنى خاص، أنها نفس العقدة التى تمنع خيوط هذه الأفعال وردود الأفعال من الحركة والسيولة والتدفق، وتثبتها فى مكانها، وتصيبها بالجمود.

وعن طريق توسعة هذا التشابك والتعقيد واشتداده، تحظى هذه العقدة بالكلية والشمول والتوسع والانتشار، وعن طريق هذا الانتشار والتحرك الحر، تصاب كافة العناصر الأيديولوجية والسياسية بالتوقف والجمود، وتتحول هذه العناصر إلى قطاعات فى شبكة منظمة من المعانى النظرية الجامدة. وعلى هذا المنوال تقوم هذه العقدة بتعميد كافة المفاهيم والمواقف والتوجهات، وتجعلها تسير فى نفس مذهبها وصوب نفس أهدافها. وعن طريق هذا التعميد تتشكل هذه المفاهيم والمواقف والتوجهات فى شكل نظرية بنوع ما، وعلى ضوء هذه النظرية وتحت ظلها يحدث أن:

١-تصور كافة الموضوعات والعناصر النظرية والتوجهات العملية المتنافرة وغير المتجانسة، على أنها عناصر وتوجهات متجانسة متناسقة.

٢-ويوصف كل "سوء تدبير وسوء رأى" على أنه "حسن تدبير وحسن رأى".

٣-ويصور كل "صوت معارض" على أنه "صوت معادى".

٤-وتحمل كل "هزيمة أو فشل" على أن "الانتصار" بعينه.

٥-وتعد كل "مصيبة وبلاء"، "رحمة ولطف".

٦-ويوصف كل "تهديد" على أنه "الفرصة" بعينها.

٧-وفى النهاية يتم إضفاء لون من القدسية والقداسة على أى رأى أو عمل، بكل ما فى هذا الرأى أو العمل من انغلاق على الذات وأحادية النظرة.

وترتيباً على هـذا، وعن طريق هذا التشابك وهذا التعقيد وهذا التعميد، يحدث أن تتشكل سلسلة من القيم والمعانى المتماسكة (Chain of equiralence)، فيما بين الموضوعات والقضايا النظرية والعملية المتباينة والمشتتة والمتوزعة والمتفرقة، فى مواجهة "الآخر" الذى يمثل "تهديداً كبيراً".

هذه السلسلة المتماسكة فى قيمها تحظى فى النهاية على أى نوع من التوزع والتشتت والتعارض فى المفاهيم والسلوك وأساليب التعاطى، وتمنحها نوعاً من النظام والتقعيد أى

تحولها فى النهاية إلى قاعدة لازمة وملزمة.

بعبارة أخرى، تفقد العناصر والموضوعات النظرية والعملية المتنوعة والمتعددة والمتباينة والمتفاوتة فى هذه السلسلة خصائها المختلفة المتباينة المتفاوتة، وتفقد كذلك معنى التنافس فيما بينها، وتتحلل وتتناسخ فى جو ومناخ معنوى يخلق النظرية السائدة المسيطرة الحاكمة المتحكمة.

هذه السلسلة المتحدة فى قيمها وتوجهاتها النظرية والعملية تدين بوجودها وثمرة هذا الوجود - كما قلنا من قبل - لهذا (الآخر الراديكالى). إذ أنه على ضوء هذا (الآخر الراديكالى) يتم تناسى أو نسيان تلك الاختلافات والفوارق الأيديولوجية والسياسية بيننا وبين كافة الدول التى تعتبر هذا (الآخر) هو (آخر) بالنسبة لها أيضاً، بحيث يتشكل بسبب نسيان تلك الاختلافات والفوارق، نوع من (التكتل التاريخى) - كما يقول جرامشى-.

وعلى ضوء هذا الآخر أو هذا الشيطان الأعظم، يتم توجيه المداراة والمداهنة والتسليم لشياطين أخرى صغيرة وكبيرة.

وعن طريق تصوير كاريكاتورى ساخر يضخم صورة هذا (الآخر أو التهديد الأجنبى) يتم توجيه وإصدار وتفسير وتحليل كثير من القرارات والإجراءات والسياسات الصائبة / الخاطئة، الخيرة / غير الخيرة، الطيبة / الشريرة، التى يتخذها ويقوم بها أصحاب النفوذ وأولو الأمر داخل البلاد وخارجها، وهذا فى حد ذاته يعنى استمرار التردى فى منزلق استحالة تكون هذه الهوية وتشكيلها.

إضافة إلى ما سبق، علينا أن نعلم كذلك أن منطق توحيد القيم، هو نفسه منطق التبسيط والتساهل والاستسهال فى التعاطى مع الجو والمناخ السياسى، فهذا المنطق - منطق توحيد القيم - يحاول التقليل من الفوارق بين مختلف القوى الاجتماعية ومختلف القوى السياسية، وذلك عن طريق تفصيل توحد وتوحيد فيما بين القيم التى تعمل من خلالها كافة هذه القوى المتفرقة المتباينة والمتعارضة أحيانا، ويظهرها على أنها قوى منسجمة متناسقة فيما بينها فى مواجهة هذا (الآخر).

أن النظريات تتشكل فى الأساس من خلال تعارضها وتقاطعها مع الآخر - أو مع بعضها البعض-.

يحلل "لاكلاو" هذا النوع من علاقة التعارض والتقاطع، ويسميها بمسميات ومفاهيم مثل الضدية والتضاد والغيرية، ويقول: إن هذه المفاهيم تشير إلى علاقة الهوية بظاهرة ما أو بشئ ما خارج عنها، هذه الظاهرة هى التى تؤدى الدور الأساسى فى تشكيل الهوية وتعيينها وتحديد أطرها. ويستخدم "لاكلاو" تعبير أو مفهوم - المنتج للخارج - أو المشكل للخارج - Constitutive out side - لتوضيح خصائص الضدية والغيرية، ويؤكد مثل "دريدا" على ضرورة

وجود الغير أو الخصم أو العدو أو الآخر لتشكيل الهوية وتثبيت معانيها وتحديد أطرها. فمن ناحية، يمنع هذا الآخر أو الغير تشكل النظرية بشكل نهائي وكامل، ويمنعها من الثبات والاستقرار، ويعرضها دوما للسقوط والانهيار، ومن ناحية أخرى، يؤدى هذا الآخر أو الغير دوراً أساسياً فى تشكيلها.

وترتيباً على هذا فإن الضدية أو الغيرية تعمل فى اتجاهين، فهى من جهة، تمنع تحديد النظريات والهويات وتثبيتها، ومن جهة أخرى، تعمل كعامل مساعد على خلق الهوية وبنائها، وعلى وجود انسجام وتناغم فى النظرية. إذ أن أى نظرية من النظريات إنما تتشكل فى ظل الآخر أو الغير، وتتحول وتتطور تحت تأثير هذا الآخر أو الغير، وأحياناً ما تنحو نحو الزوال والأفول والتلاشى تحت هذا التأثير.

إن هذه الرؤية، هى نفس الرؤية التى تمهد لإمكانية تحليل وتفسير هذا الوجه أو هذه الصورة المزدوجة لسياستنا الخارجية فيما يتعلق بالتعاطى مع أمريكا والعلاقة معها.

ونتيجة لاستخدام نفس هذه العقدة أو (الآخر الراديكالى) تحديداً، تنتشر اليوم فى لغة سياستنا الخارجية صيحات وعبارات مثل "الموت لأمريكا" وأيضاً "تعيش أمريكا"، وكذلك "مع أمريكا، لا يمكن أبداً!" وأيضاً "بدون أمريكا، لا يمكن أبداً" (وبالقطع تتعالى الأصوات بالشق الأول من هذه العبارات، بينما تخفت إلى حد الخفاء فى شقها الثانى).

بعبارة أخرى، فإن سياستنا الخارجية اليوم تسحبها أمريكا للخلف بإحدى يديها بينما تقوم بدفعها للأمام باليد الأخرى، تسحبها للخلف لأن سياستنا هذه قد عرفت هويتها على أنها (ابتعاد وانفصال) عن أمريكا، وتدفعها أمريكا للأمام لأن بقاء هذه الهوية واستمرارها مرهون بتواجد وحضور دائم ومستمر من جانب هذا الآخر.

هذا الوجه المزدوج المتناقض فى سياستنا الخارجية يمكن توضيحه وتحليله وتفسيره فى إطار تطبيق التناقض والنفى للذات - الهيجلى / تشسترونى - وطبقاً لهذه الرؤية، يمكن القول بأن إيران فى صراعها - الأنتاجونيستى - هذا مع أمريكا، تضحى تحديداً بنفس الشئ الذى قامت بثورتها للدفاع عنه، وتعنى به هويتها الثورية والدينية. بعبارة أخرى فإن إيران التى دخلت فى صراع مع أمريكا دفاعاً عن هويتها وسيادتها، سوف تصل فى النهاية إلى الوضع الذى تعرض معه هويتها وسيادتها هذه لتحديات مختلفة، لتكون قادرة على مجرد الاستمرار فى حربها وصراعها مع أمريكا.

وأنا لا أعلم ما الذى سوف يحدث عندما يأتى اليوم الذى تلملم فيه أمريكا نفسها وتخرج من الساحة النظرية لأصحاب القرار وأولى الأمر والتدبير فى بلدنا فى أيامنا هذه، لكنى أعلم يقيناً أنه بدون إعادة خلق وإعادة إنتاج لـ (أمريكا أخرى)، فإن سياستنا الخارجية سوف تواجه نوع من الأزمة، أزمة الهوية، أزمة المقبولية، أزمة المشروعية، أزمة الخبرة.

لأن إيران لمجرد استمرارها فى مواجهة آخر كبير مثل أمريكا يكون لديها القدرة على إعادة إنتاج هويتها الأسطورية (الثورية - الأيديولوجية).

ولكن - وكما قلنا - فإن هذا (الآخر الأكبر) هو صانع للهوية بنفس القدر الذى هو مدمر لها. ومن هذا المنطق وعلى أساس المنطق الديالكتيكى - الذى وضع أسسه سفرول - فإنه لكى نكون فى مأمن من تدمير هذا الآخر لهويتنا، علينا أن نلجأ لأحضانه (تماماً مثل طفل يلجأ إلى حضن أمه عند خوفه منها).

بتعبير آخر، فإن سيرة هذا الآخر الأكبر وصورته المحببة المنفرة قد وضعت النفور والكراهية إلى جانب المحبة والحميمية، وضعت النار إلى جانب الماء، مما أجبر مسئولينا اليوم على أن يقوموا بسحبه إلى الخلف بيد، بينما يقوموا باليد الأخرى بدفعه إلى الأمام، وبينما يوجهون إليه أشد الشتائم والسباب، يقومون فى نفس الوقت باستخدام لين القول فى وصف بلاده على أنها بلاد أكثر الشعوب مدنية وحضارة، يتحدثون عن العلاقة معها على أنها "مستحيلة" وفى نفس الوقت "ممكنة" أيضاً.

فى إيران اليوم، أصبح الكلام والحديث عن الازدواجية والتناقض الاستحالة / الإمكان، ملوثاً بالأغراض الدنيئة والأمراض السياسية - الحزبية، وتلبست الأهداف والأغراض بالرغبة الشديدة فى البقاء فى السلطة والاستمرار فى النفوذ.

بتعبير أكثر بساطة، فإنه كلما اقتربنا من الانتخابات الرئاسية العاشرة، فإنه خاصية هذا (الآخر الأكبر) فى كونه "صانع للهوية"، يضاف إليها خاصية كونه "صانع للقوة والسلطة".

لذلك ومع هذه الأوضاع والظروف، فإن الذهنية الميكافيلية والرغبة فى البقاء فى السلطة تجبر أصحاب النظرية السياسية المسيطرة الحاكمة المتحكمة فى مجتمعنا، وتجبر منفذيها على التعاطى مع أمريكا والتعامل معها فى الخفاء بشكل يتناقض مع ما يقولونه فى العلن.

وفى النهاية، ومن أجل البقاء فى السلطة، أصبح لزاماً على هؤلاء أن يسمعوا بتعالى أصوات المعارضين للعلاقة مع أمريكا، وتوجب عليهم فى نفس الوقت أن يتركوا العنان بقدر ما للموافقين على هذه العلاقة.

ونحمد الله أن ساحة الإرشاد والتوجيه والتشريع واسعة ومجاله رحب فى هذه المسيرة سواء اتخذت هذه المسيرة طريق المسجد أو سارت فى طريقها إلى الحانة.

وترتيباً على هذا، فكل ما يحدث الآن هو طيب وخير ويرضى الخالق والخلق.

بردة البوصيرى بين العربية والفارسية

أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهـــر

تهتم الآداب الإسلامية قاطبة بمدح الرسول «صلعم» وذلك فيما يسمى بالمدائح النبوية، ويعتبر الحديث عن الرسول ودعوته والنظم فيها من الأمور المحببة إلى نفس كل شاعر مسلم أيا كانت لغته وموطنه . وإذا ألقينا نظرة على الأدب العربى وجدنا كثيرا من المدائح النبوية والمنظومات التى نظمت فى مدح الرسول وآله، ومن ذلك بردة البوصيرى (م ٦٩٧ هـ) الشهيرة التى تقع فى حوالى ١٦١ بيتاً .

ولا يخلو كتاب أو منظومة فى الأدب الفارسى كذلك من مقدمات تتناول الإبتهال إلى الله وشكره على نعمه ومدح الرسول (صلعم) كما هو الحال فى منظومة «مخزن الأسرار» لنظامى الگنجوى (توفى حوالى ٦٠٤ هـ) ومنظومة «منطق الطير» لفريد الدين العطار (توفى ٦٢٧ هـ) و «بوستان» سعدى الشيرازى (توفى حوالى ٦٩١ هـ) ويوسف وزليخا لعبد الرحمن الجامى (توفى ٨٩٨ هـ) وغيرهم .

أما الأدب التركى فنجد فيه منظومات تسمى بالمولد ؛ وهى تتناول أيضا ظهور النبى ومعجزاته ومعراجه وهجرته، وكل ما يتعلق بالدعوة المحمدية، ومن أشهر هذه المنظومات منظومة «مولد سليمان چلبى» التى نالت من الشهرة وذيوع الصيت ما جعلها تفوق منظومات المولد الأخرى فى اللغة التركية .

ويذخر الأدب الأردى أيضا بمنظومات فى مدح الرسول، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر منظومة «السلامية فى مدح خير البرية» لمولانا محمد أحمد رضا خان، وهى وإن كانت صغيرة الحجم، حيث يصل عدد أبياتها إلى ١٧١ بيتا تقريبا، إلا أنها تؤكد على حب المسلمين لرسولهم الكريم وعاطفتهم الجياشة نحـوه، وناظمها يكرر فى كل بيت من أبياتها عبارة «عليه الصلاة والسلام».

وسوف نحاول التركيز فى هذا البحث على قصيدة البردة للبوصيرى التى تعد أهم قصيدة بين قصائد المدائح النبوية، ومصدر الوحى لكثير من القصائد التى نظمت بعد البوصيرى فى مدح الرسول. يرجع نسبه إلى بوصير إحدى قرى مصر، أما البوصيرى فهو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صفهاج، ولد فى دلاص ببنى سويف عام ٦٠٨ هـ وتوفى بالإسكندرية عام ٦٩٧ هـ وله قبر مشهور فى الإسكندرية يتصل بمسجد كبير تدرس به العلوم الدينية. والبوصيرى شاعر مصرى ظريف من شعراء القرن السابع الهجرى تجرى فى شعره النكت المستملحة، وله فى شكوى حاله والتذمر من الموظفين قصائد لا تخلو من ذكاء، وفى شعره وصف للحالة الإجتماعية فى عصره .

وقد حدثنا البوصيرى عن سبب وضعه للبردة عندما أصيب بشلل أبطل نصفه ففكرفى نظم هذه القصيدة طلبا للشفاء من الله، وأخذ يكرر إنشادها ويدعو الله، ثم نام فرأى النبى «صلعم» فى النوم، فمسح وجهه بيديه المباركة، وألقى عليـه بردة، وعندما إستيقظ من نومه قام وخرج من بيته، ولقيه أحد الفقراء وطلب منه هذه القصيدة رغم أنه لم يكن قد أخبر بها أحدا حتى ذلك الوقت . ولعل تلك الرواية هى التى جعلت كثيرا من الخرافات تنسب لهذه القصيدة بعد ذلك، حيث ذكر بعض الشراح أن لكل بيت من أبياتها فائدة.

تقع البردة فى مائة وواحد وستين بيتا، وتعد من القصائد

الطوال وهى قصيدة ميمية فى البحر البسيط، ومطلعها :
أمن تذكر جيرانٍ بذى سَلَمٍ مزجتَ دمعا جرى من مُقلة بدَم

ومن أهم عناصرها النسيب فى صدرها، ويليه التحذير من هوى النفس، ثم مدح النبى، والكلام عن مولده ومعجزاته، ثم القرآن والإسراء والمعراج والجهاد، ثم التوسل والمناجاة . وفى هذا الجزء الأخير ظهرت نفحات التصوف ظهورا قويا وهو التوسل بالرسول حيث يقول الشاعر :

يا أكرم الخلق مالى مَن ألوذ به سواك عند حلول الحادث العَمَم

وقد أثرت البردة فى جماهير الناس فى مختلف الأقطار الإسلامية، فلم تحفظ قصيدة مطولة كما حفظت البردة، فقد كانت ولا تزال من الأوراد، تقرأ فى الصباح والمساء، وقد تعددت طبعاتها منذ طبعت فى فيينا والأستانة ومكة وبومباى، وطبعت فى القاهرة نحو خمسين مرة، ويوجد فى دار الكتب المصرية نسخ من البردة حليت كتابتها بالذهب . كما وضع لها العديد من الشروح، فقد شرحها إبن الصائغ المتوفى سنة ٧٧٦ هـ، وشرحها على بن محمد القلصاى المتوفى سنة ٨٩١ هـ، وشرحها شهاب الدين ابن العماد المتوفى سنة ٨٠٨ هـ، وشرحها الشيخ خالد الأزهرى المتوفى سنة ٩٠٥ هـ، وملا على المتوفى سنة ١٠١٤ هـ، وشيخ زاده محيى الدين، وجلال الدين المحلى المتوفى سنة ٨٦٤ هـ ومحمد بن أحمد المرزوقى المتوفى سنة ٨٨١ هـ، وغيرهم .

وأما أثر البردة فى الشعر والشعراء فعظيم جدا، فقد ضمنوها، وشطروها وخمسوها وسبعوها، وعشروها، وعارضوها، والذين عارضوا البردة يعدون بالعشرات، ومنهم والد مؤلف كتاب الكشكول، ويمكن القول بأن جميع المدائح النبوية التى قيلت بعد البوصيرى على نفس الوزن والقافية كان أصحابها متأثرين بالروح البوصيرية، ومن أشهر من عارض هذه القصيدة الشاعر محمود سامى البارودى الذى سمى قصيدته «كشف الغمة فى مدح سيد الأمة» ويصل عدد أبياتها إلى ٤٤٧ بيتا ومطلعها :

يارائد البرق يمم دارةَ العلم واحْدُ الغمامَ إلى حَىٍّ بذى سَلَم

وكذلك الشاعر أحمد شوقى الذى أطلق على قصيدَته إسم «نهج البردة» وقد نظمها سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩م) ومطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

ويبدو أن الصوفية هم أكثر من إستفادوا من هذه القصيدة، حيث أنهم إستحبوا قراءة البيت الواحد والخمسين منها فى تحية الرسول وهو :

فمبلغ العلم فيه أنه بَشَرٌ وأنه خير خلق الله كُلِّهم

ومدحه فى المناسبات المختلفة، وكان بعضهم يقرؤها كل ليلة على أمل رؤية الرسول كما حدث للبوصيرى، ووضعوا لذلك قواعد وآدابا خاصة .

وفى إيران راجت هذه القصيدة كذلك، ويذكر البعض هناك أن قراءة هذه القصيدة نافعة فى كل أمر إذا روعيت الشروط الضرورية لقراءتها، وهى سبعة شروط تبدأ بالوضوء وتنتهى بقراءة الصلاة على النبى على طريقة البوصيرى فى البيت الواحد والخمسين من القصيدة . وفى كردستان إيران، ما زالت تقام حتى يومنا هذا مجالس للذكر من هذا النوع بمناسبة المولد النبوى الشريف .

وقد ذكر حاجى خليفه فى كتابه كشف الظنون ٤٦ شرحاً للبردة إثنان منها بالفارسية وثلاثة بالتركية، كما أشار المستشرق باسيه BASSET إلى تسعين شرحاً باللغات العربية والفارسية والتركية، وذكر المستشرق بروكلمان ٧٢ شرحا بلغات شرقية مختلفة .

وأول ترجمة أوروبية للقصيدة هى التى قام بها "اورى" URI الذى نشر فى عام ١٧٦١ م نص القصيدة وترجمة لاتينية لها فى ليدن . ونشرت ترجمة بالألمانية وشرح قام به روزن سفايج ROSEN ZWEIG فى عام ١٨٢٤ م بفيينا، وكذلك ترجمة "رُلفس" ROLFS عام ١٨٦٠ م فى فيينا، وترجمة دوساسى S.DESACY بالفرنسية عام ١٨٢٢ م، وترجمة رد هاوس REDHOUSE الإنجليزية فى جلاسكو عام ١٨٨١ م، وترجمة جابريلى بالإيطالية عام ١٩٠١م فى فلورنسا .

ومن الترجمات الفارسية توجد ترجمات شعرية غالبا فى الفهارس المعروفة، ومنها ترجمة أبى القاسم جنيد بن بهرام الشيرازى فى القرن الثامن الهجرى، وترجمة محيى الدين محمد فى عام ٧٧٩ هـ، وشرح شرف الدين على اليزدى، وترجمة محمد حافظ شرف أو محمد شريف فى القرن التاسع الهجرى، وتبدأ بالبيت التالى :

اى زياد صحبت يارانت اندر ذى سلم
اشك چشم آميخته باخون روان گشته به هم

كما أنه توجد شروح كثيرة بالفارسية لهذه القصيدة منها شرح لمحمد أفضل بن روزبهان المعروف بإسم خواجه مولانا اصفهان فى القرن العاشر الهجرى، وشرح غضنفر بن جعفر الحسينى فى القرن الثالث عشر الهجرى، وغير ذلك .

وقد قام أحمد منزوى بعمل فهرست جامع للتخميسات والترجمات والشروح الفارسية لهذه القصيدة، وهو يشتمل على النسخ التى أشرنا إليها بالإضافة إلى ثمانية تخميسات وإحدى عشرة ترجمة منظومة وخمسة وعشرين شرحا .

ومن الشروح والترجمات التى طبعت بالفارسية ونشرت نذكر :

شرح قصيدة البردة من القرن التاسع الهجرى بسعى على محدث، طهران ١٣٦١ش (١٩٨٢م)، وشرح قصيدة البردة لـ "حسن عليخان" طبعة حجر - الهند ١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥م، شرح وترجمة قصيدة البردة لـ "أحمد شيخ الإسلام المريوانى" فى عام ١٣٣٤ ش (١٩٥٤م)، الشرح والترجمة المنظومة لمحمد شريفا باهتمام وسعى حسن سعيد وهى باسم "جلوگاه رسالت وامامت" المطبوعة فى الكرج، وترجمة وشرح القصيدة لمحمد شيخ الإسلام وهى بعنوان "قصيدة مباركه برده" وطبعت فى طهران عام ١٣٦١ش (١٩٥٤م)، وكذلك ترجمة أحمد حوارى نسب التى نشرت فى "سنندج" عام ١٣٦٨ ش (١٩٨٩م) مع شرح للمفردات الصعبة . وهناك شرح لهذه القصيدة بعنوان "خلاصة المناقب" لمولى على بن حسن زواره اى، وقد نشر هذا الشرح فى منشورات مجمع الذخائر الإسلامية فى عام ١٣٨٣ ش (٢٠٠٤م) بسعى واهتمام سيد حميد مهرى خوانسارى، والشارح من علماء القرن العاشر الهجرى . ويبدأ شارح القصيدة كتابه أولاً بذكر معانى بعض ألفاظ القصيدة، ثم يشرح معنى الأبيات بالفارسية بلغة سهلة بسيطة .

وهناك ترجمات وشروح كثيرة بلغات غير الفارسية والتركية والأردية، مثل الإنجليزية والألمانية والفرنسية والسلافية والبوسنية .

وسوف نركز الحديث هنا على كتاب "قصيده مباركه بُرده" المعروفة بإسم "الكواكب الدرية فى مدح خير البرية" للإمام شرف الدين أبى عبد الله محمد البوصيرى، وهى ترجمة وشرح وتفسير للقصيدة قام به الحاج سيد محمد شيخ الإسلام الأستاذ بجامعة طهران. وقد نشرت هذه الترجمة فى طهران عام ١٣٦١ش (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢م)، وهى تضم ١٦١ بيتاً.

يذكر المترجم فى مقدمته على الترجمة بعد مديحه للنبى (صلعم) وعترته وأصحابه والتابعين، أن حبه للنبى وملازمته للصالحين دفعه إلى ترجمة هذه القصيدة التى لا نظير لها، والتى يشتم من نسيجها رائحة البركة، إلى اللغة الفارسية، عل ذلك يكون شفيعاً له يوم الدين . ثم يشير فى هذه المقدمة إلى أن المسلمين جميعاً مكلفين بالإيمان بكمالات المصطفى ومعجزاته التى لا تعد ولا تحصى، وأنه لم تجتمع فى نبى غيره كل هذه الصفات الحميدة، ولابد للمسلم أن يوضح هذه الفضائل ويكشف عنها، سواء عن طريق إقامة المحافل والمجالس فى عيد مولـده، أو إلقاء المحاضرات حول معجزاته وحقيقة الدين الإسلامى، وإنشاد القصائد فى مدحه .

كما أشار المترجم أيضا فى مقدمته إلى مرض البوصيرى وعجز الأطباء عن علاجه، ونظمه لهذه القصيدة، وأنه بعد أن وصل إلى آخر بيت فى القصيدة غرق فى النوم ورأى فى رؤياه النبى (صلعم) يقف فوق رأسه، فإنتهز البوصيرى الفرصة وقرأ القصيدة التى نظمها فى حضرة الرسول وأحس برضائه عنها وعندما وصل إلى البيت الذى يقول فى مصراعه الأول : "فمبلغ العلم فيه أنه بشر" ونسى المصراع الذى يليه ذكر له الرسول الكريم المصراع الثانى وهو : "وأنه خير خلق الله كلهم"، ومسح بيده الشريفة على أعضائه التى أصابها الشلل، وألقى عليه ببردة يمانية، فقفز من نومه وكأنه لم يكن مريضا من قبل . ولهذا يطلق على هذه القصيدة "البرئية" لأنها تسببت فى برء البوصيرى وشفائه . وقد ذكر كل الشراح أن البوصيرى إلتقى فى اليوم التالى بقطب العارفين الشيخ أبى الرجاء وهو أحد عظماء المشايخ المعاصرين له، وقد طلب منه القصيدة لكى يستنسخها، فسأله البوصيرى : أى قصيدة تقصد ؟ فإن لى قصائد كثيرة منها الهمزية والمضرية وغيرهما، فقال له الشيخ تلك القصيدة التى مطلعها "أمن تذكر جيران بذى سلم" فدهش البوصيرى وقال له : إن أحدا لا يعلم عنها شيئاً سوى الله والرسول وأنا . فقال الشيخ عندما كنت تقرأ هذه القصيدة بالليل كنت أنا فى خدمة الرسول ولم تنتبه أنت إلى ذلك، فاضطر البوصيرى إلى تقديم القصيدة إلى الشيخ، وقد أدت هذه الرواية إلى شهرة القصيدة .

أشار المترجم أيضا إلى الشروط السبعة التى ألمحنا إليها، والتى يجب مراعاتها عند قراءة القصيدة والتبرك بها وهى : ١- التوضأ ٢- التوجه إلى القبلة ٣ - الدقة فى قراءة ألفاظها وإعرابها ٤- فهم القارئ لمعانيها، لأن الأدعية إذا لم تكن مفهومة من قائلها فإنها تكون بلا أثر ٥- قراءتها بطريقة منتظمة ٦- يجب قراءتها عن ظهر قلب ٧- يجب على قارئها قراءة الصلوات الخاصة التى ذكرها البوصيرى بعد كل بيت .

وقد جاء فى مقدمة المترجم أيضاً أن شهرة هذه القصيدة قد عمت الآفاق وكانت تُقرأ فى المنازل والمدارس والمساجد ، ويتبرك بها بعد القرآن الكريم، ويطلبون الشفاء للمرضى بقراءتها . ومنذ أن نظمت هذه القصيدة تعددت الشروح عليها بلغات مختلفة، وذكر المترجم أنها تصل إلى سبعين شرحا بالعربية والفارسية والتركية والأردية، ومن بين الشروح الفارسية يوجد شرح مشهور وتوجد منه نسخ خطية متعددة وهو شرح شرف الدين على اليزدى . كما قام البعض بتخميسها ومن هؤلاء البسطامى المتوفى عام ٩٦٠

هـ ومطلعها :

يا من له ناظر بالليل لم ينم   وجسمه من فراق الحب فى سقم
ما لى أرى الدمع من عينيك ينسجم   أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وتخميس سيد عليخان مدنى ومطلعه :

ياساهر الليل يرعى النجم فى الظلم   وناحل الجسم من وجد ومن ألم
ما بال جفنك يذرف الدمع كالغيم   أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وهناك تخميس لمحمد رضا ابن الشيخ احمد النحوى يقول فيه :

ما لى أراك حليف الوجد والألم   أودى بجسمك ما أودى من السقم
ذا مدمع بالدم المنهل منسجم   امن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وأشار المترجم فى نهاية مقدمته أنه ذكر قصيدة البردة التى يصل عدد أبياتها إلى١٦١ بيتا فى عشرة فصول ؛ الفصل الأول فى الغزل (١٢ بيتا)، والفصل الثانى فى ذكر النفس ومنعها من الهوى (١٦ بيتا)، الفصل الثالث فى مدح النبى الأكرم (٣٠ بيتا)، الفصل الرابع فى بيان مولد النبى (١٣ بيتا)، الفصل الخامس فى ذكر معجزات النبى (١٦ بيتا)، الفصل السادس فى شرف القرآن الكريم (١٧ بيتا)، الفصل السابع فى شرح معراج النبى (١٣ بيتا)، الفصل الثامن فى غزوات النبى (٢٢ بيتا)، الفصل التاسع فى التوسل بالرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام (١٢ بيتا)، الفصل العاشر فى المناجاة والتضرع على أعتاب قاضى الحاجات (١٠ أبيات) .

وقد إحتسب فى بعض النسخ البيت التالى، فأصبحت تضم ١٦٢ بيتا، إلا أن هذا البيت يدخل فى عداد الملحقات :

ثم الرضا عن أبى بكر وعن عمر   وعن على وعن عثمان ذى الكرم

يبدأ بعد ذلك المترجم فى شرح قصيدة البردة المباركة، ويشرح البيت الأول من القصيدة بقوله : إعلم أن الناظم رحمه الله قد إستخدم كعادة الشعراء قاعدة التجريد البديعى ؛ بمعنى أنه فصل عن ذاته ونفسه شخصا آخر وبدأ يخاطبه ويوضح سبب إختلاط دمعه بالدم ويسأله لماذا مزجت الدمع بالدم، هل هذا بسبب تذكر جيران فى المكان المسمى بذى مسلم أو غير ذلك ؟ ويذكر فى هامش الصفحات الأولى من ترجمته، ترجمة بعض المترجين لهذا البيت، فيذكر ترجمة يوسف دشتى بياضى حيث يقول :

زياد كردن ياران ذى سلم پيداست   كه آب ديده بياميختى به خون جنون

ويذكر ترجمة أخرى له لمحمد أفضل ابن روز بهان المشهور بـ "خواجه مولاناى اصفهانى" الذى ترجم القصيدة فى عام ٩٣١ هـ حيث يقول فى معنى البيت الأول بالفارسية :

اى زياد صحبت همسايگان   اشك چشم آميختى باخون روان

كما ذكر ترجمة أخرى لنفس هذا البيت لمحمد حافظ شرف يقول فيها :

اى زياد صحبت يارانت اندر ذى سلم
اشك چشم آميختى باخون روان گشته بهم

ولكنه يرى أن هذه الترجمات غير مناسبة ولا تطابق البيت، والأنسب هذه الترجمة التى يذكرها، وهى قوله :

آيا زياد كردن ياران ذى سلم
آميختى تو اشك زديده روان به دم

وهكذا يشير المترجم عند ترجمته لكل بيت من أبيات القصيدة إلى ترجمة من سبقوه من المترجين ثم يذكر ترجمته هو شارحا فى الحواشى معنى بعض الألفاظ العربية ومفسرا إياها بالفارسية .

ويذكر المترجم (ص ١٧) أن أول ترجمة شعرية للبردة هى التى نظمها محيى الدين محمد عام ٧٧٩ هـ أى بعد حوالى ثمانين عاما من وفاة البوصيرى، وهى تتقدم على ترجمة محمد حافظ التى ترجع إلى عام ٨١٠ هـ بواحد وثلاثين عاما، وتوجد نسخة من هذه الترجمة فى مكتبة العتبة المقدسة الرضوية "كتابخانه آستان قدس رضوى" وهى مكتوبة فى ٢٧ رمضان عام ٩٠٥ هـ ويصل عدد أبيات القصيدة العربية فيها إلى ١٦٢ بيتا، وقد كتبت بالخط النسخ كما كتبت الأشعار الفارسية بالخط النستعليق وناسخها هو ميرجان العراقى .

والمترجم لا يكتفى بالترجمة المنظومة فقط بل هو يشرح لنا أولاً بالنثر معنى كل بيت بشكل مفصل، ثم يلى ذلك الترجمة المنظومة للبيت .

والمترجم لا يكتفى بالترجمة المنظومة أو التفسير المنثور فقط، بل هو يعلل ويحلل بعض المعانى التى وردت فى قصيدة البردة ؛ فمثلا عندما يصل إلى البيت الثامن والعشرين من القصيدة وهو الذى يقول فيه الشاعر :

ولا تزودتُ قبل الموت نافلةً   ولم أصلِّ سوى فرضٍ ولم أَصُمِ

ويترجمه على النحو التالى :

قبل از وفات توشه نكردم زنافله   وز روزه ونماز بجز فرض ناورم

فهو يشرح البيت نثرا بعد ترجمته شعرا، ثم يحلل ما جاء فى هذا البيت ويقول إنه يجب معرفة أن عدم قيام شخص مثل الإمام البوصيرى بأداء المستحبات من صلاة وصيام وغيره أمر مستبعد ويحتاج إلى تأويل . وأنا أرى أن تأويل ذلك هو أن الإمام كان فى عنفوان شبابه مادحا للسلاطين والأمراء المعاصرين له كما أشار فى بداية مناجاته، وفى ذلك الوقت لم يكن يؤدى النوافل، ولم يكن يهتم بها، إلا أنه عاد بعد ذلك وأخذ يؤدى النوافل لأنها ستكفر عنه سيئاته وذنوبه . وقد

ذكر ذلك فى البيت رقم ١٢٠ فى المناجاة عندما قال :

خدمته بمديح أستقيل به   ذنوب عمر مضى فى الشعر والخِدَم

وكذلك عندما أخذ يترجم ويشرح البيت رقم ٣١ الذى يقول فيه الشاعر :

راودته الجبال الشُمُ من ذَهَب   عن نفسه فأراها أيَّما شَمَمِ

وقد ترجم البيت نظما بقوله :

خود راچو عرضه كرد بركوههاى زر

بنمود همتى كه از او پست شد همم

والشارح هنا يفسر هذا البيت بأن الجبال طلبت من المصطفى (صلعم) أن تتحول إلى ذهب من أجله، وتكون تحت أمره، إلا أنه لم يقبل، ويرى أن كلمة "راودته" إنما هى إشارة إلى الآية الكريمة : "وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه"، وهى الخاصة بمراودة زليخا لسيدنا يوسف . وقد ذكر بعض الشارحين للقصيدة أن جبال مكة قد تجلت على شكل الذهب وعرضت نفسها على الرسول الأكرم إلا أنه قال لجبريل : الدنيا دار من لا دار له يجمعها من لا عقل له . ويرى البعض أن جبريل قال للرسول إذا أردت أحول جبال مكة ذهبا لك وأضعها تحت تصرفك، إلا أنه أظهر إستغناءً غير عادى .

وفى ترجمته للبيت رقم ٦١ الذى يقول فيه الشاعر :

وبات ايوان كسرى وهو منصدع   كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم

يقول المترجم :

بشكافت طاق كسرى وتاروز حشر ماند

چون حال لشكرش بجهان غير منتظم

ويقف الشارح عند هذا البيت، ويذكر أن إيوان كسرى قد تهدم فى يوم ميلاد الرسول الأكرم وتفرقت جيوشه، والمقصود بكسرى هو انو شيروان . ويرى بعض الشارحين أن المقصود بكسرى الثانى هو يزدگرد الملك الساسانى الذى أرسل رستم فرخزاد مع مائتى ألف جندى من خراسان إلى العراق لقتال العرب، إلا أن جيوش المسلمين بقيادة سعد بن ابى وقاص أنزلت هزيمة ساحقة بالإيرانيين وفرقت شملهم . ويشرح المترجم كلمة كسرى فيقول إنها معرب خسرو وهو إسم جنس لملوك العجم وجمعها أكاسرة، كما أن قيصر إسم جنس لملوك الروم، والنجاشى إسم جنس لملوك الحبشة، والخاقان إسم جنس لملوك الترك، وفرعون لملوك مصر وتبع لملوك اليمن . ويذكر أيضا أن كلمة "شمل" التى وردت فى البيت السابق من الأضداد أى أنها تأتى بمعنى الجمع وبمعنى التفرقة، وقد إستخدمت فى البيت المذكور بالمعنى الثانى .

والمترجم لا يكتفى بهذا بل هو يشير أحيانا إلى الفنون البديعية التى يستخدمها الشاعر فى قصيدته، مثلما أشار إلى فن مراعاة النظير والطباق فى البيت التالى رقم ١١٢ من القصيدة حيث يقول الشاعر :

خَفَضْتَ كل مقام بالإضافة إذ   نوديت بالرفع مثل المفرد العَلَم

وفى البيت رقم ١٢٩ و ١٣٠ اللذين يقول فيهما :

المصدرى البيض حُمرا بعدما وردت   من العدى كل مسود من اللمم

والكاتبين بسُمر الخط ما تركت   أقلامهم حرف جسم غير منعجم

يقول المترجم إن الناظم استخدم فى البيت الأول الألوان الأبيض والأحمر والأسود وإستخدم هنا فن مراعات النظر، وذكر فى البيت الثانى مسائل لابد من توضيحها، فالمقصود بالكاتب هنا الرسام والخطاط، والمقصود بالسمر رأس الحربة أو سن الرمح، والمقصود بالخط مدينة فى البحرين ينسب إليها خشب الحراب القوية، أما الأقلام وهى جمع قلم فالمقصود بها السهام والأقواس والحراب والرماح، وكلمة حرف تعنى أيضا الجمل النحيف الجسم، وغير معجم المقصود بها الحروف غير المنقوطة، ويقصد بها هنا أن حراب المسلمين تصيب أجساد أعداء الدين الذين يشبهون الجمال النحيلة بطعنات مؤثرة .

ويرى المترجم أن هذه القصيدة على درجة عالية من الفصاحة والبلاغة، وقليلاً ما نصادف فيها بيتا يخلو من الفنون البديعية . وقد ختم المترجم ترجمته بأنه طلب التوفيق من المولى عز وجل حتى ينجح فى ترجمة وشرح بردة البوصيرى، ويتمنى أن تنال القبول لدى حضرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام ويستفيد منها الإخوة المؤمنون .

كما يقدم المترجم أيضا بعض المعلومات التى تفيد القارئ لترجمة البردة إلى الفارسية، فيعدد مثلا الغزوات التى شارك الرسول الأكرم فيها عند شرحه وترجمته للبيت رقم ١١٩ :

ما زال يلقاهم فى كل معترك   حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

وترجمته :

چندان فكند شان بمعارك كه گوئيا   بر نيزه ها چو پاره لحمند بر وضم

ويشرح كلمة خميس فى البيت رقم ١٢٣

يجر بحر خميس فوق سابحة   يرمى بموج من الأبطال ملتطم

فيقول إن الشارحين إختلفوا فى معناها، ويرى البعض أن خميس تطلق على الجيش الجسور والمقصود بها فى هذا البيت جيش المسلمين، لأنهم كانوا قديما يقسمون الجيش إلى خمسة أقسام : ميمنة وميسرة وساقه وقلب .

أما من ناحية الترجمة المنظومة لهذه القصيدة، فقد نجح المترجم نجاحا كبيرا فى ترجمة معانى الأبيات نظما بالفارسية، وهو عمل ليس بالسهل اليسير . وقد إستخدم أحيانا نفس الألفاظ العربية المستخدمة فى القصيدة، وربما ساعده ذلك

على نظم المعنى بطريقة أسهل، فمثلاً عندما يترجم البيت رقم ١١٦ :

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا — من العناية ركنا غير منهدم

ويترجمه بقوله :

شادى قرين معشر اسلاميان كه هست — ركن عنايتى كه بود غير منهدم

فقد إستخدم معظم الكلمات العربية الموجودة في البيت مثل : معشر الإسلام، العناية، ركن، غير منهدم . بينما ترجم نفس هذا البيت الجامى فقال :

مژده بادا اى مسلمانان كه بيشك نزد ما

از عنايت هست ركنى كان بود دور از هدم

وإستخدامه للألفاظ العربية بكثرة فى الترجمة لا تعيب ترجمته بأى حال من الأحوال، فإن من يقومون بترجمة النصوص العربية وخاصة الدينية منها، إنما يتأثرون باللغة العربية عند الترجمة، وهذا ما نلاحظه فى ترجمة كتب التفاسير العربية التى نقلت إلى الفارسية، حيث وجدنا أن نسبة إستخدام الألفاظ العربية نسبة عالية جدا، بخلاف النصوص الأخرى .

المراجـــــع

- المدائح النبوية فى الأدب العربى - زكى مبارك - مؤسسة الشعب - القاهـرة .
- دائرة المعارف بزرگ اسلامى - جلد يازدهم - تهران ١٣٨١ ش .

لغت نامه - دهخدا .

- تاريخ التراث العربى - المجلد الثانى - الجزء الثانى - فؤاد سزگين - ترجمة د. محمود فهمى حجازى - الرياض ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م .
- بردة البوصيرى - قراءة أدبية وفولكورية - د. محمد رجب النجار - حولية كلية الآداب - جامعة الكويت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- قصيده مباركه برده - ترجمة وشرح وتفسير حاج سيد محمد شيخ الإسلام - تهران ١٣٦١ ش .

الزاوية الاجتماعية

قراءة فى صلاة الجمعة فى إيران بعد مرور ما يقرب من ثلاثين عاماً على إقامتها

أ. د. يحيى داود عباس
أستاذ ورئيس قسم اللغة الفارسية - جامعة الأزهر

مما لا شك فيه أن إحياء شعيرة صلاة الجمعة بصفة رسمية بعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران فى ١١/٢/١٩٧٩، وإعلان الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى ١/٤/١٩٧٩م، كان من الأحداث الملفتة للنظر التى حظيت باهتمام زائد فى تلك الآزنة، لهذا كان من الضرورى طرح هذه المسألة على بساط البحث لمعرفة المغزى الحقيقى لإعادة هذه الشعيرة فى ظل أول حكومة إسلامية فى إيران، وللوقوف على الدور الذى لعبته - ومازالت تلعبه - صلاة الجمعة فى نجاح هذه الثورة واستمرارها.

وكانت صلاة الجمعة تقام فى بعض المساجد الإيرانية، والبعض الآخر لم تكن تقام فيه هذه الصلاة التى كانت فرضاً واجباً لدى شيعة إيران فى حياة الأئمة الاثنى عشر. إلى أن غياب الإمام الثانى عشر فى عام ٢٦٠هـ فأفتى بعض فقهاء الشيعة بعدم وجوب صلاة الجمعة فى زمان غيبته، ومال الفقه فى إيران إلى الخيار بين صلاة الجمعة أو صلاة الظهر. وكان بعض الفقهاء يفتون بالجمع بين صلاة الظهر وصلاة الجمعة، ويسمونه احتياطاً مستحباً، وظل هذا الاحتياط عند البعض بعد الثورة.

وترجع أهمية اتخاذ قرار إعادة إقامة هذه الصلاة الإسبوعية إلى أن صلاة الجمعة فى إيران كانت متروكة منذ فترة طويلة. فمنذ غيبة محمد المهدى - الإمام الثانى عشر - رأى بعض فقهاء الشيعة الإيرانيين أن صلاة الجمعة واجب تخييرى. كما أفتى البعض بانها ساقطة وليست واجبة طالما أن الإمام غائب. وأخذ البعض بالتخيير، وأخذ البعض الآخر بعدم الوجوب. إلى أن قامت الثورة الإسلامية، وتمكن علماء الدين فى إيران وعلى رأسهم الخمينى (توفى فى الرابع من شهر يونيو عام ١٩٨٩م) من التوصل إلى صيغة اجتهادية جديدة ترى أنه من الممكن أن يكون للإمام الغائب نواب من الفقهاء العدول، ويكون من حق هؤلاء النواب القيام بجميع الأعمال التى كان الإمام الثانى عشر يقوم بها، وذلك حتى يظهر الإمام.

وقام الإمام الخمينى - بوصفة نائباً للإمام الغائب - بتعيين أول إمام للجمعة فى طهران بعد قيام الثورة. كما أنه أصدر أوامره بتعيين أئمة للجمعة فى المدن والقرى الإيرانية، وبتشكيل أمانة عامة تشرف على مراسم صلاة الجمعة، وتحدد الموضوعات التى يجب على أئمة الجمعة فى جميع أنحاء إيران أن يطرقوها، والتى يجب أن تشتمل عليها خطبهم.

ولصلاة الجمعة فى جمهورية إيران الإسلامية مراسم وقواعد، وتقوم الأمانة العامة لأئمة الجمعة بوضع برنامج هذه المراسم فى كل المدن الإيرانية، ويتوجه المصلون فى التاسعة والنصف من صباح يوم الجمعة إلى المسجد الجامع فى المدينة للإنصات إلى المحاضرات التى تلقى قبل خطب صلاة الجمعة.

وإلقاء هذه المحاضرات يتم طبقاً للبرنامج الذى كانت قد وضعته الأمانة، وتختار الأمانة كل أسبوع محاضراً من فقهاء مجلس الرقباء على الدستور (شوراى نكهبان)، أو من أعضاء مجلس الشورى الإسلامى (مجلس شوراى إسلامى)، أو مجلس الخبراء (مجلس خبركان)، أو من فقهاء مجلس خبراء القيادة (مجلس خبر كان رهبرى)، أو أحد مدرسى الحوزة العلمية بقم، أو من ممثلى الإمام فى اللجان المختلفة، أو من الوزراء المسئولين، وذلك حتى يلقى محاضرة فى أحد الموضوعات المهمة والحيوية من وجهة نظر النظام الجديد.

وأهم الموضوعات التى تبحث فى هذه المحاضرات هى:

المناسبات الدينية والمذهبية والسياسية، والمسائل الدينية وسيرة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وأئمة الشيعة، والقضايا المعاصرة فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية.

وفى نهاية المحاضرة، تبدأ شعائر صلاة الجمعة. ويجب أن يكون خطيب الجمعة واقفاً أثناء الخطبة، ويجب أن يجلس قليلاً بين الخطبتين، ثم يلقى خطبة ثالثة باللغة العربية. وتدور الخطبة العربية - فى العادة - حول أحداث منطقة الخليج والدول العربية وافسلامية. وبعد الفراغ من الخطب الثلاث، يصلى الناس ركعتين خلف الإمام، وتنتهى شعائر صلاة الجمعة ثم يتفرق المصلون.

مكانة إمام الجمعة فى إيران بعد الثورة الإسلامية:

أقيمت أول صلاة جمعة رسمية بعد قيام الثورة الإسلامية بأمر من الإمام الخمينى وإمامة آية الله الطالقانى فى فناء جامعة طهران، وكان ذلك فى الأسبوع الأول من شهر رمضان المبارك عام ١٣٩٩هـ. ق الموافق ٢٧/ ٧/ ١٩٧٩م، وكان سبب اختيار الإمام الخمينى لآية الله الطالقانى لكى يؤم أول صلاة تعبدية سياسية للمرة الأولى فى إيران أنه كان من علماء الدين البارزين، وكان له تاريخ نضالى طويل ومعروف. لكنه توفى فى (١٠/ ٩/ ١٩٧٩م) بعد أن أم المصلين وخطب الجمعة ست مرات فقط. وعين الخمينى آية الله منتظرى خلفاً له فى منصب إمام الجمعة الرسمى فى طهران، ثم عين آية الله خامنئى بدلاً منه، ولا يزال آيه الله خامنئى - المرشد الأعلى - إمام الجمعة الرسمى فى طهران ويساعده أئمة مؤقتون.

وكانت إقامة أول صلاة جمعة فى إيران بعد قيام الثورة الإسلامية حدثاً مهماً فى ذلك الوقت، ودليلنا على ذلك أن عناوين الصحف الإيرانية التى صدرت قبل يوم الجمعة كانت على هذا النحو: آية الله الطالقانى يؤم صلاة الجمعة فى جامعة طهران.

ولأئمة الجمعة فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية منزلة عالية ومكانة بارزة، وذلك بسبب الدور المهم والموجه الذى لعبوه فى المجتمع الإيرانى فى السنوات الأولى للثورة، فقد أصبحوا قناة من قنوات الاتصال التى لجأ إليها النظام الإيرانى الجديد، لتوصيل مفاهيم السياسة الجديدة للدولة إلى أفراد الشعب، ولتهيئة أذهان المواطنين للثورة الإسلامية الوليدة ولنظام الحكم فى الإسلام، ولحشد الجماهير للوقوف خلف هذه الثورة ومساندتها، ولشرح مسألة (ولاية الفقيه) التى تعد القاعدة الرئيسية لدستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية. هذا فضلاً عن تناول الموضوعات الفقهية المعتادة وقضايا الساعة فى المجتمع الإيرانى.

وبمرور الأيام وتعاقب السنوات زاد حجم الدور الذى يلعبه إمام الجمعة فى الإبقاء على الثورة الإسلامية وعلى النظام الجديد فى إيران، فالخطب الثلاث والموضوعات التى تشتمل عليها لا تسمح للفتور بأن يتسلل إلى نفوس المواطنين، فيقل حماسهم للثورة وللنظام.

ولقد أدرك زعماء الثورة الإسلامية أهمية دور خطباء الجمعة منذ البداية، فاهتموا بهم وأسدوا إليهم النصح كلما سنحت الفرصة بذلك.

أهمية صلاة الجمعة ودورها من وجهة نظر الإيرانيين بعد قيام الدورة الإسلامية:

أصبحت لصلاة الجمعة أهمية خاصة بعد الثورة الإسلامية فى إيران، كما أصبحت هذه الصلاة ضمن السياسة الرئيسية للدولة، وتم تطوير وتطويع شعائرها لتصبح صلاة تعبدية سياسية، ولكى تخدم أغراض النظام الجديد، واستحدثت لها أسماء جديدة، مثل: الجهاد الإسبوعى - الصلاة السياسية - الصلاة التعبدية السياسية - صلاة الجمعة القوية المحطمة للعدو.

وأصبحوا ينظرون إلى صلاة الجمعة على أنها صف جهاد إلى جانب العبادة، بل أنهم يعدونها تأييداً ومساندة للإسلام فى مواجهة الكفر. ولهذا لعبت خطب صلاة الجمعة دوراً بارزاً فى دعم جبهات القتال فى سنوات الحرب الإيرانية العراقية (١٩٨٠ - ١٩٨٨م).

ونظراً لأهمية صلاة الجمعة، ولعظم الدور المنوط بها اختاروا إماماً دائماً وأربعة أئمة مؤقتين لكى يؤموا صلاة الجمعة التى تقام فى مسجد جامعة طهران بالتناوب، ويتناول خطباء الجمعة فى خطبهم قضايا الساعة وسياسة الدول، بالإضافة إلى الاجتهادات الفقهية والإرشادات الدينية.

وصلاة الجمعة تعد - من وجهة نظر الإيرانيين بعد قيام الثورة الإسلامية - نموذجاً مصغراً وواقعياً وحياً من الثورة الإسلامية، ومكسباً من مكاسب هذه الثورة كما أنهم يعدونها تظاهرة سياسية عظيمة تقام كل أسبوع فى جميع المدن والقرى الإيرانية، ولها فوائد ورموز وقواعد وآداب اجتماعية عديدة.

أما عن الدور الذى تلعبه صلاة الجمعة فيمكن ملاحظته من خلال ما يكتبه الإيرانيون أنفسهم، فهم يرون أن صلاة الجمعة - بكل مراسمها - حلقة لقاء إسبوعى بين القائد وأفراد شعبه، ودرس إسبوعى يعطيه الجيل الذى عاصر الثورة إلى الأجيال اللاحقة، وأن تعاقب رؤساء السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية على إمامة صلاة الجمعة فى طهران، أوجد تقارباً روحياً فى المفاهيم السياسية بين المصلين والمسئولين فى الدولة، وأن هذه الصلاة الأسبوعية أتاحت الفرصة الكاملة للحاكم الإسلامى لكى يصل إلى

أفراد الشعب وطبقاته، لكى يعظهم وينصحهم ويتحدث إليهم عن مشكلات المسلمين محلياً ودولياً، وأن هذه الصلاة - على الرغم من أنها من الأمور التعبدية - إلا أنها تعد مجالا من مجالات الإعلام التى تربط القيادة بالقاعدة الشعبية، وأن العدد الكبير الذى يشارك فى صلاة الجمعة يوضح القاعدة الشعبية للنظام الجديد، وأن المشاركة المستمرة فى هذه الصلاة يقوى الأواصر الاجتماعية بين أفراد الأمة الإيرانية.

وبعد أن أدرك زعماء الثورة الإسلامية الدور المهم الذى يمكن أن تلعبه صلاة الجمعة وخطبها المستمرة فى الإبقاء على الثورة الإسلامية فى إيران، وبالتالى على النظام الجديد، طلب مركز إقامة صلاة الجمعة من علماء الدين البارزين فى إيران أن يصنفوا الكتب وأن يتناولوا فيها فرضية صلاة الجمعة وأهميتها وآدابها.

ومظاهر الاهتمام بشعائر صلاة الجمعة فى إيران بعد قيام الثورة الإسلامية كثيرة، منها: قيام العلاقات العامة التابعة لمركز إقامة صلاة الجمعة بنشر إعلان فى مكان بارز بالجرائد اليومية التى تصدر فى طهران العاصمة، وذلك يوم الأربعاء ويوم الخميس من كل أسبوع، تشير فيه إلى اسم المحاضر ومنصبه والموضوع الذى سيتحدث فيه وموعد بداية المراسم ونهايتها.

ومن هذه المظاهر أيضاً: إذاعة خطب صلاة الجمعة الرئيسية التى أقيمت فى العاصمة طهران فى وسائل الإعلام المرئية منها والمسموعة فى نفس اليوم، وإدراج ملخص لهذه الخطب فى النشرات الإخبارية، ونشر هذه الخطب فى الصحف والمجلات فى اليوم التالى أو الأيام التالية. كما ينشر ملخص لخطب صلاة الجمعة التى أقيمت فى سائر المدن الإيرانية فى الجرائد اليومية - بعامة - وجريدة: جمهورى إسلامى) - بخاصة - وإن كانت خطب طهران تحظى باهتمام أكثر.

ومنها أيضاً: تخصيص أمانة عامة لتنظيم مسألة خطب الجمعة، وتحديد موضوعاتها فى جميع المحافظات، ولعقد المؤتمرات الدولية لأئمة الجمعة فى العالم أجمع، وقد عقدت هذه الأمانة أول مؤتمر لها فى طهران فى عام ١٩٨٢م. كما أعلن الإمام الخمينى يوم القدس فى (٢٠ رمضان عام ١٣٩٩ هـ. ق)، وجعله يوما عالميا، واختار له آخر جمعة فى شهر رمضان من كل عام. وبعد أن اتضح أن صلاة الجمعة كانت ظهيراً للثورة، نستطيع أن نقول: لقد كان المغزى من إعادة هذه الصلاة، وإحياء هذه الشعيرة بعد اندلاع الثورة الإسلامية فى إيران هو إثبات أن الشعب الإيرانى يقف بصفة مستمرة على أهبة الاستعداد فى ساحة الثورة، وأنه يساند النظام الجديد ويبايعه بمشاركته الفعالة وهتافاته كل أسبوع، بل أن هذه المشاركة تعد بمثابة الرد القاطع والمفحم على أعداء الثورة سواء فى الداخل أو الخارج.

وكان من أهداف زعماء الثورة تجميع الجماهير وحشدها للوقوف خلف الثورة الإسلامية، لكى يبرهنوا على أن الشعب يلتف حول قائده ويستمع إليه ويؤازره، وأن النظام الجديد يرتكز على قاعدة شعبية راسخة، وهذا له دلالاته السياسية المهمة.

وإلى جانب هذه الأهـداف، لا يمكن إغفال أهداف أخرى، مثل: إذكاء الروح الثورية بين الجماهير التى تشارك فى هذه الصلاة الأسبوعية وتستمع إلى خطب إمام الجمعة، وإلى المحاضرات التى تلقى في الفترة الصباحية، ومثل: هدف تصدير الثورة الإسلامية خارج الحدود الإيرانية، وقد أشار أئمة الجمعة في خطبهم إلى هذا الهدف غير مرة، ومثل: ترهيب الأعداء، وبث روح الأمل في نفوس الأصدقاء، فهم يؤمنون بأن الكثرة العددية وصفوف المصلين المرصوصة القوية والهتافات المدوية تخيف الأعداء وتطمئن الأصدقاء.

والآن وبعد مرور ما يقرب من ثلاثة عقود على إقامة أول صلاة جمعة رسمية في إيران بعد الثورة الإسلامية. وبعد أن انتهت مرحلة الفوران الثورى، وانتقلت إيران من مرحلة الثورة إلى مرحلة الدولة، هل فتر حماس المواطنين وقلت نسبة مشاركتهم في هذه الصلاة التى يعدونها في إيران مولوداً من مواليد نظام الجمهورية الإسلامية. والتى تحافظ إقامتها على مكاسب هذه الثورة. والتى تعد أكثر المنابر تأثيراً في المواطنين. حيث تجيب على أسئلتهم الدينية والسياسية؟

الحقيقة أن من يقرأ الصحف الإيرانية، ويتصفح شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) يكتشف أن البعض في إيران يوجه انتقادات إلى كيفية إقامة صلاة الجمعة في إيران في الوقت الحالى، ويتقدم في الوقت نفسه بمقترحات يمكن أن تفيد في مجال إقامة صلاة الجمعة بالشكل المطلوب والمأمول.

ويتعجب البعض عن عدم الانتهاء من بناء مسجد جامع في العاصمة طهران لإقامة صلاة الجمعة الرسمية فيه، كما يتعجبون من أن العولمة بدأت العمل في هذا المسجد منذ سنوات عديدة، لكن نظام التدفئة والتبريد لم يتم بعد، ويذكرون أن صلاة الجمعة الرسمية أقيمت في فناء جامعة طهران بشكل مؤقت، ولازالت تقام في المكان نفسه حتى الآن، وأنه ربما تكون طهران هى العاصمة الإسلامية الوحيدة في العالم الإسلامى التى لا تقام صلاة جمعتها الرسمية في مكان تتوفر فيه مواصفات المسجد الجامع المتعارف عليها.

لذا يطالب البعض بتطوير وتحديث مراسم صلاة الجمعة، وحل المشكلات. وإزالة العقبات التى تحول دون

إقامة هذه المراسم بالشكل المنشود، والتى تتسبب في عزوف البعض عن المشاركة في هذه المراسم. ويقود هؤلاء وهؤلاء مقترحات تتلخص في:

١- تشييد مسجد جامع فخم مشرف، تراعى فيه أحدث فنون العمارة الإسلامية، وتتوافر فيه السجاجيد، ونظام التدفئة والتبريد (التكييف الساخن والبارد)، والإضاءة الجيدة، والشروط الصحية، وشروط السلامة، وساحة انتظار سيارات، وحافلات، وحديقة، ومكان مناسب لرعاية الأطفال أثناء مشاركة أمهاتهم في مراسم الصلاة التى قد تستمر ساعتين أو ثلاث ساعات، ونظام صوتى وسماعات جيدة. ذلك أن تشييد مسجد جامع تتوافر فيه جميع الإمكانيات سيضاعف عدد المصلين الذين يجلسون بضعة ساعات في الشتاء والصيف فوق الأسفلت في العديد من المدن ومنها طهران العاصمة.

٢- الاهتمام بموضوعات الخطب ومحتواها، وبحسن اختيار الخطباء، وضرورة تحلى أئمة الجمعة بالقدرة العلمية والمعنوية والتنفيذية وبالأخلاق الكريمة والسلوك القويم وبحسن البيان والاستدلال.

٣- مشاركة الوزراء ونواب البرلمان والمحافظين ورؤساء مجالس المدن وغيرهم من المسئولين في مراسم صلاة الجمعة بصفة مستمرة، لبحث مشكلات المواطنين المادية والمعنوية، فهذه المشاركة تزيد من إقبال المواطنين على المشاركة في مراسم صلاة الجمعة على أنه مكان يتلاحم فيه المواطنون بالمسئولين.

٤- على الأئمة مراعاة ظروف الزمان والمكان، وهذا يعنى عدم إطالة خطب الجمعة سواء في الشتاء أو الصيف، وبخاصة في ظل ضعف إمكانيات التدفئة والتبريد، وعدم وجود سجاجيد للجلوس عليها، وعدم وجود أسقف تحمى المصلين من الشمس والبرد والأمطار، وحضور مسنين ومرضى.

٥- زيادة عدد الخدم التابعين للجان صلاة الجمعة والذين يساعدون المصلين خلال مدة مشاركتهم في مراسم صلاة الجمعة، فبعض المصلين يقطعون بضعة كيلو مترات. وبعضهم يجيئون من القرى البعيدة ويجدون صعوبة في الانتقال، ويرغبون في توصيلهم إلى منازلهم بعد انتهاء مراسم صلاة الجمعة مجانا.

٦- توفير الإمكانيات المادية للجان صلاة الجمعة التى تعانى من ضعف الإمكانيات المادة، وحل المشكلات التنفيذية التى تواجه هذه اللجان، لتشجيع المواطنين على الحضور والمشاركة.

٧- توفير أئمة الجمعة للمساجد التى لا يوجد بها إمام جمعة في المدن الإيرانية، حيث توجد إحصائية تؤكد أن (٦٣) ألف مسجد في إيران. منها (٤٠) ألف مسجد لا يوجد بها إمام جماعة (إمام مسجد). ومن المعروف أن إيران كلها تقام فيها حوالى ستمائة صلاة جمعة، بالإضافة إلى صلاة الجمعة التى يقيمها أهل السنة في إيران.

هذا ويلتمس البعض العذر لبعض المواطنين الذين يتقاعسون عن المشاركة في مراسم صلاة الجمعة، ويقولون إن هذا التقاعس ناتج عن أن صلاة الجمعة صلاة مستحبة، وإن المشاركة فيها ليست واجبة. كما يرى آخرون أن عدم اكتراث الكثيرين من المواطنين بالمشاركة في هذه المراسم ليس بسبب ضعف العقيدة، ولكن بسبب تحول هذه المراسم الدينية إلى منبر يخدم المصالح السياسية الخاصة بتيار خاص داخل إيران، ويطالب هؤلاء بضرورة أن يتم اختيار إمام الجمعة على أساس المعايير العامة، لا على أساس الارتباط بتيار خاص أو أى فكر سياسى خاص، وبفصل هيئة لجان صلاة الجمعة عن التيارات السياسية الداخلية لحماية هذه المراسم من أية شوائب محتملة.

مراجع البحث:

١- إيران من الداخل: فهمى هويدى- ط٣- القاهرة- ١٩٨٨م.

٢- جمعة وغاز يا جهاد هفتكى: آيت الله سيد عبدالحسين (ستغيب -شيراز- جاب دوم- ١٣٦٣ هـ. ش.

٣- الرسائل الفقهية للفقهاء الإيرانيين قبل الثورة وبعدها.

٤- شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

٥- الفقه السياسى في إيران وأبعاده: محمد السعيد عبد المؤمن- ط ١- القاهرة- ١٩٨٩م.

أبعاد جديدة للمواجهة الإيرانية - الأمريكية - الإسرائيلية وتأثيراتها على منطقة الشرق الأوسط

لواء أ.ح متقاعد / حسام سويلم

مقدمة:

جرت فى الشهرين الأخيرين أحداث كثيرة فى المنطقة، بعضها داخلها والبعض الآخر على تخوم المنطقة مثل حرب الأيام العشرة فى جورجيا، وكان لها آثار جانبية كثيرة على قضايا المنطقة ومستقبلها. وبرزت مفاوضات وتهديدات متبادلة فوق السطح بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة، وإيران وحلفائها فى المنطقة من جهة أخرى، فى ذات الوقت الذى جرت فيه محادثات واتصالات أخرى سرية تحت السطح فيما يشبه عقد صفقات وشكت على الاستكمال، و اختلط المشهد على كثيرين صاروا يعتقدون فى أنهم إنما يشاهدون فيلما أمريكياً طويلا مليئا بالخدع السينمائية، وأيضا فيلما إيرانيا طويلا مليئا بالمط والتسويف. وتشكك البعض فى أن أمريكا ستضرب إيران وأن إيران لن تتراجع فى النهاية مقابل الثمن المجزى، وأن هذا الفيلم السينمائى الطويل مازال ينتظر كاتب قصة وسيناريو، ويبحث عن مخرج بارع، ربما يظهر فجأة فى البيت الأبيض بواشنطن فى بداية عام ٢٠٠٩.

إلا أن المؤسف حقا أن العرب إزاء هذا الفيلم وضعوا أنفسهم فى مقعد المتفرجين، وليسوا من صناع الأحداث، بل ممن تصنع بهم الأحداث وتكون بلدانهم مسرحا لها. والأمر المؤكد فى هذا الموضوع، أنه لا أمريكا ستدفع ثمنا، ولا إيران ستدفع ثمنا، بل ان أمريكا ستقتنص جائزة، وستحصل إيران على حصة.. أما الذى سيدفع، فهو نحن العرب كالعادة!!.

سباق الدبلوماسية والحرب:

تجرى لقاءات علنية وسرية بين مفاوضين أمريكيين وإيرانيين، الأمر الذى يؤكد أن ثمة تغيراً تشهده العلاقات الأمريكية - الإيرانية، وبما يعنى أن لغة التهديدات بالحرب قد توارت مؤقتا رغم استمرار التهديدات الساخنة من الجانبين، ليحل محلها لغة التفاوض التى من المفترض أنها ترتكز على مراعاة مصالح الطرفين، وان كان شبح القوة العسكرية لكل طرف يقف وراء مفاوضيه يلوح بقدراته على العمل فى مواجهة مفاوضى الطرف الآخر إذا ما فشلت المفاوضات. وإذا كانت هناك دلائل على وجود انفراجة فى العلاقات بين الولايات المتحدة وإيران، مثل حضور مساعد وزير الخارجية الأمريكية ويليام بيريز الاجتماعات الأخيرة بعد طول ممانعة من واشنطن مشترطة فى السابق ضرورة وقف عمليات التخصيب، كذلك فتح مكتب رعاية مصالح أمريكية فى طهران، مما يعنى دلائل على قرب مرحلة جديدة من العلاقات بين البلدين قد تتبلور خلالها وتبرز معادلة أمنية إقليمية جديدة ستراعى بالقطع المصالح الإيرانية وبما يعطيها دورا بارزا تريده طهران لنفسها، فى مقابل مراعاة المصالح الأمريكية فى العراق وباقى دول الخليج، إلا أنه بالقطع ستكون هذه الانفراجة فى العلاقات بين واشنطن وطهران، وصياغة المعادلة الأمنية الإقليمية المتوقعة على حساب الدول العربية فى المنطقة.

وإذا كانت إسرائيل تريد حربا ضد إيران تقضى بها على برنامجها النووى أو تعطله بضع سنوات، فإن إدارة بوش تريد أن تقول للعالم أنها لا تريد أن تذهب للحرب إلا بعد استنفاذ الدبلوماسية، ولذلك فإن المباحثات التى جرت فى جنيف منذ يونيو الماضى ويتوقع أن تستأنف على خلفية تطور الموقف الأمنى فى العراق، والذى لا يسير طبقا لما يريده الأمريكيون، إلا أن هذه المباحثات تسقط أمام العالم ذريعة ضد الأمريكيين بأنهم لم يستنفذوا السبل الدبلوماسية وأن واشنطن لاتزال تحاول من خلال الحل الدبلوماسى لإثناء

الإيرانيين عن تصلبهم فى موضوع تخصيب اليورانيوم، وأنها عرضت حوافز وفتح شعبة مصالح فى طهران، ولكن الإيرانيون لايزالون يخصبون اليورانيوم، ويزيدون من عدد أجهزة الطرد المركزى التى تستخدم فى هذه العملية لكى تصل إلى ٦٠٠٠ جهاز، وهو ما يعنى أن احتمالات اللجوء إلى العمل العسكرى كخيار أخير لاتزال قائمة.

وإذا كانت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس تقول أنها تتلقى اشارات متضاربة من الإيرانيين وأنها تعطى فرصة لهم للاستجابة للعرض الأمريكى، فان هذا يعنى ضمنيا أنه فى حالة عدم استغلال طهران لهذه الفرصة والرد ايجابيا على العرض الأمريكى، أن خيار الحرب أصبح هو الوحيد المتاح لمنع إيران من استكمال مشوارها النووى، لأنه لو أراد الأمريكيون تحقيق صفقة مع إيران فانهم سيقومون بذلك سراً وليس عبر مفاوضات علنية، وحتى قبل المفاوضات فانه يجب أن تكون هناك مفاوضات حول أسس المفاوضات وشروطها، كما أن اجراء مفاوضات فى جنيف أمام العالم ليس هو الأسلوب الإيرانى المفضل.

أما مشاركة بيرنز فى المفاوضات فى مجموعة ٥+١ (الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن والمانيا) فإن ذلك بهدف مراقبة ما يدور، والتدخل عند الضرورة لمنع الأوروبيين والروس والصينيين من تقديم تنازلات لإيران أكثر مما حوته حزمة الحوافز المعلنة. ومن ثم يمكن القول أنه لا توجد مفاوضات جدية، حيث لا يرغب أى طرف فى تقديم تنازلات عن مطالبه الجوهرية، والتى تتمثل فى الآتى:

أ- على الجانب الأمريكى: إصرار كامل على إيقاف عمليات تخصيب اليورانيوم، والسماح لمفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية بدخول جميع المنشآت النووية وغير النووية، المعلن عنها وغير المعلن مع فرض رقابة مستمرة على هذه المنشآت من خلال تركيب كاميرات تصوير تعمل على مدار الساعة، كما سبق وحدث فى العراق فى السنوات الأخيرة من حكم نظام صدام حسين، إلى جانب إيقاف – أو الحد من – التدخل الإيرانى فى العراق. وهذه هى الخطوط الحمراء الأمريكية التى لا تنازل عنها .

ب- على الجانب الإسرائيلى: والذى توافق عليه الولايات المتحدة، هو منع وصول إيران إلى درجة من تخصيب اليورانيوم عالى النسبة (فوق ٥٠٪ وحتى أكثر من ٩٠٪) ، وبكمية تصل إلى ٢٥ كجم يورانيوم ٢٣٥ ، وبما يسمح لها بانتاج سلاح نووى. فضلا عن نشر نظام الدفاع الجوى الروسى (سام- ٢٠) وهو طراز مطور من نظام الدفاع الصاروخى S-٣٠٠ .

ج- على الجانب الإيرانى: لاتوافق إيران على إيقاف نهائى لعمليات تخصيب اليورانيوم، ولكن ممكن لفترة زمنية محددة وبشروط ، كما لا توافق على منح الوكالة حق تفتيش مفتوح لمنشآتها النووية وغير النووية لما يشكله ذلك من اضرار لأمنها القومى. هذا إلى جانب خطوط حمراء أخرى أبرزها تعهد أمريكى بالامتناع عن تهديد نظام الحكم الدينى القائم، ووقف الدعم الأمريكى للأقليات المتواجدة فى المحافظات الحدودية (عرب خوزستان، والبلوش، والأكراد، وحزب الـ دبى جاك، والأذريين) كما لا تريد أن يكون العراق مركز للإرهاب ضدها، بالإضافة لمنح إيران دور رئيسى فى نظام الأمن الإقليمى بشكل عام، والخليجى على وجه الخصوص، مع استعادة البحرين والسيطرة على الكويت، وإسقاط قرارات مجلس الأمن ضدها.

ولأن كل طرف متشدد فى مطالبه فإنه يمكن القول أن لا أمل فى نجاح المفاوضات، ولا فى تحديد مواعيد ، خاصة وأن إيران أشبه بإسرائيل فيما تعتنقه الأخيرة حول (عقدة الماسادا)، أى تدمير المعبد على رؤوسهما، فإذا كانت إسرائيل مصابة بـ(العصاب) من حزب الله بعد أن أصبح هذا الحزب مسيطراً على لبنان، وتريد إنهاء هذا الوضع باسرع وأحسم ما يمكن لما يشكله من تهديد خطر على أمنها وكيانها، فإن إيران بدورها اليوم تريد العالم أن يعترف بأمبراطوريتها فى المنطقة، مهددة بأنها تستطيع ان تحول العراق إلى فوضى شاملة فوراً، وأن تمتد هذه الفوضى إلى الكويت والبحري، وهنا يمكن خطر اللجوء إلى خيار الحرب من جانب الإدارة الأمريكية قبل نهاية ولايتها وبعد الحملة الانتخابية للرئاسة – أى فى نوفمبر وديسمبر على حد قول (جون بولتون) السفير الأمريكى السابق فى الأمم المتحدة. وتمهيداً لهذا الخيار العسكرى، لعبت إدارة بوش أدواراً بارزة فى تسكين جبهات كثيرة مشتعلة كان من الممكن أن تلهى العالم عن خطر إيران، (مثل جبهة القوقاز والصراع السياسى فى لبنان، وتحقيق هدنة بين إسرائيل وحماس، والفصل بين سوريا وحزب الله، وبين سوريا وإيران) وكلها دلائل تشير وتمهد لقرار أمريكى بتبنى خيار الحرب إذا ما فشلت جميع الجهود الدبلوماسية فى كسر الخطوط الحمراء الإيرانية، وبالتالى فإن كل ما يحدث ونشاهده حولنا ههو حائط من الدخان يخفى حقيقة تبنى خيار الحرب، باعتبار أن الحرب خدعة، خاصة وأن واشنطن ربطت جيدا بين سلة الحوافز والعقوبات كمجموعة واحدة وباعتبار أن الحرب المستوى الأقصى من العقوبات، بعد أن تثبت الولايات المتحدة للعالم أنها سارت فى طريق الحل الدبلوماسى لأقصى مدى، وأنها حاولت مع شركائها فى المجتمع الدولى اقناع إيران بالتعاون، وأنها قدمت لإيران من الحوافز أكثر مما تحلم به، ولكنها رفضت ومن ثم فإن اللوم سيوجه فى هذه الحالة لى إيران، وعندئذ ستحصل واشنطن على دعم أكبر لاستخدام القوة العسكرية ضد

إيران، على عكس الحال مع العراق ٢٠٠٣ عندما كان الدعم الدولى لقرار الغزو الأمريكى للعراق محدوداً جداً . لذلك فان ما يقال اليوم عن تغيير في الموقف الأمريكى من إيران، لا يمكن اعتباره تغييراً جوهرياً بقدر كونه تغييرا تكتيكيا وليس استراتيجيا.

أما على الجانب الإيرانى، فقد صعد المسئولون الإيرانيون من تصريحاتهم الاستفزازية، ليس فقط فيما يتعلق بتهديد الولايات المتحدة، بل أيضا بشأن دول الخليج والتدخل فى شئونها، وقد لوحظ فى الأونة الأخيرة أنها مستمرة ولا تتوقف ولا تهدأ، بل تتصاعد ويتيرتها الهجومية والتهديدية، حتى وصل الأمر ببعض المسئولين الإيرانيين إلى إسداء النصائح للدول العربية، وماذا يجب عليها أن تفعل وماذا يجب عليها أن تتجنب. وفى إطار هذا التصعيد هددت إيران على لسان يحيى صفوى المستشار العسكرى لمرشد الثورة أية الله على خامنئى. والقائد السابق للحرس الثورى بأنه فى حال نشوب حرب فلا يمكن لسفينة المرور عبر منطقة الخليج من دون أن تكون فى متناول صواريخ الحرس الثورى وما يعنيه ذلك من إغلاق مضيق هرمز الذى تمر عبره ٤٠٪ من احتياجات الدول المستهلكة للنفط فى العالم. وذلك بعد أن أعلنت الحكومة الإيرانية عن تكليف الحرس الثورى بالدفاع عن أمن الخليج ضد أية هجمات معادية. وفى المقابل هدد مسئولون إسرائيليون بأنهم لن يسمحوا لإيران بامتلاك تقنية تصنيع سلاح نووى، وأنهم لن يترددوا فى توجيه ضربة جوية ضد المنشآت النووية الإيرانية قبل أن يصل البرنامج النووى الذى يراقبونه جيدا إلى مرحلة اللاعودة. وأوضحت دراسات جرت في معهد (جافى) للدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة تل أبيب تم نشرها في العامين الماضى والحالى أنه في حالة قيام إيران بقصف إسرائيل بصواريخها شهاب - سواء برؤوس تقليدية أو كيميائية وبيولوجية فإن إسرائيل مستعدة لتحمل خسائر بشرية قد تصل إلى ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ فرد، ولكنها في المقابل سترد بضرب إيران بصواريخ كروز نووية من غواصاتها الثلاث من طراز دوليفنى المخطط أثناء الحرب نشرها في مياه خليج عمان. وعلى الجانب الأمريكى سبق أن صرح الادميرال فالون قائد القيادة الوسطى السابق، أن قواته في الخليج لا تخشى تهديدات الزوارق الصاروخية والانتحارية لبحرية الحرس الثورى في مياه الخليج، وأن القوات الأمريكية في الخليج قادرة على سحقها بإمكانياتها البحرية والجوية التى تعززت أخيراً.

لذلك يخطئ من يتوقع أن الولايات المتحدة تخلت عن الخيار العسكرى، وأنها لن توجه ضربة عسكرية للمنشآت النووية والعسكرية والاستراتيجية لإيران. لأن في هذا التوقع من جانب بعض المحللين السياسيين - خاصة في دول الخليج - تجاهلاً لمصداقية الضغط الأمريكى على إيران بحجة أن واشنطن لم تفلح في أفغانستان أو العراق، وأنها لن تعيد الكرة مرة أخرى. فقد سبق لأمريكا أن طردت حكام ورجالات طالبان من أفغانستان، وأسقطت نظام صدام حسين في بغداد في غضون ٢١ يوما، متحدية في ذلك إرادة كثير من دول العالم التى رفضت غزو العراق. وقد تحملت حتى اليوم خسائر بشرية في العراق تقدر بحوالى ٤٣٠٠ فرد وفى أفغانستان حوالى ٢٠٠ فرد، ورغم هذه الخسائر الجسيمة فإن الولايات المتحدة - سواء في عهد بوش أو خليفته جمهورياً كان أو ديموقراطياً - لن تضحى بما حققته في أفغانستان والعراق حتى الآن وتنسحب من البلدين، خاصة مع بروز أهمية نفط الخليج في وجه احتمالات انقطاع النفط والغاز الروسى عن بلدان أوروبا مع بدء تيارات الحرب الباردة بين روسيا والدول الغربية عقب أزمة جورجيا، حيث يمر خط أنابيب نفط باكو (أذربيجان) - تبليس (جورجيا) - جيهان (تركيا) والذى يعد أطول خط نفط في العالم حيث يبلغ طوله ١٧٧٠ كم منهم ٢٤٩ كم داخل جورجيا من بينها ٥٥ كم في أوسيتيا الجنوبية التى تسيطر عليها روسيا اليوم. وفى حالة قطع إمدادات أوروبا بالنفط عبر هذا الخط بسبب زيادة التوتر القائم في منطقة القوقاز، فإن أوروبا ستعوض ذلك بزيادة اعتمادها على نفط منطقة الخليج، وهو الأمر الذى يزيد من تشبث الولايات المتحدة بسيطرتها على العراق رغم خسائرها هناك، وبالتالى محاربة النفوذ الإيرانى المتصاعد ليس فقط في العراق ولكن في باقى بلدان دول الخليج العربية على النحو البارز بشدة في البحرين والكويت والجزر الإماراتية في الخليج.

ومما لا شك فيه أن الولايات المتحدة بإصرارها على المضى قدماً في طريق فرض مزيد من العقوبات الاقتصادية على إيران بالاشتراك مع حلفائها الأوروبيين خارج نطاق مجلس الأمن ورغم معارضة روسيا والصين، إنما تراهن على تصدع الموقف الداخلى في إيران نتيجة ما تواجهه حكومة الرئيس الإيرانى نجاد من تحديات ومشاكل اقتصادية. فلا يكاد يمر يوم في الفترة الأخيرة من دون أن تنقل الأخبار صورة جديدة تدل على فشل أداء حكومة أحمدى نجاد وسياساته الداخلية والخارجية، وإقالات واستقالات مسئولين ووزراء سياسيين واقتصاديين كان أخرهم مدير البنك المركزى بسبب ارتفاع نسبة التضخم. الأمر الذى زاد من حجم الامتعاض الداخلى من سياسات أحمدى نجاد، وقد انعكس ذلك في الانتقادات الحادة التى وجهها الرئيس الإيرانى السابق محمد خاتمى إلى أداء حكومة أحمدى نجاد، مؤكداً أن "شعاراته العدائية الحادة" توفر ذرائع للعدو كى يتحرك ضد البلاد، داعياً الأحزاب الإصلاحية إلى التحرك، حتى لا

تتزايد الأعباء الاقتصادية والسياسية مع البلاد. كما انعكست الأزمة الاقتصادية والاجتماعية بوضوح في تصدع الجبهات الإيرانية الداخلية، وضغوط تمارسها التجمعات الطلابية وأوساط اجتماعية وثقافية، إضافة إلى تصاعد الانقسامات بين التيارين الإصلاحي والمحافظ حول العلاقة مع العالم الخارجي، وطبيعة الحريات، وصلاحيات رئيس الجمهورية وصلاحيات مرشد الثورة، الأمر الذى يؤكد أن سياسة أحمدى نجاد وتياره يشيران إلى أن إيران تزحف بقوة نحو الانفجار والتفتت والانقسام الداخلي، وأن المنطقة ربما تشهد عراقاً آخر.

لذلك لا يمكن قراءة الأحداث بالمقلوب، وتجاهل ما حدث في المنطقة إبان الغزو الأمريكي للعراق، فالسيناريو يتكرر، وخريطة الأحداث لم تتغير وأن غاب عنها صدام حسين، وحلت بديلاً عنه حكومة نجاد. وساعة الصفر لن تعلق هذه المرة كما حدث في أزمة العراق، بل ستكون ضربة مفاجئة خاطفة تشل المواقع الإيرانية الحيوية وتجهض المشروع النووى. ولقد كان الرئيس الفرنسى واعياً تماماً لهذه الحقيقة حينما صرح في وقت سابق أن بلاده لا تستبعد إمكان الرد العسكرى ضد إيران إذا لم تقلص برنامجها النووى.

تقرير الوكالة الدولية للطاقة يدعم حجج أمريكا ضد إيران

أعرب المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية د. محمد البرادعى في تقريره الأخير الصادر في ١٥ سبتمبر الماضى عن آسفة لعدم امتثال إيران لقرارات مجلس الأمن التى تطالبها بتجميد كلى لعمليات تخصيب اليورانيوم، ووقف تركيب أجهزة الطرد المركزى. وأفاد البرادعى في تقريره السرى الذى وزع على أمناء الوكالة تزامناً مع رفعه إلى مجلس الأمن، أن إيران واصلت تشغيل المحطة التجريبية لتخصيب الوقود، وتركيب سلاسل تعاقبية جديدة من أجهزة الطرد المركزى وتغذيتها بغاز سادس فلورايد اليورانيوم الذى يتم إنتاجه في مصنع أصفهان قبل أن ينقل إلى ناتانز لدفعه في أجهزة الطرد المركزية لتخصيبه، الأمر الذى اعتبره البرادعى انتهاكا صريحاً لقرارات المنظمة الدولية.

كما أشار التقرير إلى أن الوكالة لم تحرز تقدماً ملموساً في قضية الدراسات التى تجريها طهران لتطوير رأس نووية يمكن تركيبها على الصاروخ شهاب، ويخشى أن تكون لها أبعاد عسكرية، واصفاً هذه الدراسات بالمثيرة للقلق. واعتبر البرادعى أن تشويه هذه المسألة مرتبطة بخطوات إيرانية، منها تزويد الوكالة بمعلومات جوهرية حول مدى صحة البيانات الواردة في الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع، وإتاحة الفرصة أمام خبراء الوكالة للإطلاع على مزيد من المستندات ومقابلة الأفراد ذوى الصلة بهذه الدراسات، ولذلك فإن إيران لم تنفذ نصاً يتعلق بتقديم معلومات تصميمية من شأنها المساهمة في تبديد الغموض المرتبط بطبيعة برنامجها النووى.

وفيما يتعلق بقضية تحويل اليورانيوم أفاد التقرير بأن إيران أنتجت حتى ٣ أغسطس الماضى ما يزيد عن ٢٨ طنا من اليورانيوم لتصل كمية ما أنتجته منذ عام ٢٠٠٤ إلى ٣٤٢ طناً. وأن إيران خزنت حتى الآن ٤٨٠ كجم من اليورانيوم منخفض التخصيب (٣-٥٪)، وأن إيران تحتاج إلى تحويل ١٧٠٠ كجم إلى يورانيوم عالى التخصيب لصنع قنبلة نووية، وهو ما يعنى أنها تحتاج إلى ما يقرب من عامين لتخصيب هذه الكمية.

لذلك زادت إيران عدد أجهزة الطرد المركزى المستخدمة في عمليات التخصيب عن ٣٣٠٠ جهاز كانت في مايو الماضى إلى ٣٨٢٠ جهاز حالياً، كما يجرى تركيب أكثر من ٢٠٠٠ جهاز آخر، وحسب ما أورده البرادعى فإن كميات اليورانيوم المخصب خاضعة لتدابير الاحتواء والمراقبة التابعة للوكالة التى أجراها خبراؤها منذ مارس الماضى والتى تبلغ ١٧ عملية تفتيش مفاجئة لمحطات تخصيب اليورانيوم الإيرانية.

وحول موضوع تطوير رأس الصاروخ شهاب لتحويلها من الشكل المخروطى إلى الشكل العريض المسطح ليلائم حمل رؤوس نووية، فقد عرض (هرمان ناكيرتس) رئيس عمليات التفتيش بمنطقة الشرق الأوسط على مجلس محافظى الوكالة الدولية مستندات وصوراً تكشف عن محاولات العلماء الإيرانيين إعادة تصميم رأس هذا الصاروخ لتحقيق هدف حمل شحنة نووية، وشدد ناكيرتس على عدم تعاون إيران ورفضها الكشف عن تلك التجارب، كما رفضت أيضاً طلبات الوكالة بإجراء مقابلات مع مهندسين مشاركين في هذا العمل وزيادة ورشهم التى يقول المسئولون الإيرانيون أنها مدنية.

وقد ورد في التقرير أيضاً أن الوكالة لا تزال تنتظر الحصول على كثير من التطمينات من طهران من خلال الحصول على إجابات تتعلق بقضايا عدة، ومنها دور الهيئات ذات الصلة العسكرية وموظفيها في مسألة شراء معدات وتقنيات تدخل في صناعة السلاح النووى، مؤكداً في عدد من بنوده أن إيران لم توافق على كثير من طلبات الوكالة، مثل معاينة مواقع يجرى فيها تصنيع أجهزة الطرد المركزى، إضافة لحجبها معلومات عن مفتشيها، وخلص البرادعى في تقريره إلى أن التسوية السريعة لكل المسائل العالقة وتبديد الشكوك التى تحوم حول برنامج إيران النووى هو بيدها ومرهون بإبدائها مزيداً من الشفافية، ورفع سقف التعاون مع الوكالة، والالتزام بمقررات مجلس الأمن.

وأثر صدور تقرير وكالة الطاقة هددت واشنطن بفرض

عقوبات جديدة عليها، وقال المتحدث باسم البيت الأبيض (جوردن جوتورو): "ندعو إيران بإلحاح إلى تعليق نشاطات تخصيب اليورانيوم، وألا فسوف يتواصل تطبيق العقوبات التي سبق أن أقرها مجلس الأمن، وقد تفرض عقوبات جديدة".

وأضاف مشيراً إلى تقرير الوكالة: "إن هذا التقرير يظهر مرة جديدة أن إيران ترفض التعاون مع الأسرة الدولية"، ورأى أن "النظام الإيراني يزيد عزلة الشعب بمواصلته نهج التحدي". أما المندوب الأمريكي في الوكالة (جريجوري شولته" فقد ذكر في بيان له أن تقرير الوكالة يشكل تأكيداً جديداً لمواصلة إيران تحديها مطالب مجلس الأمن، وأن بلاده ومعها دول عدة تنظر بقلق كبير لما وصل البرنامج النووي إليه من تطور، وطالباً الأسرة الدولية بالتدخل لكبحه.

ورداً على التهديدات الغربية، أعلن علي أصغر سلطانية – السفير الإيراني لدى الوكالة الدولية – أن إيران ستواصل أنشطة تخصيب اليورانيوم، برغم طلبات مجلس الأمن الدولي بوقفها. كما حملت إيران الوكالة مسئولية عدم تحقيق التقدم المرجو، وطالبت الوكالة بأن تغير منهجها وأن تعمل بأسلوب "قانوني ومنطقي". وكررت وصفها الوثائق المتعلقة بتطوير رأس نووية للصاروخ شهاب بأن لا أساس لصحتها، وأنها أعدت بناء على معطيات استخباراتية "مفبركة"، وأنها تتعلق بأسلحة تقليدية، وقال السفير الإيراني لدى الوكالة علي أصغر سلطانية "لا يستطيع أي بلد أن يقدم معلومات عن نشاطاته العسكرية التقليدية" وأضاف متسائلاً: "من في العالم يمكن أن يصدق أن ثمة مجموعة وثائق بالغة السرية عثرت عليها الاستخبارات الأمريكية في كمبيوتر محمول بخصوص برنامج مماثل لمشروع مانهاتن النووي (لصنع قنبلة) في إيران ولا يحمل أي من تلك الوثائق أختام سري للغاية أو سري؟

هذا ببساطة أمر غير قابل للتصديق، ولذلك فإن هذا الموضوع انتهى بالنسبة لنا". وكان الناطق باسم الخارجية الإيرانية قد أكد قبيل صدور التقرير استمرار تعاون بلاده مع الوكالة، مبدياً استعداد طهران للتعاون أيضاً في إطار قواعد السلامة والأمان. وأضاف "نتوقع من الوكالة لا ترضخ للضغوط الأجنبية، لاسيما من الولايات المتحدة التي لها ماضي في هذا المجال، وأن هذه الضغوط تشتد عندما تلوح بوادر حل، ونحن ندعو الوكالة إلى أن نحافظ على توجهها القانوني، ولا تولي الضغوط الأجنبية أي اهتمام".

وعلى الصعيد الأوروبي انضمت بريطانيا إلى ركب حليفتها الولايات المتحدة، حيث اتهمت إيران بالاستهانة بالوكالة الدولية للطاقة النووية، مؤكدة أنها ستسعى حثيثاً لفرض مزيد من العقوبات على طهران. ومن جانبها ذكرت ألمانيا أنها ستخير إيران بين قبول العرض الذي قدمته مجموعة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن وألمانيا (٥+١) المعروف بـ (سلة الحوافز) مقابل إيقاف عمليات تخصيب اليورانيوم، أو الذهاب مرة أخرى إلى مجلس الأمن.

عقوبات أمريكية ضد ٢٤ شركة إيرانية

لم تتأخر الولايات المتحدة في استغلال تقرير الوكالة الدولية للطاقة النووية في فرض مزيد من العقوبات على ٦ شركات إيرانية عسكرية تشارك في برامج طهران الصاروخية والنووية، وعلى كبرى شركات إيران للشحن البحري و١٨ شركة من الشركات المنتمية لها أو المتفرعة عنها، وذلك لنقلها أسلحة ذات طبيعة عسكرية ومواد ذات علاقة بها. فيما وجهت السلطات الفيدرالية في فلوريدا اتهامات إلى شبكة عالمية من ٨ شركات و٨ أفراد بالاحتيال لتوريد قطع غيار إلكترونية لطهران تستخدم في تصنيع أسلحة الدمار الشامل.

وفيما يتعلق بالشركات الست الإيرانية العسكرية، فقد ذكرت وزارة الخزانة أنها قررت تجميد أي أصول أو أموال خاصة بهذه الشركات الست الإيرانية، والتي تمتلكها أو تسيطر عليها هيئات إيرانية سبق إدراجها على القوائم الأمريكية للكيانات المحظورة ومنها وزارة الدفاع الإيرانية، وهيئة الإمداد والتموين الإيرانية، وهيئة الصناعات الحربية، وهذه الشركات الست هي: إيران للصناعات الإلكترونية، وشيراز للصناعات الإلكترونية، وإيران للاتصالات، وإيران للصناعات الجوية، ومجموعة صناعات التسليح. وبموجب هذه العقوبات يحظر على أي أشخاص أو كيانات أمريكية التعامل مع هذه الشركات، كما يحظر تعامل هذه الشركات عبر النظام المالي الأمريكي.

أما الثمانية شركات العالمية والثمانية الأفراد السابق الإشارة إليهم، فقد توصلت هيئة محلفين كبرى في ميامي بولاية فلوريدا في ١٥ سبتمبر الماضي إلى إدانتهم بناء على لائحة تضم ١٣ تهمة منها التآمر، وانتهاك قانون الطوارئ للسلطات الاقتصادية الدولي، وقوانين الحظر الأمريكية الخاصة بإيران، وتقديم بيانات مزيفة للوكالة الفيدرالية تتعلق بتصدير آلاف البضائع لإيران. وتقول لائحة الاتهام أن المتهمين اشتروا ثم صدروا العديد من السلع ثنائية الاستخدام لمشترين في إيران بشكل غير قانوني. أما الأفراد الثمانية المدانون بينهم اثنان يحملان الجنسية البريطانية، وشخص يعيش في ماليزيا، بينما شملت الشركات (ايكوبا بوشيم سدين) و(فاست سوليوشن سيدن) وكلاهما في ماليزيا، و(مجموعة ندا الصناعية) ومقرها إيران، بالإضافة إلى شركات (ماير وجنرال تريدنج) و(اتلينكي للإلكترونيات) و(مايكاتيك جنرال تريدنج) و(ماجيكوما بكرون الكترونيكس) و(الفاريس). واتهمت واشنطن هذه الشركات وهؤلاء الأفراد بشراء وتصدير بضائع محظورة، ثم

تصديرها إلى إيران عبر وسطاء منتشرين في عدد من الدول منها ماليزيا، وانجلترا، وألمانيا، وسنغافورة.
وبخصوص شركات الشحن الإيرانية والمنتمية لها، فقد أكد آدم زويت مدير مكتب المراقبة وضبط الأموال والأصول الأجنبية في وزارة المالية الأمريكية أن الشركة البحرية، والخطوط البحرية لجمهورية إيران الإسلامية المعروفة اختصاراً باسم IRISL، نقلت شحنات لوزارة الدفاع الإيرانية والنقل والتجهيز اللوجيستى للقوات المسلحة التى لها إشراف مباشر على أبحاث إيران الخاصة بالصواريخ الباليستية ونشاطات تطويرها وإنتاجها. وأن لدى الولايات المتحدة معلومات أيضاً تشير إلى أن الشركة البحرية الإيرانية انتهجت نمطاً من الإنكار ووسائل خداعية مدعاة للقلق.
وأنه نظراً لوجود مخاطرة كبرى تنطوى على إمكانية تسهيل نشاطات إيران للانتشار النووى عن غير قصد فقد دعت وزارة المالية الأمريكية المصارف والشركات وشركات التأمين في العالم إلى إعادة النظر وتقييم أى علاقة عمل تجاري قائمة مع IRISL الإيرانية، نظراً لانتهاج هذه الشركة سلوكاً خداعياً جعل من المستحيل معرفة ما إذا كانت شحناتها قانونية أم غير قانونية بموجب المعايير التى وضعها مجلس الأمن في قراراته. وقد تبين أن هناك ١٢٣ سفينة تابعة للشركة البحرية الإيرانية. وأكد (ستيورات ليفى) وكيل وزارة المالية الأمريكية لشئون الإرهاب والاستخبارات المالية، أن الشركة البحرية الإيرانية لا تسهل فقط نقل شحنات إلى من تعتبرهم الأمم المتحدة ناشرين نوويين، بل وتزور أيضاً الوثائق، وتستخدم حيلاً خداعية لإخفاء تورطها في التجارة غير المشروعة، وأضاف أن أفعال هذه الشركة هى جزء من نمط الخداع والتلفيق تستخدمه إيران من أجل تطوير برامجها النووية والصاروخية.

إيران واستغلال أزمة القوقاز

كشفت مصادر أمريكية أن إسرائيل كانت تعمل في جورجيا للتحضير لضرب إيران، وأن إسرائيل عملت على تصليح وإعداد مطارين في جورجيا، وأقامت مركزاً أمنياً لجمع المعلومات عن إيران وجنوب روسيا، وأن إسرائيل استعانت بطائرات بدون طيار لهذا الغرض. وقد نقل موقع NFC الإسرائيلى أنه مع بدء الحرب قامت الطائرات الروسية بقصف مدرجات المطارين، واستولت قوات خاصة روسية عليها وضبطت طائرات بدون طيار بها معلومات أمنية لإسرائيل تخدم خطتها لضرب إيران انطلاقاً من الأراضى الجورجية، وذلك لقرب المسافة بين البلدين حيث لا يفصلها سوى أرمينيا، وقدرة المقاتلات الإسرائيلية على العمل بسرعة وفاعلية بدلاً من التحرك من داخل إسرائيل.
وأضافت المصادر أن إسرائيل تعمل منذ فترة في الأراضى الجورجية، وقدمت مساعدات عسكرية للجيش الجورجى، شملت بيع معدات عسكرية أبرزها طائرات بدون طيار (جيرمس - ٤٥٠)، وقذائف صاروخية طراز (لينكس) ذات مدى ١٥٠ كم، وصواريخ Tow مضادة للدبابات، وصواريخ مضادة للطائرات، بالإضافة لأجهزة رؤية ليلية ومعدات حراسة وذخائر مدفعية، وأسلحة صغيرة وخفيفة من إنتاج المصانع الحربية الإسرائيلية (مثل البندقية دبور)، بالإضافة لتحسينات على المقاتلات سوخوى - ٢٥ (سكوربيون)، هذا إلى جانب تدريب الجيش الجورجى وإعادة تنظيم هيكلته وتسليحه وقياداته.
وفى غضون تطور أزمة جورجيا قام وزير الخارجية الإيرانية (منوشهر متقى) بزيارة موسكو، وأجرى محادثات مع نظيره الروسى (سيرجى لافروف)، حيث بحث الجانبان الأوضاع فى أبخازيا وأوستينا الجنوبية والعراق وأفغانستان والشرق الأوسط، وهو ما اعتبره مراقبون مؤشراً على تعزيز التنسيق بين موسكو وطهران فى الملفات الدولية والإقليمية الساخنة. حيث ساعدت أزمة جورجيا على إلهاء الدول الغربية عن الملف النووى الإيرانى، وتطوره فى إطار نوايا الدول الغربية لفرض مجموعة رابعة من العقوبات الاقتصادية على إيران، وإصرار طهران فى المقابل على المضى قدماً فى برنامجها النووى. وهو ما يعنى احتمال استخدام روسيا حق الفيتو لعرقلة أى مشروع قرار قد تقدمه الدول الغربية إلى مجلس الأمن يستهدف فرض عقوبات إضافية على إيران.
وعلى هامش قمة منظمة شانغهاى للتعاون الإقليمى التى تضم روسيا وبلدان آسيا الوسطى والصين وإيران الذى عقد فى دوستابى عاصمة طاجكستان، بحث الرئيس الروسى ميدفيديف مع نظيره الإيرانى أحمدى نجاد الأزمة الجورجية، وأعلن الرئيس الروسى أنه ينبغى على الغرب أن يحل مشكلة المواجهة بشان البرنامج النووى الإيرانى بدون مساعدة بلاده إذا هى رفضت التعاون مع موسكو فى هذا الصدد، وهو الموقف الذى أيده وكرره رئيس الوزراء الروسى فلاديمير بوتين، وإن كانت روسيا لا تزال تعمل مع شركاء دوليين بشأن المسألة الإيرانية. وفى فيينا صرح مصدر روسى بأن بإمكان إيران مساعدة روسيا فى مراقبة القوات الأمريكية فى الخليج من خلال الدخول فى تحالف استراتيجى بين موسكو وطهران.
وفى إطار التعاون العسكرى بين روسيا وإيران من المتوقع أن توافق روسيا على بيع نظام الدفاع الصاروخى S - ٣٠٠ لإيران، وهو ما تقاومه كل من إسرائيل والولايات المتحدة لأنه يعرقل تنفيذ الضربات الجوية المخطط شنها ضد إيران، كما وافقت روسيا على إمداد مفاعل بوشهر النووى بكل احتياجاته من الوقود النووى لبدء تشغيله اعتباراً من عام

٢٠٠٩. وقد بدأ الموقف الإيرانى أكثر تحفظاً من الموقف السورى فى التجاوب مع الموقف الروسى تجاه أزمة جورجيا، رغم أن إيران هى المستفيد الأكبر من التوتر والخلاف بين روسيا والولايات المتحدة، حيث وصل الأمر بإيران إلى رفض الموقف الروسى من الاعتراف باستقلال أوسيتيا وانجازيا. والأكثر من ذلك لوحظ أن إيران تعاملت بعكس سوريا فى الإيحاء بالاندفاع نحو الرهان على موسكو. ففى الوقت الذى فتحت فيه روسيا ميناء طرطوس ليتحول إلى قاعدة عسكرية بحرية للأسطول الروسى فى البحر المتوسط، وأيدت انفصال أوسيتيا وأنجازيا، كما أعربت دمشق عن دعمها روسيا فى استعادة موقعها الدولى السابق كقوة عالمية عظمى باستطاعتها كبح الطموح الأمريكى، وفى سبيل ذلك عرضت نشر الصواريخ الروسية المتوسطة المدى (إسكندر) على الأراضى السورية، إلا أن إيران نفت المعلومات التى أطلقها السوريون عن تزويد موسكو لإيران بصواريخ S - ٣٠٠، حيث حرص ملالى طهران على نفى أى خبر عن شرائهم هذه الصواريخ، وينفون موعد تسلمهم لها فى آخر هذا العام، رغم تأكيدات الروس بأن إيران على وشك تسليم هذه الصواريخ فى نهاية هذا العام.

ولم تكتف التسريبات الروسية بالتحالف مع إيران إلى حد الإشارة إلى مفاوضات عاجلة بين البلدين لإقامة قاعدتين روسيتين فى إيران، أحدهما فى إقليم أذربيجان والأخرى فى جزيرة خشم لمنح موسكو موقعاً عسكرياً على الخليج، وهو ما نفته إيران منعاً لإثارة الولايات المتحدة، ويرجع تحفظ الإيرانيين من دخول المحور الروسى إلى عدم وثوقهم فى اعتبار موسكو شريكاً يمكن الاعتماد عليه، بالنظر لتجديتهم السابقة مع الروس عندما ما طلوا فى إنجاز مفاعل بوشهر الذى كان ينبغى تسلمه منذ عشر سنوات، إلى جانب الفيتو الروسى على دخول إيران منظمة شنغهاى للتعاون الإقليمى، وليس كعضو مراقب مثل الهند. كما تسعى إيران لتقديم نفسها للغرب كمصدر بديل لنفط وغاز بحر قزوين فى اتجاه أوروبا التى باتت تتخوف جدياً من هيمنة روسيا على خطوط إمدادات النفط، وبعدما تبين أن أحد أهداف روسيا من غزو جورجيا هو منع الغرب من الاعتماد على خط نفط باكو - تبليس - جيهان والذى ينقل النفط من بحر قزوين إلى أوروبا بدون المرور على روسيا، أما بعد سيطرة روسيا على أوستينيا الجنوبية، فإن ٤٥ كم من هذا الخط أصبح مهدداً من القوات الروسية التى تحتل هذا الإقليم.

ويبدو حتى الآن أن إيران مازالت مترددة فى دخول المحور الروسى، ومازالت تراهن على استغلال أوراقها الإيجابية الجديدة هذه للدخول فى صفقة مع واشنطن ولاقتناع الأوروبيين باختيار إيران كممر للغاز والنفط بديلا للأنابيب الروسية. كما أن ملالى طهران يعتبرون أن صراعهم مع موسكو أكثر استراتيجية وبعداً جيو -سياسياً من صراعهم مع الأمريكيين لتلاحم حدود إيران الشمالية مع دول آسيا الوسطى التى كانت فى السابق جزءاً من الاتحاد السوفيتى السابق، إضافة إلى تخوفهم من انعكاس أوسيتيا الجنوبية وأنجازيا على الحركات الانفصالية العرقية فى غيران خاصة فى محافظاتها الحدودية. ويقال أن رفض طهران للاقتاع الروسى بإقامة قاعدتين على الأراضى الإيرانية قد ساهم فى دفع موسكو على قبول العرض السورى باستخدام ميناء طرطوس، وتسريع التعاون العسكرى مع دمشق، وتجاهل المطالب والانـذارات الإسرائيلية فى هذا الصدد إلى حد نقص تفاهم سرى بين موسكو وتل أبيب يقضى بأن تتوقف إسرائيل عن مد جورجيا ودول الجوار الروسى بالأسلحة والخبراء الإسرائيليين مقابل عدم التجاوب الروسى مع مطالب التسلح السورى.

وفى الوقت الذى يبدو أن إيران لم تحسم خياراتها بعد، ومازالت تترددوتنتظر قبل الردعلى عرض التحالف الروسى، تشير التقارير الأخيرة إلى أن محور موسكو - دمشق بدأ يسير بسرعة غير منتظرة، وفى اتجاه من شانه أن يخلف انعكاسات خطيرة جداً على المنطقة فى المرحلة المقبلة، وقبل أن يصل هذا المحور إلى حد تشكيل تهديد للمصالح والمشاريع الأمريكية فى المنطقة فهو ينذر أو لا ينسق المفاوضات بين سوريا وإسرائيل وبتغطية أمريكية تريدها دمشق، حيث يصعب على الإدارة الأمريكية الحالية أو القادمة أيا كان لونها جمهوريا أو ديموقراطياً أن ترضى بمساهمة الروس فى تأهيل الجيش السورى وتغيير ميزان القوى العسكرية لغير صالح إسرائيل، فضلا عن كون القاعدة الروسية فى طرطوس تشكل تهديداً للأسطول السادس الأمريكى فى شرق البحر المتوسط، أما تأثير التحالف الروسى - السورى على غيران، فإن التقارير القادمة من طهران تشير إلى أن إيران تقف من هذا التحالف موقفاً سلبياً جداً، وفى رأى ملالى إيران أن دمشق التى تسعى إلى الابتعاد عن إيران من خلال المفاوضات مع إسرائيل بغطاء أمريكى، تقدم فى الوقت نفسه دليلاً إضافياً على المسعى السورى للتخلص من التحالف الاستراتيجى مع طهران، وذلك عبر تحالف استراتيجى آخر مع روسيا يعيدها إلى ما كانت عليه أيام الاتحاد السوفيتى فى سوريا، ويسمح لسوريا بالتحول - بمساعدة موسكو - إلى قوة إقليمية صاحبة النفوذ الأكبر فى شرق المتوسط، وهو ما يضعف بالتالى إيران فى طموحاتها لبناء موقع لها فى شرق المتوسط وفى نفوذها فى لبنان وسوريا، حيث سيكون من المؤكد أن قاعدة طرطوس وقواعد الصواريخ الروسية والمستشارين والخبراء الروس الذين مازالوا يرتبطون بعلاقات تاريخية مع جنرالات الجيش

السورى البعثيين، ستنعكس سلباً على موقع مستشارى الحرس الثورى الإيرانى ونفوذهم ومواقعهم المتميزة داخل الجيش السورى وأجهزة المخابرات والأمن السورية، إضافة إلى التنافس الشديد الذى سيبرز بين خلايا مخابرات الحرس الثورى (فيلق القدس) وجواسيس المخابرات الراديكالية والتنظيمات المسلحة والعملاء لاستعادة هيمنتها التى فقدتها فى لبنان لصالح إيران وحزب الله، وكل هذا من شانه أن يزيد من أجواء عدم الثقة والشكوك بين إيران وسوريا، ويعدد بإشعال الحرب الباردة بين طهران ودمشق لحساب الحرب الباردة بين موسكو وواشنطن.

المناورات العسكرية الإيرانية والأسلحة الجديدة:

فى الوقت الذى جدد فيه القادة الإيرانيون تهديداتهم باستهداف أى سفن تمر عبر الخليج بالصواريخ أرض / بحر المسلح بها الحرس الثورى فى حالة نشوب حرب، على حد تصريح للجنرال يحيى رحيم صفوى المستشار العسكرى لعلى خامينئى المرشد الأعلى للثورة، لصحيفة "إيران اليومية"، أجرت أسراب من سلاح الجو الإيرانى يوم ١٥ سبتمبر الماضى مناورات عسكرية استهدفت اختبار معدات، ورفع درجة الاستعداد شملت نصف أقاليم الجمهورية الإيرانية البالغ عددها ٣٠ إقليما، شملت تنفيذ مهام اعتراض مقاتلات معادية فى الجو، وقصف أهداف أرضية، وتوفير الحماية الجوية للأهداف الاستراتيجية خاصة القواعد الجوية والمنشآت النووية، ومساندة أعمال قتال القوات البرية والبحرية، ونقل قوات خاصة لاستعادة أهداف سقطت فى أيدى العدو، ودعم مواقع منعزلة مهددة بالسقوط خاصة قاعدة بندر عباس المنوط بها السيطرة على مضيق هرمز وإغلاقه عند اللزوم، حيث تفيد تقدير أجهزة الاستخبارات الغربية أن هذه القاعدة البحرية ربما تكون الهدف الإيرانى الوحيد الذى ستسعى القوات الخاصة والمارينز الأمريكية لتنفيذ هجوم برى ضدها لمنع وحدات الصواريخ الساحلية والقطع البحرية المتواجدة بها والتابعة للحرس الثورى من إغلاق مضيق هرمز. كما شملت المناورات أيضاً اختبار أنظمة دفاع جوى (صواريخ أرض / جو)، وقد رصدت خلال فترة المناورات التى استمرت ثلاث أيام إطلاق عشرات الطلقات الجوية شملت مقاتلات اعتراضية. ومقاتلات قاذفة وقاذفات ومروحيات هجومية واقتحامية وطائرات نقل واستطلاع وحرب إلكترونية وشبكة رادارات ورصد متطورة، بالإضافة لشبكة اتصالات متطورة لأغراض القيادة والسيطرة وقد واكبا ذلك الإعلان عن تطوير صواريخ شهاب ليصل مداها إلى ٢٠٠٠ كم، وبما يمكن من حزب إسرائيل والأهداف الأمريكية الاستراتيجية فى منطقة الخليج وآسيا الوسطى وجنوب آسيا، بالإضافة للإعلان عن أنظمة تسليح ومعدات حربية جديدة تم تطويرها فى المصانع الحربية الإيرانية.

ويمكن فى ضوء قراءة التجربة الإيرانية الحديثة فى خطوطها العامة - من العرض العسكرى الذى أقيم فى ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٧ - رصد عود من الأسلحة والمعدات أعلن عنها شملت أفرع مختلفة وعديدة فى القوات المسلحة، أبرزها الصاروخ الباليستى (قدر) ومداه يصل إلى ١٨٠٠كم، وهو نموذج مطور عن الصاروخ (شهاب ٣) الذى انتجته إيران واختبرته منذ سنوات، كذلك المقاتلة (الصاعقة)، والغواصة (غدير). وفى ١٨ ديسمبر ٢٠٠٧ وبعد أسبوع من إعلان استلام إيران أول شحنة وقود نووى لتشغيل مفاعل بوشهر تم الكشف عن مفاوضات إيرانية - روسية لشراء محركات طائرات روسية (RD - ٢٣) لتجهيز طائرات تحل محل المقاتلات الأمريكية المتقادمة (F - ٥)، ومحركات طائرات مروحية لتحديث المروحية (KA - ٢٣) التى تعمل إيران على تجميعها فى مصانعها الحربية.

هذا بالإضافة للإعلان عن تنفيذ مشروع إنتاج مدمرات قاذفة للصواريخ لتجهيز القوات البحرية بها - ومع التطور التقنى العالمى، اهتمت إيران بخوض آفاق وسائل الحرب الإلكترونية، دشنت منها إيران فى ٣ فبراير ٢٠٠٨ خمسة أنظمة مراقبة أرضية وجوية ذكية فى مصانع شركة (مصا إيران) للصناعات البصرية وتشمل: كاميرات (عقاب) لتصوير الفيديو، كاميرات (شاهين) للتصدير الفوتوغراف اللتان يتم تركيبهما على الطائرات بدون طيار والمروحيات وتستخدم فى استطلاع ورصد الأهداف الثابتة والمتحركة، وتشمل المنظومات الثلاث الأخرى أجهزة رصد المدافع أعيرة (٢٣م و٢٥م، ٧٦مج و١٠٠مم)، إضافة إلى إنتاج أجهزة رصد وضبط الأسلحة الصاروخية، وكاميرات المراقبة والصد للأهداف الجوية والبحرية والبرية. وفى ٤ فبراير ٢٠٠٨ أعلنت طهران عن إطلاق منظومة فضائية علمية محلية، تصنع (أمل - ١) وتشمل قمر صناعى وصاروخ إطلاق إلى الفضاء ومركز قيادة وسيطرة وإدارة.

خلايا نائمة تهدد أمن دول الخليج:

أثار إعلان إيران فتح مكاتب إدارة داخلية فى الجزر الإماراتية الثلاث التى تحتلها إيران غضب دول الخليج العربية خاصة دولة الإمارات، والتى اعتبرت أن ذلك يعد تكريساً للاحتلال الإيرانى غير الشرعى لهذه الجزر، وطالبت إيران بالتفاوض حول مستقبل هذه الجزر أو اللجوء إلى التحكيم فى محكمة العدل الدولية.

تواكب ذلك مع ما نشرته صحيفة (Gulf - News) الإماراتية التى تصدر فى دبى عن الدبلوماسى الإيرانى المنشق (عادل الأسدى) قوله أن لدى طهران شبكة من العملاء

والخلايا الناعمة فى دول مجلس التعاون الخليجى مرتبطة بالحرس الثورى، ومستعدة لزعزعة استقرار هذه الدول إذا ما اقتضت مصالح طهران ذلك. وأضاف الأسدى من منفاه فى ستوكهولم "إن ما يمكننى قوله هو أن ما حكى عن وجود جواسيس إيران فى الكويت صحيح، كما أن لإيران حضوراً سرياً فى دول مجلس التعاون الخليجى". وكانت وزارة الداخلية الكويتية قد أعلنت عن اعتقال أحد ضباط أمن الدولة قام بتسهيل دخول ومغادرة أفراد مشكوك فى عمالتهم لإيران، ومسجلين على اللائحة الأمنية، كما أحالت وزارة الداخلية فى الكويت اثنين من النواب الشيعيين فى مجلس الأمة إلى النيابة العامة للتحقيق معهما فى شأن مشاركتهما مع أخرى فى حفل تأبين أقيم لعماد مغنية الذى اغتيل فى مارس الماضى فى دمشق رغم اتهامه باختطاف طائرة ركاب كويتية عام ١٩٨٦، ومسئوليته عن تفجيرات وقعت فى الكويت آنذاك إبان الحرب العراقية - الإيرانية.

وفى العراق صدرت فى منتصف شهر سبتمبر الجارى تحذيرات أمريكية من تجدد نشاط "الجماعات الخاصة" المدعومة من طهران. وحذر مسئولون أمنيون فى مدينتى البصرة والناصرية جنوب العراق من عودة مجموعات مسلحة من إيران بعد تلقيها تدريبات عن تنفيذ خطط تشمل عمليات تفجير واغتيال باستخدام درجات بخارية، وفى هذا الإطار صرح قائد شرطة مدينة ذى القار (٣٨٠ كم جنوب بغداد) بأن مجموعات مسلحة شيعية متطرفة تدربت فى إيران، دخلت خلال الأيام الأخيرة العراق لتنفيذ اعتداءات بالقنابل ضد كبار المسئولين، وإن كل مجموعة تضم عشرة مقاتلين، كلها اجتازت الحدود آتية من إيران ووصلت إلى العمارة، كبرى مدن محافظة ميسان الشيعية فى جنوب العراق. كما أكدت قيادة شرطة البصرة تصاعد التصفيات فى المدينة التى شهدت خمس عمليات اغتيال كان من بين ضحاياها قيادى كبير فى جيش المهدى، وأنه تم ضبط ٣٠ درجة نارية مفخخة فى الناصرية.

ولم تكن تلك التطورات التى تشكل تهديدات للأمن العربى، سواء فى بعده القطرى على مستوى كل دولة عربية أو فى بعده القومى على كل مستوى العالم العربى، ببعديه عن التحذيرات التى أطلقها كثير من السياسيين والإعلاميين ورجال الدين السنة العرب حول المخاطر الناجمة من اندفاع إيران فى جهودها المحمومة لنشر المذهب الشيعى بين جماهير السنة التى تشكل الأغلبية فى الدول العربية. وكان من أبرز هذه التحذيرات ما ذكره الشيخ يوسف القرضاوى عن محاولات نشر المذهب الشيعى ليس فى بلدان الخليج فقط، بل وفى مصر والسودان ودول المغرب العربى، وذلك بتمويل إيرانى ضخم. وهو ما دفع وكالة الأنباء الإيران (مهر) إلى شن هجوم شديد على القرضاوى. والحقيقة أن محاولات نشر التشيع فى مصر شهدت فى الآونة الأخيرة نشاطاً محموماً مدعوما بتمويل إيرانى، بعضه يكون فى شكل وقف خيرى يخصص لهذا الغرض، وهو ما يفسر عبارة "صدقة جارية" الموجودة على كتاب بعنوان (بحار الأنوار) يوزع فى مدينة ٦ أكتوبر وعلى أبواب الكليات فى الجامعات المصرية، ويحوى كثير من النداءات ضد مصر وشعبها انطلاقاً من أحاديث مدسوسة رغم أنه لا يوجد بلد "لا شعب على وجه الأرض كرمها الله فى كتابه الكريم وأحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مصر وشعبها. هذا إلى جانب اهتمام إيران بإيجاد بور شيعية فى النقابات المهنية والجمعيات الأهلية ونـوادى هيئات التدريس والقضاة ودور النشر، حيث يتم توزيع الكتب التى تدعو إلى التشيع بأثمان زهيدة أو بالمجان.

عزلة أحمدى نجاد السياسية:

يواجه الرئيس الإيرانى نجاد وحكومته موجة انتقادات قاسية منذ أسابيع، وأصحاب أشد هذه الانتقادات حدة هم من المحافظين المستائين من إعلان نائب من نواب الرئيس الإيرانى وصهره (رحيم مشائى) فى منتصف أغسطس الماضى أن إيران هى "صديقة شعب إسرائيل"، ونفى مشائى إدلاءه بهذا الكلام، ولكنه بعد أسبوعين عاد عن نفيه، وتبنى نفس الكلام، فطلب ٢٠٠ نائب فى البرلمان من ٢٩٠ نائب من الرئيس إلزام نائبه لاستقالة. وأقدم أربعون نائباً إيرانياً على دعوة الرئيس نجاح إلى المثول أمام البرلمان لتدبر تصريحات مستشاره. وهذه الخطوة تعد سابقة من نوعها فى الحياة السياسية البرلمانية فى إيران.

كما انهمر وابل من الانتقادات على نجاد أثر اتضاح تزوير وزير الداخلية الجديد (على كوردان) شهادة جامعية من جامعة أكسفورد البريطانية، فقد طعن النواب فى اختيار نجاد لهذا الرجل المزور (كوردان) أنصب وزير الداخلية، وأعلن كوردان أن شهادته الجامعية البريطانية هى دليل على كفاءاته، ولكن جامعة أكسفورد سارعت إلى نفى خبر حملة شهادة من شهاداتها وعلى جانب هذه الأزمة واجه نجاد أزمة داخلية أخرى عندما أقترح ٨٢ نائباً إقالة وزير التربية (على أحمدى) جراء افتقاره إلى الكفاءة المهنية لشغل منصب وزير التربية.

وبعد حملة ردود النواب الإيرانية على الرئيس الإيرانى، انتقد رجال دين كبار، منهم الرئيس السابق هاشمى رافسنجانى، والرئيس السابق محمد خاتمى، ومفاوضى الملف النووى الإيرانى السابق حسن روحانى، وتيارات طلابية، أحمدى نجاد. ويبدو أن تصريحات مشائى فوضت مكانة نجاد فى أوساط جمعيات طلابية بارزة، على غرار "جمعية الطلاب الإسلامية).

وبحسب المراقبين السياسيين فى طهران، لم تمتنع جهة سياسية واحدة من إدانة سياسات نجاد الداخلية، وخصوصاً سياسته الاقتصادية. وشن الجناح البراجماتى المحافظ حملة على الجناح المتشدد والحافظ المؤيد لنجاد والمدافع عنه، وقاد هذه الحملة مقربون من على لاريجانى- رئيس المجلس التشريعى وأمين عام مجلس الأمن القومى الإيرانى السابق، إثر تعيين نجاد مقربين منه فى مناصب رفيعة وحساسة. ويرى عدد من وجوه اليمين الإيرانى التقليدى أن فوز المحافظين بالانتخابات المقبلة فى يونيو المقبل هو رهن إثبات كفاءتهم السياسية، وتذليل الخلافات بين جناحى التيار المحافظ، ويجمع المحافظون المتشددون بـ المحافظون البراجماتيون على أن نتائج الفرقة والخلاف بينهم وخيمة ومدرة.

رؤية تحليلية:

أن من يتابع مفردات الخطاب السياسى الإيرانى منذ الامام الخمينى فى بداية الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ وحتى الرئيس أحمدى نجاد، ويقارنها بمفردات الخطاب السياسى لقادة الاتحاد السوفيتى السابق منذ لينين وحتى برجينيف، لوجد تطابقاً فى عناوين الخطابين، وهى كلها تدور حول التبشير بالنهاية القريبة للغرب وخاصة أمريكا، وأن المستضعفين (البروليتاريا) سيكون لهم النصر المبين وهو غير بعيد. فهناك تطابق كامل، حتى فى التوجه لبناء القوة العسكرية الضخمة، وتوزيع الأموال هنا وهناك، واستقطاب الأحزاب وصفها وتأسيسها، الخاق منها والمعلن، وتوظيف الأحداث والقوى والتيارات لصالحها.. مع اختلاف الإمكانيات بطبيعة الحال بين إيران والاتحاد السوفيتى الذى ورثته روسيا حالياً، سواء فى القدرات الإنتاجية والبشرية والاقتصادية، أو فى القدرات العسكرية التقليدية وفوق التقليدية، مع الاختلاف فى علاقة كل من الظاهرتين مع العالم الإسلامى والعربى، فإيران جزء مهم من العالم الإسلامى وشقيقة للعرب، ولا شك أن العالم العربى والإسلامى لا يتمنى لها المصير نفسه الذى واجهه الاتحاد السوفيتى السابق إلا أن المحلل والمتابع يجد أن التجربة تتكرر بشكل مصغر، ولعل المنطق والمأمول هو الاستفادة من التجربة الأولى والتى وإن كانت تشمل كثير من الإيجابيات، إلا أن بها أيضاً الكثير جداً من السلبيات التى من أخطرها غرور القوة وتضخيمها على حساب التنمية، والعلاقة مع الآخرين.

وإذا كان الاتحاد السوفيتى قد اعتمد الفلسفة الماركسية كأيديولوجية سياسية واقتصادية، فإن إيران تحول الدين إلى أيديولوجية سياسية ورؤية للعالم، وفق مبادئ راديكالية تجعل منها دولة صاحبة رسالة أيديولوجية عالمية سياسية، بل وتوظفها لخدمة طائفة من المسلمين هى الشيعة ضد طائفة أخرى أكبر من المسلمين هى السنة، حيث يريد ويسعى حكام إيران إلى تحويل أكبر قطاع من هؤلاء المسلمين السنة إلى طائفتهم الشيعية، وهى ما دفع الكثير من رجال السياسة والفكر والإعلام والدين فى الدول العربية والإسلامية ذات الأغلبية السنية إلى وصف إيران بأنها أخطر من إسرائيل، لأن الأخيرة ليس عندها الشيعة المتغلغلون بين شعوب دولة المنطقة، ويتلقون الدعم السياسى والمالى والتسليحى من إيران، ولذلك فهم بهذا الدعم يفتحون الأبواب والصراعات مذهبية، دفع العرب والمسلمون أفدح الأثمان فى صراعاتها. وإذا كانت إسرائيل لا تدارى وجهها العدوانى القبيح، فإن إيران تخفى أطماعها التوسعية ضد الدول العربية والإسلامية وراء شعارات ديانية براقة تثير الفتنة والصراعات والحروب الأهلية بين المسلمين، وهنا وجه الخطورة. لذلك حذر كثير من السياسيين المحللين العرب من خطورة قرار خامنئ بتحويل مسئولية أمن الخليج من القوات البحرية التابعة للقوات المسلحة الإيرانية النظامية إلى الحرس الثورى، ومعناه جاء على لسان رحيم صفوى المستشار العسكرى للمرشد فى إيران قادرة على السيطرة على الخليج، ولا يمكن لأى سفن العبور بدون أن تكون فى مرمى الصواريخ[٤]، حيث يعنى هذا القرار من جانب خامنئ وتفسيره من جانب صفوى، تهديداً مكشوفاً ومفتوحاً لجميع دول الخليج العربية الست المطلة على الخليج بتدمير ناقلات نفطهم إذا ما حاولت عبور مضيق هرمز، بل ويصل الأمر إلى تدمير حقولهم ومنشآتهم النفطية، وتجاهل تام لمسئوليات هذه الدول فى الدفاع عن مياهها الإقليمية وحدودها وأهدافها الاستراتيجية، بل وتدمير قواتها البحرية التى تحمى بها أراضيها ومياهها ومنشآتها، هذا رغم الإعلانات المتكررة من جانب زعماء هذه الدول بأنهم لن يشاركوا فى أى مواجهة عسكرية قد تقع بين أمريكا وإيران، ولن يسمحوا باستخدام أراضيهم ومياههم ضد إيران، لذلك فإن هذا القرار الإيرانى إنما يستهدف فى الحقيقة أمن واستقرار دول الخليج، بل لقد وصل النائب البحرينى جاسم السعدى إلى القول بأن هذا القرار يوقظ خلايا نائمة فى الخليج، وهو ما كشف عنه الدبلوماسى الإيرانى المنشق (عادل الأسدى).

ولن تفيد إيران الرهان على الانحياز إلى روسيا فى حرب باردة جديدة بين الأخيرة والغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة، ذلك أن روسيا لا تريد حقيقة هذه الحرب وتسعى إلى تجنبها لأنها مضرة بأمنها واستقرارها، خاصة فى ضوء اقتراب حلف الناتو والدرع الصاروخى الأمريكى من حدودها الجنوبية والغربية والشرقية، بل والشمالية أيضا من جهة ولاية ألاسكا الأمريكى، وعدم قدرة روسيا ولا رغبتها فى الدخول فى سباق تسلح فضائى جيد مع أمريكا، ستكون روسيا بجميع المقاييس خاسرة فيه وهو ما أثبتته تجربة

مبادرة حرب النجوم الأمريكية التى أطلقتها إدارة ريجان فى ثمانينات القرن الماضى، وكانت بمثابة أول ضربة معول فى هدم الاتحاد السوفيتى السابق. كما تدرك موسكو جيداً أن واشنطن فى حرب باردة جديدة لن تتردد فى استغلال الحركات الانفصالية فى الأقاليم ذات الاختلافات العرقية والطائفية التى تشكل الاتحاد الروسى -مثل الشيشان وداغستان.. وغيرهما، لتهدد استقرار روسيا ردا على قيام الأخيرة بفصل وضم أوستينا الجنوبية، أنجازيا- وهذا التيار الانفصالى إذ ما اشتد فى روسيا فإنه بالقطع سينتقل إلى إيران والتى تعانى من نفس هذه التيارات الانفصالية فى محافظاتها الحدودية (خوزستان، بالوشستان) أذربيجان، كردستان) وهو ما تستغله أمريكا جيداً فى صراعها مع إيران حالياً، ناهيك بالطبع عن كون روسيا لا تريد أن تظهر قرب حدودها الجنوبية قوة نووية نامية فى إيران، لذلك فإن رهان إيران على روسيا فى حرب قادمة- سواء باردة أو ساخنة- هو رهان خاسر بجميع المقاييس.

أما إذا انتقلت المواجهة بين إيران وأمريكا إلى الحرب الساخنة، فلن يفيد إيران إلحاق الضرر المؤقت بأمريكا عسكرياً أو بحلفائها فى الخليج وأفغانستان، لأن إيران ستكون بذلك قد أعطت الفرصة لأمريكا لتحقيق هدفها النهائى تجاه إيران، وهو القضاء على نظام الحكم الدينى (الثيوقراطى) القائم هناك بشكل كامل وحاسم ونهائى، وقد تحسبت أمريكا لذلك جيداً فإن أولت المسئوليات الأمنية فى العراق- خاصة فى محافظات الجنوب للجيش العراقى، وتستعد لسحب قواتها إلى قواعد عسكرية ومناطق تمركز فى الداخل- وصل عددها إلى ٥٢ قاعدة عسكرية، منطقة تمركز- لحمايتها من هجمات الحرس الثورى، كما ضاعفت من حجم قواتها البحرية فى الخليج وأعطت أولوية مطلقة لقواتها الجوية والبحرية لتدمير القوة البحرية الإيرانية والخليج، كذلك لوسائل الدفاع الجوى والقوات الجوية الإيرانية، حتى يمكن للمقاتلات والقاذفات الأمريكية التعامل بحرية فى ظل سيادة جوية ضد الأهداف العسكرية والاستراتيجية الإيرانية على الأرض، أما إذا بلغت الخسائر البشرية الأمريكية فى الحرب القادمة حجماً لا يمكن قبوله، فإن واشنطن لن تتردد فى اللجوء إلى استخدام أسلحتها النووية التكتيكية المتواجدة على قواتها فى الخليج وقاعدة انجرليك بجنوب تركيا لحسم الحرب بشكل نهائى، خاصة وأن الكونجرس الأمريكى شجع لأول مرة فى تاريخه باستخدام الأسلحة النووية التكتيكية فى حروب أمريكا الاستباقية بحيث تكون تحت الأرض، وهو ما يعنى نهاية المشروع السياسى الإيرانى خاصة وأن الخلافات والصراعات الداخلية وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، أصبحت تضرب بقوة فى جنيات النظام الحاكم فى إيران ويزيد من خطورة الوضع الداخلى دعم خامنئ لسياسة أحمدى نجاد وجناحه المنشود، ونظر الحاكم الأعلى فى إيران إلى هذا الجناح باعتباره الأقوى والأقدر على حماية الثورة والنظام الدينى الحاكم من أعدائه فى الخارج والداخل، فى حين أن حقيقة الأمر أن هذه الخطورة من جانب خامنئ زادت من ضعف النظام الحاكم لأنها زادت من حجم واتساع رقعة أعدائه فى الداخل والخارج، حيث أن الاعتماد المتزايد من قبل خامنئ على الحرس الثورى فى تأمين النظام هو فى الحقيقة موجه ضد القوات المسلحة النظامية وأجهزة الأمن والشرطة، والتى أثار هذا القرار وغيره من القرارات المنحازة للحرس الثورى عقب هذه القوى المسلحة والأمنية، وهى علاقة أخرى على ضعف النظام وتراجعه.

ولذلك فإنه فى أى مواجهة عسكرية قادمة بين أمريكا وإيران، ليس من المتوقع أن تبلى هذه القوات النظامية والمحترفة البلاء المفروض أن يكون دفاعاً عن الوطن، خاصة إذا ما انهزم الحرس الثورى أمام الضربات الجوية والصاروخية الأمريكية- التقليدية والنووية- فى البحر والبر، بالنظر للتفوق الجوى والبحرى الأمريكى الكاسح طبقاً لموازين القوى القائمة.

رؤى عربية

زيارة أحمدى نجاد لتركيا .. مضامين و احتمالات

محمد عبد القادر
باحث فى العلوم السياسية

بعد ممانعة تركية ضمنية دامت سنوات وعلى خلفية معارضة أمريكية وإسرائيلية. قام الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد بزيارة تاريخية إلى تركيا فى الرابع عشر من شهر أغسطس ٢٠٠٨، وهى زيارة استهلها الرئيس التركى عبد الله جول بتحذيرات شديدة من أن أزمة الملف النووى الإيرانى قد قاربت على تخطى المرحلة الحرجة وصولا إلى مرحلة أكثر تدهورا، قد تزداد فيها مخاطر دوام اتباع إيران إستراتيجية " حافة الهاوية " التى مازالت تنتهجها حتى اللحظة. بل واستكمل جول تحذيره معلنا أن ثمة اختلاف واضح بين حال إيران ووضع العراق، ومع ذلك فلكل طريق نهاية وأن استمرار السياسات الإيرانية الحالية سيؤدى إلى تشديد الحصار وبالتالى عزل إيران نهائيا عن العالم. ولم يستبعد جول أن يتخذ الرئيس الأمريكى جورج بوش قرارًا بتوجيه ضربة عسكرية إلى إيران قبل ترك منصبه فى نهاية العام الجاري، لافتا إلى أن مثل هذا التطور سيؤثر بالطبع بطريقة سلبية على الشعبين الإيرانى والتركى وعلى منطقة الشرق الأوسط بأسرها.

وقد جاءت زيارة نجاد إلى تركيا وسط تصاعد التوتر بين طهران والغرب جراء البرنامج النووى الإيرانى المثير للجدل. وفى ظل مناخ إقليمى يسوده النشاط من حيث تبادل الزيارات عالية المستوى بين كل من تركيا وإيران وسوريا، وذلك فى محاولة إلى تدعيم العلاقات بين الدول الثلاث، وسعيا من قبل الدولتين الأخيرتين للاستفادة من علاقات " تركيا الأطلسية " الوطيدة بالدول الغربية من أجل الحيلولة دون فرض مزيد من العقوبات على إيران من ناحية، وتحسين العلاقات السورية الغربية من ناحية أخرى. هذا فيما تتطلع تركيا من جهتها إلى لعب هذا الدور من أجل تعزيز موقعها فى الملفات الإقليمية والدولية .

أهداف الزيارة

سعت إيران على الدوام إلى القفز على ملفات الخلاف مع تركيا منذ وصول الرئيس أحمدى نجاد إلى السلطة فى طهران، رامية من وراء ذلك الحيلولة دون تزايد ملفات التوتر بين البلدين، بما يزيد من عزلة الإيرانيين الإقليمية، كما هدفت إيران إلى تخفيف حدة التنافس الإقليمى التاريخى بين الدولتين (تركيا السنية وإيران الشيعية) لاسيما وأن الإيرانيون أضحوا حاضرين وبقوة فى مختلف قضايا وبؤر التوتر فى المنطقة. ويحملها تيار واسع فى المنطقة وخارجها مسئولية تفجر العديد منها، هذا فيما مثل الحضور التركى إقليميا عاملا مساعدا ومحفزا رئيسيا على الاستقرار الإقليمي، بما جعل التعاون بين البلدين من وجهة نظر الإيرانيين ضرورة ملحة كونه يمثل بديلا فعليا عن المواجهة بينهما، لاسيما فى ظل اختلاف سياسات وأجنداتى الدولتين المتجاورتين فيما يتعلق بقضايا المنطقة الرئيسية (النزاع الفلسطينى الإسرائيلى - النزاع السورى الإسرائيلى - القضية اللبنانية - القضية العراقية - الملف النووى الإيرانى ..الخ).

وقد جاءت زيارة الرئيس الإيرانى إلى تركيا تحت غطاء اقتصادى واضح يتمثل فى تعزيز العلاقات التجارية بين البلدين، من خلال المقابلات العديدة التى جمعت بين نجاد ومسئولين أتراك لبحث قضايا الطاقة والمسائل التجارية، ومن أجل تفعيل مذكرة التفاهم التى وقعتاها الدولتين

فى يوليو الماضي، والتى من شأنها أن تسمح لشركة النفط التركية بضخ ٢٠ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعى من حقل غاز "ساوث بارس " العملاق، كما شارك نجاد فى منتدى لرجال الأعمال الأتراك من أجل تعزيز الروابط الاقتصادية والتجارية بين البلدين .

بيد أن الهدف الأصيل والـذى سعت إليه إيـران منذ سنوات خالية وجاءت زيارة نجاد لتأكيده هو أن إيران مازالت تمارس " هواية " " القفز على الحواجز " أى أنها رمت من وراء الزيارة تعزيز وتوثيق العلاقات المشتركة بين الفاعلين الإقليميين الكبيرين دون الوقوف كثيرا أمام قضايا الخلاف، لذلك كان الهدف الرئيسى لهذه الزيارة هو توثيق العلاقات السياسية والأمنية بين الدولتين، بما يحول دون تقديم الأتراك أى دعم أو مساندة تذكر حال اندلاع مواجهة بين الإيرانيين مع الولايات المتحدة وإسرائيل أو مع أيا منهما بصورة منفردة .

والإيرانيون حين يرمون إلى ذلك فهم يعولون على عنصر تطور ونمو العلاقات الاقتصادية بين البلدين على نحو أكثر من ذى قبل، فإيران باتت ثالث أكبر مصدر للغاز إلى تركيا، ويتوقع بلوغ الاستثمارات التركية فى إنتاج الغاز فى إيران نحو ٣,٥ مليارات دولار. وعلى الصعيد السياسي، تعاون الجانبان استخباريا وعسكريا فى مواجهة الانفصاليين الأكراد الذين يتخذون من شمال العراق معقلاً لهم. وهناك بعض الاتجاهات التى ترى أن التقارب التركى الإيرانى قد يمثل تغير فى خريطة التحالفات فى الشرق الأوسط، وخاصة أن البلدين يملكان علاقات قوية مع سوريا أيضاً، وهو ما دفع كل من الولايات المتحدة وإسرائيل إلى انتقاد زيارة الرئيس الإيرانى لتركيا محذرتين من عواقب "إضفاء الشرعية" على أحمدى نجاد الذى دعا أكثر من مرة إلى "إزالة إسرائيل عن الخريطة".

وفى المقابل من ذلك فإن تركيا تهدف من تعزيز العلاقات مع إيران تحسين العلاقات الاقتصادية بين الدولتين، بما يعود بالفائدة على الاقتصاد التركي، حيث باتت تركيا فى مرحلة حزب العدالة والتنمية تفكر بـ" عقلية اقتصادية " بحتة، وهى عقلية تحكمها أيضا الواقعية السياسية، لتتخذ من معادلة التكلفة والعائد محددا رئيسيا لصوغ سلوكها السياسى دولى كان أو إقليمي، لذلك فتركيا كانت تعول كثيرا على زيارة الرئيس نجاد من أجل تجاوز مرحلة الغيوم والشرر التى تكسو المشهد الإقليمى فى الوقت الراهن. ذلك أن اندلاع مواجهة أخرى فى المنطقة قد يجعل الأتراك فى موضع لا يحسدون عليه، ذلك أن من شأنه أن يضع الأتراك بين شقى رحى كل من علاقاتهم الإستراتيجية مع الولايات المتحدة وروابطهم الوثيقة مع الدولة العبرية من ناحية، ومن ناحية أخرى بين مستلزمات تحسين العلاقات مع الجار الإيرانى الكبير، والذى يجب الحفاظ على العلاقات معه انطلاقا من الملفات المشتركة والتى تتطلب حدا أدنى من العلاقات الجيدة لكى يسمح بوجود تعاون بين البلدين بشأنها.

ولعل أهم تلك الملفات القضية الكردية، والتى تشكل " الكابوس المزعج " الذى يقض مضاجع الأتراك، فضلا عن سعى تركيا إلى لعب دورا إقليميا بارزا يتيح لها ألا تكون مشارك فى الأحداث الإقليمية بقدر ما تكون صانعا لها، وهو ما نجحت فيه نسبيا على صعيد ملف العلاقات السورية - الإسرائيلية، ويبدو أنها تسعى إلى تكراره على صعيد العلاقات الإيرانية - الغربية. وقد أشار إلى ذلك الرئيس الإيرانى بتشديده على ضرورة تطوير العلاقات التركية الإيرانية من أجل إنشاء شراكة إقليمية تساعد على حفظ الأمن والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط، معتبراً أن إيران وتركيا تكملان بعضهما البعض فى هذا المجال. إذ إنها -أى تركيا- تتوسط حالياً على خط المفاوضات السورية - الإسرائيلية غير المباشرة. هذا فيما أكد وزير الخارجية التركى على باباجان فى أواخر يوليو الحالى أن تركيا تلعب دوراً غير رسمى بطلب من الأطراف المعنية " للتعزيز والمساعدة " فى المحادثات بين إيران والدول الست فى مفاوضات حول ملفها النووى .

سياق الزيارة

أظهرت الولايات المتحدة الأمريكية معارضة شديدة للزيارة، كما أبدت رفضا لمساع كل من تركيا وإيران لتوقيع اتفاق بشأن مشاريع للغاز الطبيعى والكهرباء تقدر قيمتها بزهاء ٣/٥ بليون دولار، وثمة من يرى أن هذه الضغوط الأمريكية كانت السبب الرئيسى فى فشل الدولتين فى التوصل إلى اتفاق بهذا الشأن، وذلك بعد أن كانت تركيا قد وقعت مع إيران فى مايو الماضى اتفاقا يقضى ببناء خط جديد لأنابيب نقل الغاز بهدف ضمان مصدر ثابت ومستمر لنقل الطاقة إلى أنقرة. هذا فيما انتقدت إسرائيل مشروع زيارة الرئيس الإيرانى لتركيا وحذرت من عواقب " إضفاء الشرعية " على احمدى نجاد. هذا فى الوقت الذى ذكرت فيه الإذاعة الإسرائيلية أن وزارة الخارجية الإسرائيلية استدعت السفير التركى لدى إسرائيل وأكدت له خيبة أمل الدولة العبرية من نية تركيا استضافة زعيم مثل احمدى نجاد .

كما سلم سفير إسرائيل فى تركيا مدير عام وزارة الخارجية التركية مذكرة احتجاج جاء فيها " أن إسرائيل تشعر بالقلق والانزعاج من الزيارة المتوقعة للرئيس الإيرانى الذى دعا مرارا وتكرار إلى القضاء على دولة إسرائيل " .

وعلى الرغم من الضجيج الإسرائيلي حول زيارة نجاد، غير أن التطمينات التركية كانت واضحة وتركز جوهرها على أن الدور التركى فى المنطقة لا يقوم على أساس تهديد مصالح الآخرين، وإنما ينطلق من ثوابت التعامل مع كافة الأطراف فى المنطقة وفق مصالح تركيا العليا وانطلاقا من قناعاتها الخاصة، وتأسيسا على أن أى عمل عسكرى جديد فى المنطقة لاسيما على الحدود التركية سيشكل تهديدا واضحا وجدى للمصالح التركية الحيوية . ولعل ذلك المحدد الرئيس الذى دفع الأتراك بعد أيام قليلة من زيارة نجاد إلى الاشتراك فى المناورات العسكرية مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، من خلال التدريبات التى أطلق عليها "حورية البحر الواثقة"، والتى جرت فى المياه الإقليمية إلى الغرب من الشواطىء الإسرائيلية وشاركت فيها قوات من الأسلحة البحرية والجوية التابعة للدول الثلاث، وذلك للعام التاسع على التوالى.

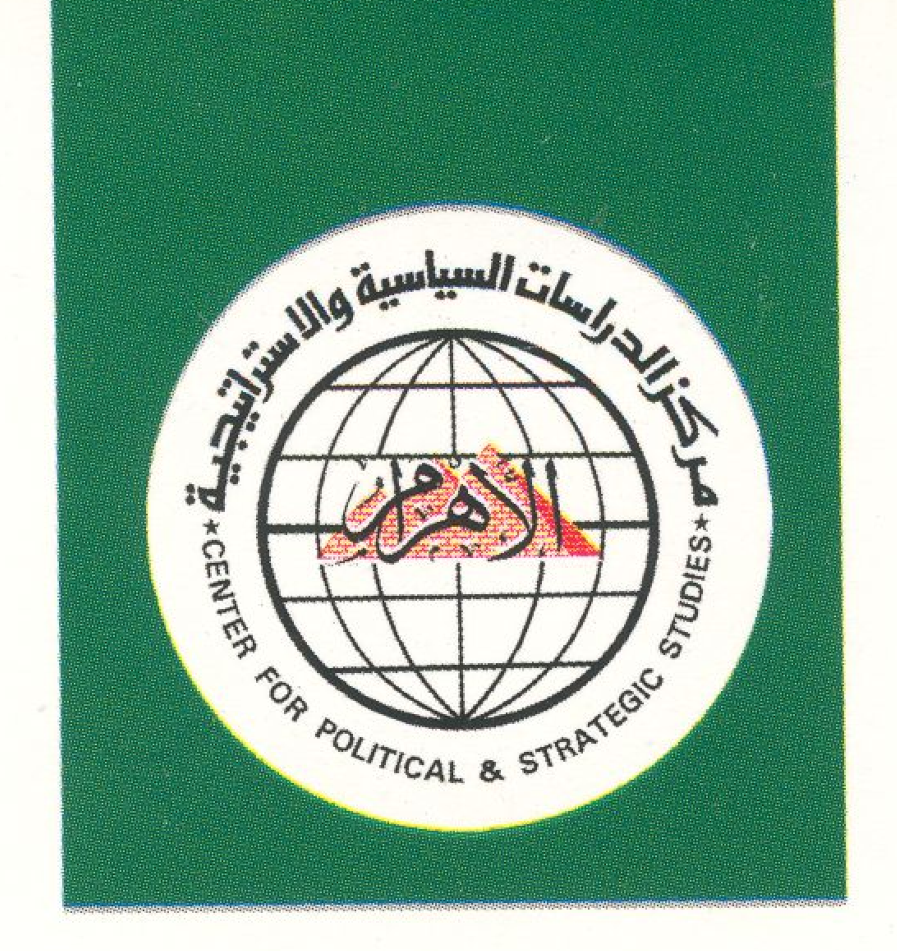
نتائج الزيارة

لكل فعل فى السياسة نتيجة، بعضها مخيب للآمال وبعضها الأخر منصف لها، وقد كانت زيارة الرئيس الإيرانى إلى تركيا من تلك النوعية الأولى التى لم يحقق طرفيها ما وضعاه من أهداف قبيل هذه الزيارة، فإيران من جهتها لم تكن تركيا بالنسبة لها أكثر من "مسرح أطلسى" تعيد من خلاله إطلاق مواقفها وتأكيد ثوابتها. مسرح تعلن من خلاله أنها مازالت تراهن على الوقت أو مرشح الرئاسة الأمريكية الأسمر باراك أوباما أو على القدرات العسكرية الإيرانية أو حتى على وهن الولايات المتحدة الذى رسخته وكشفت المزيد من معالمه الأزمة الجورجية -الروسية الأخيرة. فمؤشرات التقدم فى مباحثات الدولتين كانت خافتة، ذلك أن الاتفاق الوحيد الذى خرجت به المفاوضات التركية الإيرانية كان حول التعاون الأمنى على الحدود لمكافحة التهريب والمخدرات والاتجار بالبشر، إضافة إلى مذكرات تفاهم استمر الخلاف طويلا فى شأن صياغتها وعلى أى مستوى يتم توقيعها، وتتناول التعاون الثقافى والتجارى والسياحى . وهو ما دفع أحد المسئولين الأتراك إلى القول أن الرئيس الإيرانى جاء إلى اسطنبول لالتقاط الصور فقط، على عكس ما تأمل به أنقرة من الزيارة التى طلت تأجلها على مدار أكثر من العامين.

وفيما يتعلق بتركيا فلم تحقق من جهتها سوى إيصال رسالة إلى طهران مفادها أن أزمة الملف النووى الإيراني، لم تخفت ولا يمكن المراهنة على ذلك، كونها تتصاعد بما يجعل المنطقة مؤهله لان تشهد انفجارات قد تندلع فى كل جانب، غير أن الرسالة مازالت عاصية على الاستيعاب من جانب الإيرانيين، بما يزيد من مساحات التباين والاختلاف فى الرؤى والسياسات بين القطبين الإقليميين.. فتركيا تريد شريكها الاقتصادى القديم (العراق) أن يعود ويستقر لأن فى ذلك مصالح اقتصادية وسياسية وأمنية جمة لها، وتريد للمفاوضات السورية الإسرائيلية أن تكلل بالنجاح، بما يعطى شرعية لعلاقاتها مع الدولتين المتعاديتين، وتريد للوضع الفلسطينى أن يشهد تقدما، بما يطفئ بركان لهب رئيسى فى المنطقة، بمعنى أخر تريد أنقرة أن تكون قوة دافعة إلى الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط، هذا فى الوقت الذى ترى فيه طهران أن دولة كالعراق تمثل " ورقة رابحة " لا يمكن التخلى عنها فى مواجهة الأمريكان المحتملة، وترى فى مفاوضات سوريا مع إسرائيل انقلابا على ثوابت وأسس العلاقة مع حليفها السوري، فيما ترى فى قوة حماس وحزب الله " شوكة إيرانية " فى حلق إسرائيل، ومن ثم فالتلاقى بين القطبين الإقليميين مازال بعيدا، وزيارة الرئيس الإيرانى إلى اسطنبول عاصمة الخلافة العثمانية وليس إلى أنقرة عاصمة الدولة الأتاتوركية، لا تمثل أكثر من " خربشات " فى جدار صلب .

رقم الإيداع ١١٨١٧ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 227 - 130 - 3

مطابع التجارية - قليوب - مصر



النشاط والأهداف

مركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام، يسعي إلي نشر الوعي العلمي بالقضايا الاستراتيجية العالمية والإقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأي العام بتلك القضايا، وترشيد الخطاب السياسي وعملية صنع القرار.

١- الدوريات

(أ) كراسات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩١ تتوجه أساساً إلي صانعي القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بالتحديات الاستراتيجية التي تواجه مصر والعالم العربي. وتصدر "كراسات استراتيجية" منذ يناير ١٩٩٥ باللغتين العربية والإنجليزية. ويرأس تحريرها د. أحمد إبراهيم محمود

(ب) ملف الأهرام الاستراتيجي

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بتقديم تحليلات متخصصة حول الشئون الإقليمية، والتطورات الدولية والمحلية ذات الانعكاسات والأبعاد الاستراتيجية بالنسبة للمنطقة العربية والشرق الأوسط. ويحرره أ. هانئ رسلان.

(ج) مختارات إسرائيلية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بالرؤي والتصورات والمواقف الإسرائيلية علي صعيدي الحكومة والمعارضة، وبالذات حول مجريات تسوية الصراع العربي الإسرائيلي ومشكلاته ويرأس تحريرها د. عماد جاد.

(د) مختارات إيرانية

دورية شهرية تصدر منذ أغسطس ٢٠٠٠ تهدف إلي دراسة وتحليل التفاعلات الداخلية الإيرانية والعلاقات الإقليمية والدولية لإيران. ويرأس تحريرها د. محمد السعيد ادريس.

(هـ) قراءات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٦ تهتم بعرض القضايا الاستراتيجية الدولية والإقليمية من خلال اختيار أهم ما نشر عن تلك القضايا بمختلف اللغات وعرضه عرضاً دقيقاً وافياً باللغة العربية. وترأس تحريرها أ. هناء عبيد

(و) أحوال مصرية

دورية ربع سنوية تصدر منذ صيف ١٩٩٨ تهدف إلي دراسة الواقع المصري بكل أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ويرأس تحريرها أ. مجدى صبحى

٢- التقارير

(أ) التقرير الاستراتيجي العربي

تقرير سنوي يصدره المركز منذ عام ١٩٨٦ يسعي إلي تقديم رؤية استراتيجية عربية ومصرية لتطورات النظام الدولي والنظام الإقليمي العربي والمجتمع المصري. ويصدر التقرير أيضاً باللغة الإنجليزية بدءاً من عام ١٩٩٥ ويرأس تحريره أ. عبد الفتاح الجبالى

(ب) تقرير الحالة الدينية

يرمي إلي الكشف عن خريطة المؤسسات، والأشخاص والحركات والتفاعلات داخل شبكات الانتماءات الدينية والإسلامية والمسيحية بالأساس، بهدف استخلاص اتجاهات عامة حول أنماط التدين المصري بكافة أشكالها وتفاعلاتها ومؤسساتها. ويرأس تحريره أ. نبيل عبد الفتاح.

(ج) تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية

تقرير صدر منذ عام ٢٠٠١ يعنى بتقديم دراسات تحليلية للقضايا الأكثر أهمية والتى من شأنها التأثير على مستقبل الاقتصاد العالمى والاقتصادات العربية والاقتصاد المصرى. ويحرره أ. احمد السيد النجار.

٣- الكتب

يصدر المركز سلسلة كتب تغطى موضوعات معرفية متعددة تعالج مختلف القضايا. ويرأس تحريرها أ. نبيل عبد الفتاح. كما يصدر المركز كتيبات عن المفاهيم والمؤسسات ضمن سلسلة "موسوعة الشباب السياسية". ويرأس تحريرها د. وحيد عبد المجيد.

٤- المركز علي شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

قام المركز بتأسيس صفحة خاصة به على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) باللغتين العربية والإنجليزية. وتتضمن الصفحة عرضاً لكافة إصدارات وأنشطة المركز. ويمكن الوصول إلى صفحة المركز عن طريق موقع الأهرام: http://www.ahram.org.eg بريد إليكترونى acpss@ahram.org.eg

أسلوب الاشتراك أو شراء مطبوعات المركز

تطلب اصدرارت المركز من مكتبات الأهرام ومراكز توزيع الأهرام، فضلاً عن إمكانية الاشتراك في الإصدارات الدورية للمركز عن طريق: إدارة اشتراكات الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية.

تليفون: ٧٧٠٤٥٦٥- ٥٧٨٦٢٢٤ - ٥٧٨٦٠٣٧ - ٥٧٨٦١٠٠ فاكس: ٧٧٠٣٢٢٩ -٥٧٨٦٨٣٣ - ٥٧٨٦٠٢٣

Email: acpss@ahram.org.eg

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر